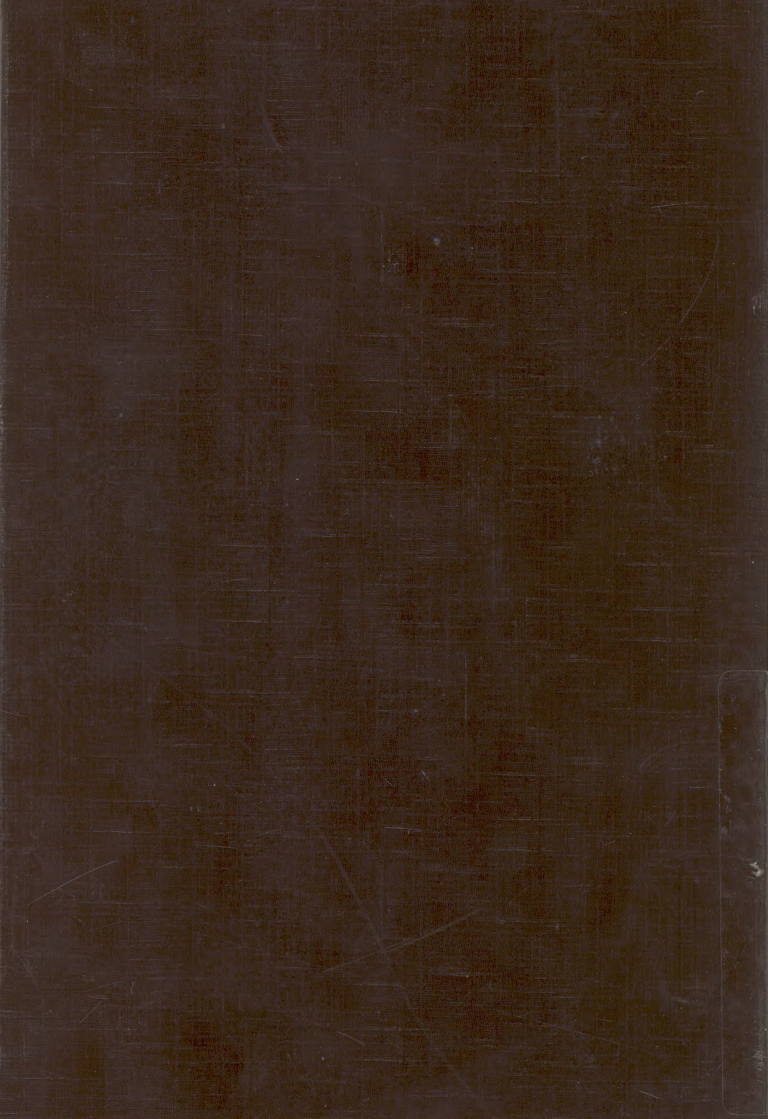


السويد...
شعبها وأرضها

نشر هـذا الكتاب بالاشتراك

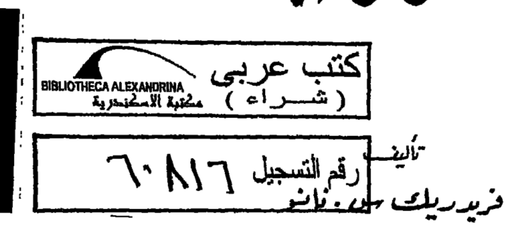
مـع

مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر

القاهرة ـ نيويورك

أبْريل سنة ١٩٧٠

السويد...
شعبها وأرضها



تأليف
فريدريك س. فانو

ترجمة
رجائي نجيب مقار

مراجعة وتقديم
الدكتور عز الدين فريد



ملتزم النشر والطبع
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة

المشتركون فى هـذا الكتاب

المؤلف :

فردريك س. نانو : سفير رومانيا السابق بالسويد

المترجم :

رجائى نجيب مقار : تخرج فى كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٥٠ . عمل بالتدريس منذ تخرجه فى وزارة التربية والتعليم. انتدب للتدريس بمدارس التعليم المصرى بالسودان (١٩٥٩ ـ ١٩٦١) . عمل مدرسا بمدرسة السعيدية الثانوية .

المراجع وصاحب التقديم :

الدكتور عز الدين فريد : وكيل وزارة الثقافة سابقا . تخرج فى مدرسة المعلمين العليا بالقاهرة سنة ١٩٢٨ ، حصل على درجة الليسانس من جامعة ليفربول سنة ١٩٣٢ ، وعلى الدكتوراه من جامعة لندن سـنة ١٩٣٧ . عمل أسـتاذا بكلية التجارة بجامعة القاهرة من سنة ١٩٣٧ الى سنة ١٩٥٥ ثم عميدا لكلية الآداب جامعة القاهرة من سنة ١٩٥٥ الى سـنة ١٩٦٤ ورئيسا لمجلس ادارة الدار القومية للطباعة والنشر .

مصمم الغلاف :

السيد محمود اسماعيل : يعمل بمؤسسة فرانكلين . اتخذ الرسم هواية واستطاع بالممارسة أن يحقق بعض الأعمال الفنية المجيدة . صمم بعض أغلفة كتب المؤسسة .

محتويات الكتاب

صفحة

تقديم
بقلم الدكتور عز الدين فريد

قد لا يتصور القارىء العربى أن بلادا تتجمد جميع أنهارها وبحيراتها فى فصل الشتاء يمكن أن تكون وطنا لشعب من أرقى شعوب العالم .

ولكن السويد تعطينا مثلا حيا لشعب استطاع فى زمن قصير أن يتغلب على بيئته القاسية ويخضعها لحاجاته ويبنى عليها صناعات بلغت حد الاتقان والكمال فشقت لها طريقا فى أسواق العالم الخارجية ـ حتى فى الدول الصناعية الكبرى .

وبالرغم من اتساع رقعة السويد نسبيا (اذ تبلغ نحو ضعف مساحة سوريا والأردن مجتمعتين) فان عدد سكانها لا يزيد على ٨ ملايين نسمة ، وهو عدد قليل اذا قورن بعدد سكان غيرها من الدول . ولكن السويد أثبتت أن وزن الشعوب فى المجال الدولى لا يقاس بعددهم ـ بل بثقافتهم وعلمهم ونشاطهم ، وبالمبادىء الانسانية التى يعتنقونها .

فاذا أخذنا جانب التعليم مثلا لوجدنا أن السويد أدخلت التعليم الالزامى فى المرحلة الابتدائية منذ عام ١٨٤٢ ، أى منذ أكثر من قرن وربع قرن . أما فى الوقت الحاضر فان بها ٩ جامعات

و ٥ كليات للمعلمين ، و ٤ مدارس للخدمة الاجتماعية والادارة العامة ، و ٣ معاهد تكنولوجية ، ومعهدين للألعاب الرياضية ، وأكاديميتين للعلوم التجارية ، وكليتين للصحافة ، وأكاديمية للفنون ، وكلية للموسيقى ، وكلية لدراسات الغابات ٠

أليست هذه القائمة تنتزع اعجابنا بذلك الشعب الذى لا يتجاوز تعداده ثمانية ملايين ؟

وأما الموارد الطبيعية فى السويد فأهمها الحديد الخام ، والغابات ، والقوى المائية ٠ والحديد السويدى هو ذلك النوع الممتاز الذى يطلق عليه اسم « ماجنيتيت » أو الحديد المغناطيسى ، وتستورد الدول الصناعية الكبرى كميات كبيرة منه لانتاج الأنواع الجيدة من الصلب ٠ وأما الغابات فانها تغطى ٥٥٪ من مساحة البلاد ، ومعظم أشجارها (٨٥٪) من الأنواع الصنوبرية ويقطع منها سنويا ما يعادل نحو ٥٠ مليون متر مكعب ، نصفها تقريبا يدخل فى عمل لب الخشب ، وحوالى ٢٠ مليون متر مكعب فى شكل أخشاب للصناعة والباقى يستهلك محليا كوقود ٠ ويهتم السويديون بغرس أشجار جديدة كل عام لتعويض ما يقطع منها حتى لا يأتى يوم ينضب فيه هذا المورد الاقتصادى الهام ٠

وأما القوى المائية ، فمن حسن حظ السويد أن الجبال

المرتفعـة توجد فى منطقة الحـدود الغربية بينها وبين النرويج فتنحـدر منها الأنهار السريعة الجزيان نحو الشرق لتصب فى بحر البلطيق • وكادت السويد تستغل بجميع مواردها المـائية التى تصلح لانتاج الطاقة الكهربية ، وبلغت الطاقة المستغلة فعلا نحو ٥٠ ألف مليون كيلو واط ساعة ـ أى خمسة أمثال طاقة السد العالى فى الجمهورية العربية المتحدة • ويتوقع الخبراء أن أى توسـع فى استخدام الكهرباء فى العشر السـنوات القادمة سوف يعتمد على محطات حرارية تعمل بالطاقة الذرية •

وقد تمكن شعب السويد من اقامة عديد من الصناعات عـلى هذه الموارد ؟ فالصلب السويدى لا يفضله نوع آخر ، ولذلك فان ما يصنع منه ـ مثل كرات ومحاور الاحتكاك ـ يكاد يكون احتكارا عالميـا • وفضـلا عن ذلك توجد صناعات راقية للعدد اليدوية والحفارات التى تستخدم فى المناجم والتوربينات المائية والآلات البخارية وغيرها من التى تعمل بضغط الهواء ، وأجهزة التبـريد وماكينات الخيـاطة والتليفونات والسـيارات والسفن والطائرات والآلات اللازمة لاقامة مصانع للورق •

وقامت على الأخشاب صناعة فنية للأثاث ، فضلا عن صـناعة الورق والكبريت • وجميع هذه الصناعات لها أسواق عالمية مما يجعل صادرات السويد تبلغ نحو ٤٥٠٠ مليون دولار فى العام •

ويمكننا أن ندرك ضخامة هـذا الرقم اذا علمنا أن نصيب الفرد في السويد من قيمة الصادرات السنوية لبلاده نحو ٥٦٢ دولارا ، في حين أن نصيب الفرد في بريطانيا لا يتجاوز ٢٥٠ دولارا ، وفي الولايات المتحدة أقل من ١٥٠ دولارا .

وتعتبـر السويد من الدول الرائدة في تطبيق نظـم التـأمين الاجتماعي . فالتأمين اجباري ضد البطالة والمرض والاصابة ، والعامل الذي يتعرض للبطالة يحصل على نحو ثمانية دولارات في اليـوم ، عـلاوة على دولارين عن كل طفـل . واذا بلـغ رجل وزوجته سن الشيخوخة صرف لهما حوالي ١٥٠٠ دولار سنويا ، في حين تحصل الأرملة على نحو ٩٠٠ دولار في السنة ، والتأمين الصـحي يكاد يشمل جميع نفقات العـلاج والدواء والعمليات الجراحية .

ولعل أهم ما يجعل الشـعب السويدي قريبا الى قلوبنا نحن العرب أنه شعب محب للسلام مناهض للتفرقة العنصرية ، فقـد أعلنت السويد سياسة الحياد منذ عام ١٩٠٥ وحافظت على حيادها هذا في الحربين العالميتين . ومن مظاهر حيادها أنها لم تشـترك في أي تجمع أو حلف عسكري ، ولذلك فهي ليست عضوا في حلف منظمة شمال الأطلنطي .

تقــديم

ويهتم السويديون غاية الاهتمام بالرياضة البدنية • فهم الذين ابتدعوا « الألعاب السويدية » التى نعرفها جميعا ، والتى تعتبر من أسس اللياقة البدنية • ولا يحول ثلج الشــتاء دون ممارسة السويديين للرياضــة ، بل انهم اتخــذوا من الثلج ذاته مسرحا لبعض ألعابهم المفضلة مثل التزحلق والقفز • ويستطيع القارىء العربى الذى قد تتاح له فرصة زيارة هذه البلاد أن يعيش مع شعب السويد من خلال مطالعته لهذا الكتاب الذى تقدمه مؤسسة فرانكلين ضمن سلسلة « حول العالم فى كتب » •

ولا أشك فى أن القارىء سيجد متعة ذهنية فى مطالعة هــذا الكتاب الذى يصف لنــا بلادا جميلة ، ويعرفنا بشــعب نبيــل صديق ، ونأمل أن تؤدى هذه المعرفة الى تحمس الشباب العربى الى محاكاة شعب السويد فى طلب العلم وفى التقدم الصــناعى والتــكنولوجى ، وهى جــوانب ما زلنا فى حاجة الى مزيد من الاهتمام بها •

مقدمة

لا تقاس أهمية الأمة دائما بمساحتها . فنحن نعرف الدور الكبير الذى لعبته دول صغيرة مثل اليونان وفلسطين فى تاريخ الانسانية .

واليوم ، ومع أن عدد السويديين يقل عن سبعة ملايين نسمة* فانهم أمة من أكثر الأمم اثارة للاهتمام عند دراستها . فنحن نعلم أن من مشاكل عصرنا الهامة أن نقرر اذا ما كان الناس سيكونون أفضل حالا اذا قامت الحكومة بالكثير من أجلهم ، أو اذا ما أدى تقديم الحكومة أشياء كثيرة لهم مثل الوظائف والمساكن والعناية الطبية فى النهاية الى جعل الناس كسالى ، وجعل كل شخص أكثر فقرا .

وعندئذ يلزم بطبيعة الحال دفع مقابل لكل هذا ، وعندما يختفى الأغنياء بسبب ما يفرض من الضرائب المرتفعة ، فلن يبقى سوى الأقل ثراء ليدفعوا ، ومن بين هؤلاء الذين عنوا ببذل أكبر جهد فى العمل فكسبوا أكبر مكسب وعليهم اذن أن يدفعوا أكبر قسط . ويعتقد بعض الناس أن هذا ليس من العدالة فى شىء

---

* تعداد السكان عام ١٩٦٢ .

علاوة على أنه سوف يثبط همة الناس فى العمل الجاد ، أو أنه سيضطرهم الى عدم المخاطرة بمدخراتهم لبدء عمل جديد .

ومن ناحية أخرى فانه من المؤكد اذا ما كان كل انسان حرا فى أن يقرر ما سوف ينتجه ومقدار ما سوف ينتجه أو يشتريه فسوف يكون هناك دائما أوقات رواج حيث سينتج أقل مما سوف يشترى الناس أو يستطيعون شراءه ، وأوقات أخرى حيث ينتج أكثر مما يستطيع الناس شراءه ، وعندما يحدث هذا فانه يصعب أكثر فأكثر بين البضائع المنتجة ، ويفقد كثير من الناس أعمالهم ولا يملكون من النقود ما يلزمهم لشراء ما يحتاجون اليه . ويسمى هذا الأمر كسادا .

وهناك خلاف شديد حول مسألة ما اذا كان الشعب يستطيع الاستمرار فى التمتع بالحريات الديمقراطية اذا ما امتلكت الحكومة أو سيطرت فقط على ادارة الأعمال الاقتصادية بصورة مباشرة . ويعتقد الكثيرون أنه يلزم للقيام بالعمل بصورة مرضية ، وللتأكد من أن كل فرد يكسب دخلا طيبا ، أن يكون للحكومة الحق فى أن تقول لكل شخص ما يجب أن يعمله والمكان الذى يعمله فيه .

ان الذين يعتقدون أنه يجب على الحكومة عمل الكثير من

أجل رخاء الشعب ، وأنه ليس من الصواب أن يوجد أناس أغنياء جدا وآخرون فقراء جدا، ولكنهم كذلك يحبذون الحرية الشخصية ، فانهم يقولون ان من الممكن الجمع بين الأمرين • انهم يسمون بالاشتراكيين لأنهم يريدون منح المجتمع حقوقا أكثر تاركين للفرد حقوقا أقل • ويقول آخرون انه سواء أراد الفرد أم لم يرد فان الحكومة كممثلة للمجتمع لم تستطع الامتناع عن انتزاع حرية الناس مادامت تأخذ على عاتقها مسئولية سلامة كل شخص • وهم يجادلون أنك اذا سمحت مرة لاحدى أصابعك أن تمسك بها عجلة الحكومة فلا مفر من أن تتبعها يدك ، وعلى ذلك فان الحيطة تقتضى ألا تمنح الحكومة مثل هذه الواجبات والسلطات الكثيرة • هؤلاء يسمون بالمحافظين لأنهم يريدون المحافظة على المبادىء الأساسية لهذا النظام ، وهى الاقتصاد الحر والرأسمالية •

وهنا يحق القول بأنه أمر هام ومثير للاهتمام أن نعلم أين الصواب وأى اتجاه نؤيد • قد تتساءل الآن ـ ما علاقة كل هذا بالسويد ؟ والاجابة : ان لهذا علاقة وثيقة بما سيأتى :

فلدى السويد حكومة اشتراكية معتدلة عاشت أمدا أطول من أى بلد آخر ؟ فقد وفرت الظروف وأخلاق شعبها اطارا نموذجيا لتجربة معملية مع الاشتراكية ، وتعتبر الاشتراكية ـ أو على

الأقل الصبورة المعتدلة لها والمعروفة باسم « دولة الرفاهية » — الاتجاه « الحديث » على وجه العموم •

ويجب أن نتذكر أن كل الاتجاهات الحديثة أو المستحدثات ليست بالضرورة صوابا ، وأن أسخف المستحدثات مثل القرنول* « الجونلات » الضيقة ، أو أكثر الممارسات بربرية مثل حرق الساحرات والغزوات الاستعمارية ، كانت أيضا اتجاهات حديثة فى وقت من الأوقات • ويجب أن تثير فينا هذه الحقيقة الرغبة فى دراسة كل اتجاه بمقوماته الخاصة قبل أن نساق وراء الجمهور بطريقة عمياء •

لذلك يمكن أن تعطى تجربة السويد الاشتراكية دروسا قيمة لذوى العقول المتفتحة • ويمكن الادعاء بأن السويديين قد وجدوا وسطا سعيدا بين الاشتراكية و « « الفردية الشرسة » ، وأطلق الماركيز تشايلد فى كتاب معروف عن السويد اسم «أرض الطريق الوسط » • ولا يمكن بطبيعة الحال معالجة المشكلة معالجة كاملة هنا ، ولكن لما كانت السويد مسرحا لتجربة عملية نتائجها ذات أهمية حيوية لكل شخص فان هذا سبب اضافى يزيد من رغبتنا فى معرفة شىء عن هذا البلد الجميل وعن شعبه المثير للاهتمام •

* نوع من الملابس المحذلقة • (المترجم) •

تعال معى إلى السويد

يشعر كثير من الشبان بشىء من الأسى عندما يقرءون عن أوربا فيما قبل الحرب أو يسمعون أحد أقاربهم يصفها لهم ، زيادة على شعورهم بالشفقة على ضحايا الحرب ؛ لأنه قد فاتتهم فرصة مشاهدة القارة قبل أن يعمها الفقر وتنتظمها الندوب بعد ست سنوات من الحرب ، وقبل أن يتحطم كثير من الآثار القديمة الجميلة . وبالرغم من كل المساعدات التى قدمت لهم فانهم يتساءلون عما اذا كان سيمتد بهم الأجل حتى يشاهدوا اصلاح ما تم تخريبه . . ولكن لحسن حظ هؤلاء السائحين الشبان أنه ما زالت هناك بعض البلاد باقية ترينا ما كانت عليه أوربا فى أيام ازدهارها . والسويد احدى هذه البلاد القليلة . ولكن السويد ليست مجرد متحف به تحفظ القطع الأثرية فحسب ، بل انها فى نفس الوقت معرض لكل ما هو غاية فى الحداثة .

وانها لفكرة رائعة للسائح أن يقوم برحلة الى السويد بعد زيارته لميادين القتال المحزنة فى العالم القديم ؛ فزيادة على تعلمه لأشياء كثيرة ممتعة فانه سيضمن قضاء وقت طيب للغاية . والطائرة

بطبيعة الحال هي أسرع الطرق وأكثرها متعة للسفر الى السويد .
ورحلة القطار كذلك مريحة ، لأن العربات تنقل بحرا من
الدانمرك عبر قناة أورسند (Oresund) ، وهي الطريق
المؤدي من بحر البلطيق الى بحر الشمال وعرضه ثلاثة أميال
فقط بين هلسنجور (Helsingor) . وهالسنجبورج *
(Halsingborg) ، وقد يصبح الانتقال عن طريق البحر
في القريب غير ضروري حيث تدرس الآن بعض الخطط لاقامة
قنطرة تربط بين هاتين المدينتين أو قنطرة ونفق طوال الطريق
بين كوبنهاجن ومالمو (Malmo) . ولكن في الوقت الحاضر
يسير قطار فيما بين باريس وستوكهولم وبالعكس . وهناك أيضا
رحلات بحرية وجوية مباشرة من نيويورك ولندن .

ومن الحكمة على أية حال أن تحصل على فكرة عامة عن البلد
قبل أن تشرع في رحلتك ، فقد تختار فصلا غير ملائم وتحمل
معك الملابس غير المناسبة ، وتسيء حساب المسافات ، أو ربما تجد
نفسك بين جبال جميلة المنظر ، ولكنها جرداء في حين أنك مهتم
بالقلاع القديمة .

---

* هلسنجور مدينة دانمركية مقابلة لمدينة هالسنجبورج
السويدية . ، انظر الخريطة . (المترجم) .

وقبل كل شيء فمن الخطأ الجسيم أن تفكر فى السويد على أنها بلد صغير ينتمى الى قارة صغيرة .. انها تشغل الجزء الأعظم من شبه جزيرة سكنديناوة وتعد من أكبر بلاد أوربا ، اذ تأتى الخامسة فى الترتيب (من حيث المساحة) ؛ فمساحتها قدر مساحة بريطانيا مرة ونصف مرة . فهى فى مساحة كاليفورنيا التى تشبهها أيضا فى الشكل . ولو طابقنا بين خريطة السويد وخريطة أمريكا فان السويد ستمتد من نيويورك الى لبرادور ، ولو طابقنا بينها وبين خريطة القارة الأوربية فانها ستمتد من كوبنهاجن الى نابولى . وهكذا فهى تغطى مساحة كبيرة من الأرض . ولحسن الحظ فان السفر سهل مهما تكن الطريقة التى تفضلها . ولدى السويد أكثف شبكة سكة حديدية فى أوربا بالنسبة لعدد السكان . وقطاراتها مريحة ونظيفة للغاية ، فهزاتها قليلة ومنعدمة الدخان ، لأنها غالبا ماتدار « بالفحم الأبيض » ؛ أى بالكهرباء . وهى كذلك رخيصة ما لم يكن الشخص مليونيرا ويريد أن يركب بالدرجة الأولى فى عزلة رائعة ويدفع ثلاثة أضعاف ثمن تذكرة الدرجة الثالثة . وعربات الدرجة الأولى قليلة حقا وان كانت الدرجة الثانية تعتبر فى مصاف الدرجة الأولى من حيث الراحة والخدمة .

وقد تستطيع السفر بالسيارة ، ولكن ٨٠٪ فقط من الطرق

الرئيسية ذات سطح مستو دائم ، فى حين أن باقى الطرق ليست دائما صالحة لأنها مليئة بالحصى رغم ما بها من تراب . ومع ذلك فان السويديين يبذلون مجهودات عظيمة لتحسين طرقهم وقد أوشكوا على الانتهاء من الجزء الذى يخصهم فى الطريق الرئيسى الممتد من لشبونة الى هلسنكى .

وبالنسبة لكونها بلدا أوربيا ، فان السويد تعتبر ذات سكان متخلخلين ، بنسبة ٤٢ نسمة للميل المربع ، وهذا هو نفس الرقم بالنسبة للولايات المتحدة ، ولكن أكثر من ٨٠٪ من السويديين يعيشون فى الجزء الجنوبى الذى تبلغ مساحته ٤٠٪ من المساحة الكلية . وكذلك بالرغم من أن السبعة ملايين ونصف مليون سويدى يفهمون ميكانيكا السيارات الا أنه لا يملك سيارة الا كل ستة أشخاص ، على حين يملك كل ثلاثة أمريكيين واحدة . ولهذا يستخدم السويديون الدراجات ، لأن السيارات السويدية مرتفعة الثمن حيث ان السوق أصغر من أن تستوعب الانتاج بالجملة . ولا تنتج السويد الزيت ، كما يجب أن تستورد البنزين كذلك . وعندما قامت الحرب العالمية الثانية ولم يكن ممكنا الحصول الا على النزر اليسير منه ، بدا وكأن السيارات كلها ستبقى فى حظائرها طوال مدة الحرب . ولكن لحسن الحظ وجدوا حلا . وأديرت السيارات بوساطة غاز الفحم

النباتى ، وحملت كل سيارة أجهزة الغاز الصغيرة الخاصة بها ، وبدلا من أن تقف لتحصل على عشرين جالونا من البنزين كنت تقف لتحصل على حقيبة من فحم الخشب أو الفحم النباتى •
وسار هذا النظام بنجاح ملحوظ ، لولا أن السائق كان معرضا لأن يبدو كمنظف المداخن ، وأنه كان على الفرد أن يتجنب التلال شديدة الانحدار • وفى الحقيقة مازال هذا النظام متبعا فى أوربا على نطاق واسع ، وبخاصة بالنسبة لسيارات النقل •

ومهما تكن أسباب قلة عدد السيارات فى السويد فان هذا لا ينطبق على سيارات الأتوبيس ، فانك لتجد خطوط أتوبيس ممتازة حتى فى أقصى أجزاء الشمال •

واذا كنت لأى سبب لا تهتم بالسيارات ولا القطارات فانك تستطيع الذهاب الى معظم الأماكن فى السويد بالسفينة اذا لم تكن فى عجلة من أمرك • فأولا نجد أن الخط الساحلى يبلغ طوله خمسة آلاف ميل • ثم ان هناك أنهارا كثيرة صالحة للملاحة و ٩٦ ألف بحيرة يرتبط الكثير منها بعضه ببعض كما تنتظم حبات الخرز فى سلسلة • وقد قام الانسان بايجاد حلقة الاتصال فى أماكن عديدة حيث أهملت الطبيعة ذلك • فمثلا تربط قناة « جوتا » (Gota) الشهيرة بحر البلطيق ببحر الشمال ، وذلك بالربط بين البحيرات العظمى فى وسط السويد

وباستخدام بعض الأنهار . وتستطيع السفن أن تعبر متجاوزة الارتفاعات التى قد تبلغ أكثر من ثلاثمائة قدم بواسطة قناة ذات عدة أهوسة . وكان هذا عملا هندسيا رائعا عندما تم انجازه منذ مائة عام قبل بزوغ عصر السكك الحديدية . وقد أقيم ـ جزئيا ـ لأغراض تجارية ، ولكن أساسا لتمكين السفن الحربية من المرور من ساحل الى آخر دون أن تضطر الى مواجهة تحدى البنادق الدانمركية على ساحل خليج أورسند فى حالة الحرب . واليوم فان قيام حرب بين البلدين أمر لا يخطر على البال ، وعلى أية حال فان القناة أضيق من أن تتسع للسفن الحديثة . ومن فوائدها أن تحمل السائحين فى قوارب صغيرة لرحلات بحرية قصيرة تمتد ثلاثة أيام عبر مناظر طبيعية جميلة . واذا ترك لك أمر اختيار ملابسك اللازمة لرحلتك الى السويد على أساس نظرة سريعة لخريطتها فحسب ، فان النتيجة سوف تدعو للأسف ، فقد يكون موقع جنوب السويد فى أقصى الشمال مثل ألاسكا دافعا لك لأن تملأ حقيبتك بالفراء والملابس اللازمة لرحلة قطبية ، وخاصة اذا كنت تنوي أن تتضمن خطتك اقليم لابلاند (Lapland) فيما وراء الدائرة القطبية حيث لا تغرب شمس منتصف الليل مطلقا من نهاية مايو حتى منتصف يوليو . وانه لمن الخطأ الجسيم أن تحط رحالك في السويد محملا بالمعاطف الثقيلة التى يرتديها سكان سيبريا وألاسكا .

وبطبيعة الحال لا يمكن أن يكون المناخ متماثلا فى كل مكان فى بلد يمتد ألف ميل من الشمال الى الجنوب • وعلى العموم فان متوسط الحرارة فى السويد يزيد عشرين درجة عنها فى معظم البلدان التى تقع على نفس خط العرض • والاستثناء الوحيد من هذا هى لابلاند التى تعزلها الجبال عن الرياح الغربية الدافئة ، ولكن حتى فى هذه المنطقة يكون الجو حارافى الصيف ، وذلك بفضل شروق الشمس المتصل طوال أيام وليال لا تشوبها السحب •

وتدين السويد بمناخها المعتدل نسبيا ، بالمقارنة بمناخ مين Maine ، الى تيار الخليج ، ذلك التيار من الماء الدافىء الذى يجرى من خليج المكسيك عبر الاطلنطى الى سواحل انجلترا وسكنديناوة • وبدون هذ التيار كان من المحتمل ألا يؤهل من السويد سوى طرفها الجنوبى •

ان معرفتنا بأن مناخ انجلترا ، والنرويج ، والسويد ، عرضة لنفس التأثير ، قد تقودك الى ارتكاب خطأ آخر فتحزم حقيبة مليئة بالأدوات المطاطية الواقية من المطر والمظلات والجلود المشمعة قبل الرحيل الى السويد • ولكن هذا لن يكون ضروريا • ولو فرضنا أنك اخترت أحسن فصول السنة

لرحلتك ـ أواخر الربيع وأوائل الصيف ، وذلك عندما يسود الضوء حتى انه فى ستوكهولم يستطيع الانسان مشـــــاهدة المناظر الجميلة عشرين ساعة كل يوم ـ فانك سوف لاتعبأ بالمطر والضـباب الا قليـلا ، وفى الحقيقة أن الفلاحين السويديين كثيرا ما يشكون من جفاف الصيف • ويكمن تفسير الاختلاف

الواضح بين مناخ السويد والنرويج فى سلسلة الجبـال التى تفصل فى الشمال بين البلدين مكونة العمود الفقرى لشـــبه الجزيرة ، فهى ترغم السحب المطيرة التى تأتى من الاطلنطى على أن تسقط معظم ما بها من أمطار فـــوق النرويج وتدع السويد تنعم بمناخ ممتع للغاية ـ فيما عدا التيـــارات الهوائية الثلجية التى تهب بين الحين والآخر فى الشتاء ـ وذلك عندما تسيطر الرياح الباردة الآتية من الشرق •

وعندما تصل بالطائرة الى مالمو (Malmö) ثالث مدينة فى الســويد ، وفى الميناء البحرى الهـام الذى يقع عـلى بعد خمسة عشر ميلا فقط من كوبنهاجن عبر مضيق أورسند مباشرة، فسوف تجد نفسك ميالا الى مواصلة الرحلة بالطائرة أولا الى ستوكهولم، ومن هناك الى لابلاند تستمتع بمنظر رائع للبلد من الجو • وبالتقدم شمالا ستحلق أولا فوق السهول الشـديدة

الخصب فى اقليم سكونه Skane الذى يبـدو وكأنه جزء من الدانمرك أكثر مما هو جزء من السويد • فالشـطئان رملية ، فى حين أن معظم الخط الساحلى فى أى مكان آخـر فى السويد متعرج بصورة غير عادية ــ يتكون أحيانا من صخور منخفضة وأحيانا أخرى من أجـــرف تحيط بالخلجان حيث تشكل على الساحل الغربى صورة مصغرة من الفيـــوردات النرويجية • وفى أماكن كثيرة على الساحل تمتد الغابات حتى البحر ، وكذلك على الجـــزر التى لا حصر لها أو الشعب الصخرية التى تحاذى الساحل والتى تعتبر جنة بالنسبة لهواة القوارب • أما فى أماكن أحرى فان الصخور تبدو جـــرداء مقفرة •

واذا نظرنا الى الساحل من أعلى فانه سيبدو موحشا مقفـرا باستثناء أعداد لا حصر لها من الأشرعة البيضاء التى تزين البحر فى الصيف بخلاف الأنهار والبحيرات • فقد أصبحت المراكب شراعية أو بخارية ، فضلا عن الدارجة ، من الضروريات لأحفاد الفايكينيج ، تماما كما هى حال السيارة للمواطن الأمريكى • أما الشىء الذى لا يتمكن المسافر بالطائرة من رؤيته فهـــو تلك الأكشاك الخشبية الصيفية التى لا حصر لها والتى تختفى تحت الأشجار فى أراضى الدولة الأصلية أو على الجزر •

ومقاطعة سكونه هى المزرعة التى يعتمد عليها السويديون فى انتاج القمح لخبزهم اليومى ، ويحدث انتقال سريع - أسرع كثيرا مما يتمناه السويديون - من مزرعة القمح هذه الى مقاطعة سمولاند التى تكسوها الغابات والتى تشغل الجزء الأوسط من جنوب السويد . وابتداء من هذه المنطقة تبدو الطبيعة ممثلة لبلاد السويد أصدق تمثيل . فاذا نظرنا اليها من أعلى فسنجدها تشبه بساطا هائلا أخضر اللون ذا حاشية غير منتظمة ذات لون أخضر فاتح تنتشر فوقها بقع زرقاء زاهية . أما الأرضية الخضراء الداكنة فتكونها الغابات ذات الأشجار الدائمة الخضرة التى تغطى أكثر من ٥٠ ٪ من مساحة البلد . وحتى فى النصف الجنوبى من السويد فان المزرعة المتوسطة تشتمل على ثلاثة أفدنة انجليزية من الغابات فى مقابل فدان من الأرض المنزرعة . وتكون المراعى والحقول البقع ذات اللون الأخضر الفاتح ، وتكون البحيرات البقع الزرقاء . واذا لم تكن تطير على ارتفاع كبير فانك تستطيع أن ترى نقطا رمادية وأخرى حمراء فى كل مكان . أما الأولى فهى الصخور والأحجار التى تبرز وسط الخضرة والثانية هى بيوت المزارعين . ويبدو أن أحدا لايعرف السبب بالضبط فى طلاء هذه البيوت باللون الأحمر . ربما لأن اللون الأحمر كان أرخص طلاء يمكن الحصول عليه فى بلد كان ذا يوم غنيا بخام النحاس الأحمر ،

وبمضى الزمن أصبح لونا تقليديا ٠ وكذلك فان العثور على منزل أحمــر فى أثناء عاصــفة ثلجية أســهل من العثــور على منزل أبيض ٠

ولكن سرعان ما تجد أن التلال تختفى مرة أخرى ويحــل محلها السهل السويدى الأوسط الذى يمتد حوالى ثلاثمائة ميل عبر البلد كله من ستوكهولم الى بحر البلطيق الى مدينة جوتبرج (Göteborg) فى مواجهة البحــر حيث خليــج كاتجــات (Kattegat) ثم ينغمر تحت خليج سكاجيراك (Skagerrak) الذى جرت عليه المعركة المشهورة بين البريطانيين والألمان فى الحرب العالمية الأولى ٠ ولكن السهل الأوسط ليس فى انبساط ســهل سكونه فى أى جزء من أجزائه ، فهناك قليل من التلال الصغيرة والمرتفعات المســتديرة الشــكل ٠ وأكثر التضــاريس وضوحا هى البحيرات الأربع العظيمة : مولارن (Malaren) بالقرب من ســـتوكهولم ، وفــوترن (Vattern) وهولمارن (Hjalmaren فى الوســـط وفـــونيرن (Vanern) شـــمال شرقى جوتبرج ٠ وهى بحيرة ذات منظر خلاب ٠ فهى أكبــر بحيرة فى أوربا خارج روســـيا ، وهى تفسر كيف تغطى البحيرات حوالى ١٠٪ من مساحة السويد ــ تقريبا ــ أى نفس نسبة الأرض الزراعية ٠

وعلى بعد أقل من خمسين ميلا شمال بحيرة فونيرن تنتهى الأراضى المنزرعة تقريبا وتبدأ مرتفعات دالارنا ، وذلك فيما عدا شريطا ضيقا على الساحل الشرقى فوق ستوكهولم يسمى أبلاند (Uppland) . وفيما وراء مرتفعات دالارنا عبر ثلاثة أخماس السويد تمتد الغابات التى لانهاية لها وجبال نورلاند. وفى جزئها العلوى فى لابلاند ، تختفى الغابات تدريجيا لتحل محلها المستنقعات والقمم الجبلية التى تعطى للجبال منظرا خلابا . وفى القسم الشمالى الغربى من البلد بالقرب من حدود النرويج يرتفع أعلى جبال السويد وهو « كبنكيس » (Kebnekaise) الى حوالى سبعة آلاف قدم .

واذا أظهرت ما يكفى من حب الاستطلاع وكنت من حسن الحظ بحيث جلست فى الطائرة بجانب شاب سويدى ثرثار ، فسوف تكتشف بطريقة سهلة أشياء كثيرة مثيرة للاهتمام عن البلد الذى تطير فوقه . ولما كنت أجنبيا فانك ستجد فرصة سانحة لكى تبدأ بالحديث ، وهى فرصة لاتتاح لك لو أنك سويدى ؟ وذلك لأن السويديين فخورون بالحقيقة التى تقول (a Swede is silent) وهى شعار من شعارات الحرب معناه أن « السويدى انسان صامت » ، وبلغة انجليزية سهلة ان « السويدى كتوم » . وتبين هذه الجملة الصغيرة أنه بالرغم من

العلاقة الوثيقة بين السويدية والانجليزية فان السويدية ليست دائما سهلة الفهم ، وبخاصة اذا كانت منطوقة ، وذلك لأن النطق السويدى ـ أو الهجاء السويدى اذا شئت بتعبير آخر ـ ملىء بالبهرجة كما فى الانجليزية • فكلمة (tiger) تنطـــق (teeger) فى السويدية •

ومن ناحية أخرى فان السويدى مؤدب للغاية ، وتســتلزم الأخلاق الطيبة أن يكون الانسان مهـــذبا مع الأجانب • فاذا تحدثت اليه فانه سينحنى ويقدم اليك نفسه فلا تظنن أنه غاضب وأنه يسبك اذا ما انحنى الى الأمام متمتما : سفن سفنسن • ان هذا هو اسمه الشخصى ، وتستطيع أن تجيب بهدوء : «جوبراون» أو « مارى سمث » • وسوف يتصادف أنه يعرف كيف يتحدث انجليزية سليمة ، وسيستطيع شرح كل ما تود معرفته • ومن المحتمل أنه سيبدأ باخبارك ، وهو فخور ، أن السويديين من الأمم القليلة فى العالم التى تستطيع أن تدعى انحدارها مباشرة من « أقدم السكان » ولم تكن مضطرة لغزو أمة أخرى ، كما لم يحدث على الاطلاق أن هزمهم أى غاز من الغزاة • فكـل ما حدث هو أن بعض القبائل الجرمانية الصغيرة تحركت نحو الشمال عندما أخذ الجو فى الدفء نتيجة لتراجع الغطاء الجليدى القطبى منذ حوالى ١٥ ألف سنة • ومما سهل تحرك هذه القبائل

أن جنوب السويد كان جزءا من القارة الأوربية ، وأن منفذ بحر البلطيق الى بحر الشمال كان يمر بوسط السويد بدلا من مروره فى مضايق أورسند وكاتيجات • وتحتل قناة جوتا الجزء الجنوبى من هذا الممر المتسع •

ولكن منذ حوالى عشرة آلاف سنة حدث شىء غريب • فقد ارتفعت السويد ببطء شديد فى الشمال ، ربما لأنها تحررت من ثقل الجليد الهائل ، وغاصت فى الجنوب مثل النواسة * ، وهكذا فتحت طريقا جديدا للبحر • وفى الحقيقة أن السويد الوسطى ما زالت ترتفع • ويستطيع المرء أن يرى أحجارا أثرية ذات كتابات سكندنافية قديمة تحدد مكان وصول أحد رجال الفايكينج عند عودته للوطن يصف فيها رحلته الناجحة، وتثبت هذه الأحجار أنه منذ ألف سنة فقط وربما كان هذا الوادى خليجا صغيرا ، وهناك كذلك أسر قديمة منح أسلافها جزرا بعينها بواسطة الملك كمكافأة على خدماتهم، وهم الآن يقاومون بشدة مطالبة الحكومة لهم بأن يتخلوا عن الأطراف الخارجية لهذه الجزر التى ارتفعت تدريجيا فوق مستوى سطح البحر والتى ترى الحكومة أنهم لا حق لهم فيها •

---

* لعبه يمارسها الأطفال ، عبارة عن خشبه يتأرجح عليها طفلان يجلس كل منهما على طرف من طرفيها • (المترجم)•

وسوف يشرح لك صديقك الجديد بلاشك أن هذا الحدث الجيولوجى كان منحة الهية بالنسبة للسويد • حقا فلولاه لكان من المحتمل ألا توجد السويد على الاطلاق الا كجزء من ألمانيا أو الدانمرك ، وعلى كل حال كان سينقصها مصدر غذائها •

ولقد أحسنت الطبيعة الى السويد • اذ مع أنها ليست جزيرة الا أنها تملك كل مميزات الجزيرة ؛ لأن لابلاند حلقة الوصل فى الشمال بالقارة الأوربية جرداء ووعرة ، حتى انه من الصعوبة بمكان أن يعبرها جيش غاز وكأنها بحر • وسجل سكنديناوه بهذا الخصوص أفضل من سجل انجلترا اذ لم يغزها أحد بنجاح على الاطلاق • زيادة على أنها لا تقع على طريق الغزاة الممهد ، ومنذ عهد قريب فحسب عرفت القيمة العظيمة لمصادرها الطبيعية الرئيسية • حتى انها أثارت شره القوى العظمى • هذا فيما عدا اقليم سكونه ، فالأرض المنزرعة ليست خصبة بما فيه الكفاية واكتشفت فى النصف الثانى من القرن الماضى فقط عمليات جديدة لصنع الصلب من خام الحديد وصنع الورق من الخشب فاكتسبت هذه المواد الخام قيمة حقيقية •

لهذه الأسباب ـ الى حد كبير ـ ولأن السويديين كانوا قد سئموا الحرب ، فان السويد لم تشترك فى حرب لمدة أكثر من مائة وثلاثين سنة • فلا عجب أنها أصبحت الآن دولة غنية •

وسوف يوضح لك صديقك بلا شك أن السويد هى أقدم وحدة قومية سياسية فى أوربا • فقد أسست مملكة السويد حوالى عام ٦٠٠ بعد الميلاد ، وذلك عندما قهر ملك السويديين (واسمهم سفير بالسويدية) الذى عاش شرق وشمال البحيرات العظمى ، ملك القوط (Götar) الذى عاش فى الجنوب ، وذلك بعد حروب ضروس جاء وصفها فى الملحمة الانجلو سكسونية القديمة المسماة بوولف (Beowulf) •

وفى الماضى السحيق كان القوط أكثر حبا للمغامرة من السفير* • ومنذ ألف وستمائة سنة ، فى حين كان السفير، يقبعون فى منازلهم كان القوط قد استولوا على روما ، بل وسلبوها كما فعلوا بأماكن مشهورة أخرى • ولكن اليوم لايستطيع الانسان أن يدرك الفرق بينهم • ولا يذكر ناشىء بأنه كان هناك فى يوم من الأيام مثل هذين القسمين سوى أن جنوب السويد مازال يشار اليه باسم جوتلاند (Götaland) وان الجزء الأوسط من السويد يعرف باسم ستيالأند •

---

* اسم القوم الذين كانوا يقطنون الجزء الأوسط من السويد (Svea) ويطلق على الاقليم ذاته سفيالاند Svealand) (المراجع) •

وتسمى الأرض التى تقع شمال سفيلاند ــ وهى ثلاثة أخماس السويد ــ باسم نورلاند • ويشغل نورلاند الآن أكثر من مليون نسمة ، ولكن منذ حوالى مائة عام عندما أصبح الخشب وخام الحديد ومساقط المياه التى هى مصدر للقوى الكهربية ، ذات قيمة بدأ الشباب فى « الاتجاه الى الشمال » ؟ فقد كانت المنطقة غير مأهولة تقريبا فيما عدا بضعة آلاف من اللاب (Lapps) والفن (Finns) الرعاة الرحل • وهؤلاء هم الجماعة الوحيدة التى تنتمى الى جنس مختلف • ولذلك فلا غرو أن كل السويديين فى الريف والمدن الصغيرة على أية حال ، يبدون متشابهين ــ طوال القامة وشقرا ، ويستطيع المرء أن يشاهد القليل منهم فى الولايات المتحدة ، لأنه يعيش هناك مايقرب من نصف مليون شخص ولدوا فى السويد • وفيما بين الحرب الأهلية* والحرب العالمية الأولى هاجر أكثر من مليون سويدى الى الولايات المتحدة استقر أغلبهم فى الغرب الأوسط •

وهكذا ترى أن السفر فى السويد بالطائرة يمكن أن يعلمك الكثير فى وقت قصير جدا • ولو راجعت نفسك قد لاتبدو الفكرة جذابة تماما • فسوف تحصل على فكرة عامة جدا عن الأرض والشعب وسوف تنساها بسرعة • ان المرء ليتذكر بصورة أفضل

* الحرب الأهلية الأمريكية ١٨٦٠ ــ ١٨٦٥ • (المترجم)•

التفاصيل المثيرة عندما يراها عن قرب • واذا ماتوافرت التفاصيل الكافية فانها تعطى عندئذ صورة أقرب الى الحياة • ولذلك فمن الحكمة حقا أن تسافر برا حتى تستطيع أن تحصل على عدد من اللقطات عن قرب • وهى فى الحقيقة جديرة بكل ما تبذله من جهد ، فلا بد أنه قد وضح لك أن السويد من أجمل بلدان المنطقة المعتدلة ؛ فهى تفخر بكل أنواع المناظر الطبيعية تقريبا من السهول الخصبة المستغلة فى الزراعة الى أقصى حد فى اقليم سكونه فى الجنوب ، الى جمال لابلاند المفرط بجبالها وأنهارها الجليدية وشلالاتها • وهناك فى كل مكان آخر تجد الجبال والمراعى الخضراء والأشجار والأنهار والبحيرات والصخور مع تفاوت فى النسب والأنماط فحسب • والغابات دائمة الخضرة فى الغالب ولكن تتخللها أشجار التامول التى تبدو أوراقها الدقيقة ولحاؤها الأبيض واضحة الى جوار أشجار التنوب الداكنة* ، والصنوبر ولو أن هذه الألوان والأشكال المتناقضة انعكست على صفحة بحيرة زرقاء فانها تمثل علامة مميزة للمناظر الطبيعية السويدية •

---

* أشجار التامول والتنوب من أشجار المناطق الباردة •
(المترجم) •

وقبل أن نذهب بعيدا نرى من الأفضل أن نوضح أن القارىء سوف لايجد فى الفصول القادمة وصفا لكل الأقاليم السويدية • والا أصبح هذا الكتاب مجرد مرشد للسائح • والصعوبة هى أن السويد بلد ملىء بالتنوع ، ملىء بأشياء كثيرة جميلة ومثيرة للاهتمام ، حتى ان كل ما يستطيع المرء أن يفعله فى كتاب تعريف بالبلد (مثل كتابنا هذا) هو أن يبين بعض ما يمكن أن تقدمه لك بعض هذه الأقاليم •

ولما كان أيسر الطرق الى السويد فى الأوقات العادية ـ ما لم تسافر بالسفينة أو الطائرة من نيويورك أو لندن ـ عبر الدنمارك أو ألمانيا ، فاننا سنصف الأقاليم الجنوبية بتفصيل أكثر ، مبتدئين باقليم سكونه ، والذى يعرف باسم سكونيا أو سكانديا ، وهو الاسم اللاتينى الأصلى لاسكنديناوة كلها •

٢

من الموانى إلى القلاع الريفية

لايبدو على اقليم سكونه أنه سويدى حقا ؛ فقد أزيلت معظم غاباته منذ زمن بعيد ، وذلك لارتفاع أسعار أشـــجار البلوط والزان فى أيام السفن الشراعية ، كما أن سهوله كانت أكثـر قيمة كأرض زراعية . ولكن بقيت هنا وهناك بعض غابات الزان ، وهى من أجملها قاطبة . والمناخ هنا من الاعتدال بحيث يمكن أن تنضج الكروم والقسطل لو تحقق لها شىء من الرعاية . وكما تتوقع فان هذا الاقليم من أكثف أقاليم السويد سكانا ، ولـكن هذا لا يعنى أنه شديد الاكتظاظ بالسكان ، لأن هناك متســـعا كافيا لكل انسان فى السويد ، حتى فى سكونه حيث يوجد ٢٥٠ نسمة فى المتوسط لكل ميل مربع .

وتنقسم معظم الأرض فى سكونه ، كما فى أى مكان آخر فى السويد ، الى مزارع مساحة كل منها تتراوح بين عشرة أفدنة وأربعين فدانا انجليزيا ، وهى تعتبر فى أوربا مزارع متوسطة المساحة ، ولكن لهذا الاقليم نصيبه كذلك من الملكيات الكبيرة التى يمتلكها نبلاء يعيشون فى قصور جميله بنيت منذ زمن طويل ؛

اذ بنى بعضها فى القرن الخامس عشر • أما « القلاع » الأحدث فهى مجرد قصــور ريفيــة جميلة وضخمة • ويبــدو كثير من الحصون القديمة كالحة الشكل ، ومازالت محاطة بالخنــادق والجسور المتحركة لأنها كانت فى يوم من الأيام قلاعا يعيش فيها الفرسان وأتباعهم • وكان هؤلاء الفرسان هم الضـــباط العسكريين فى تلك الأيام ، وبدلا من أن تكون لهم رتب عسكرية مثل : اللواء ، والعميد ، والنقيب ، كانوا : دوقات ، وكونتات ، وبارونات • وكان الفارق الجوهرى أن رتبهم كانت وراثية ، وبدلا من أن يتقاضوا مرتبات كانوا يحصلون على دخولهم من أملاك يمنحها الملك اياهم • ولكن فى مقابل هذا كان عليهم أن يحتفظوا بجنود على حسابهم الخاص ، وأن يجهزوا خيلا وعددا حربية وأسلحة مما كانوا يحتاجون اليه • وكانت هذه الأسلحة تكلفهم الكثير ؛ اذ كانت تصنع بطريقة يدوية من أقوى أنواع الصلب • وهكذا لم يكن الفرسان فى حال من اليسر الا عندما كانوا يغزون بنجاح بلدا غنيا ويعودون بغنائمهم أو أسلابهم التى كانوا يأخذونها من أغنياء التجار عادة • وفى تلك الأيام لم يكن أحد يظن أنه من الخطأ أن تأخذ كل شىء تريده من المهزوم ولو من الأفراد العاديين • وقد أتيحت فرص عديدة لفرسان السويد للسلب والنهب ابان حرب الثلاثين فى القرن السابع عشر عندما كان جيشهم أفضل جيش فى أوربا •

ويوجد فى السويد من القلاع الجميلة فى حالة جيدة عدد أكبر مما فى أى بلد آخر بالنسبة لعدد السكان فيما عدا انجلترا ؛ لأن السويد طوال مئات السنين لم تعان غزوا أجنبيا أو ثورة ، وبمثل هذه الأحوال عادة تتحطم القلاع وتخرب • وتمتلىء معظم القلاع السويدية بالرسوم القديمة والتماثيل وأعمال الحفر ، ولا يعبأ السويديون أن يقولوا لك ان الكثير منها كان من دلائل الانتصار التى عاد بها من الحروب بعض أسلافهم الشجعان المحبين للفن •

وبطبيعة الحال كف أحفاد النبلاء ، فى السويد ، كما فى أى مكان آخر ، منذ زمن طويل عن القيام بواجب حماية الفلاحين وسكان المدن من الغزوات ، كما كفوا أيضا عن التمتع بالامتيازات السياسية المقابلة لهذا العمل • ولكن مازال الكثيرون يمتلكون مقاطعات كبيرة جدا يقومون بزراعتها ويستمتعون بالسكنى فى منازلهم القديمة الجميلة التى يمكن الآن زيارة الكثير منها • وكما قلنا تمتلىء سكونه على وجه الخصوص بالقلاع ؛ لأنه بينما كان الدانمركيون يحكمون هذا الاقليم بنيت هذه القلاع كمعاقل للدفاع ضد السويديين عادة •

وتعتبر شواطىء الاستحمام من مباهج سكونه وهالاند الاقليم

المجاور له ، ويتدافع اليها السويديون زرافات لكى يستمتعوا بالشطآن الرملية والشمس الدافئة •

ويفخر اقليم سكونه بمالمو ثالثة المدن الكبرى فى السويد ، مع أنها ليست كبيرة كما تتصور ؛ اذ أن عدد سكانها ٢٥٠ ألف نسمة (وثانية المدن الكبرى هى جوتبرج ٤٠٠ ألف نسمة ، أما ستوكهولم فأكثر قليلا ؛ اذ أنها ٨٠٠ ألف نسمة) • ولكن ليس لدى السويديين سبب للأسف على ذلك • بل على العكس فقد اتفق المفكرون جميعا على أن اتجاه الانسانية الحديث للاحتشاد فى مدن ضخمة ، تزداد ضخامتها باستمرار ، تطور سىء للغاية • فآثار هذا الاتجاه واضحة فيما يتعلق بالصحة وتكاليف المعيشة ووسائل النقل ومخاطرة فى حالة الحرب أو النزاع الأهلى • فالناس الذين يعيشون فى القرى أو المدن الصغيرة ، حيث يستطيعون امتلاك قطعة أرض ومنزل خاص ، أحسن حالا فى أوقات الكساد • ولأن هناك مساحة كافية من الأرض يجولون فيها ، وبسبب نقص الفحم ، بدأت الصناعات الثقيلة متأخرة فى السويد ، ولما كان لدى السويديين الأمثلة السيئة للمدن الصناعية التى فى انجلترا وألمانيا أمام أعينهم فانه لم تعد هناك تجمعات صناعية بما يتبعها من أحياء قذرة وسخام ودخان ، وبطبيعة الحال لا يرجع عدم وجود هذه الأشياء الى

حكمة السويديين فحسب ، بل لأنه لا يوجد عندهم فحم ، وعليهم أن يديروا مصانعهم بالكهرباء المستنبطة من القوى المائية . وتتوزع معظم المصانع الكبيرة فى السويد على نطاق واسع فى المدن الصغيرة والمتوسطة الحجم ، ونظرا لعدم وجود المداخن قبيحة الشكل فان الانسان لايكاد يحس بوجود هذه المصانع .

أما مالمو فانها مدينة ذات طابع سويدي خالص عمرها حوالى ستمائة سنة . وبالتجاوز عن كونها نظيفة وليس بها أحياء قذرة فان بها ميناء ، (حتى بعيدا عن السواحل توجد موانئ فى كل المدن السويدية تقريبا على بحيرة ما ، وقد يكون الميناء مخصصا للقوارب الشراعية فحسب) ، وبعض المبانى القديمة الجميلة ، وعدد من المبانى الحديثة ذات الشقق ، وحدائق عامة جميلة ذات أشجار عتيقة وأزهار وفيرة ، وكثير من المنازل البسيطة ذات الطابقين بنيت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . وربما يتوقع المرء أن يجد فى المدن السويدية شوارع وميادين كثيرة تصطف على جانبيها منازل من طراز القرون الوسطى أحسنت صيانتها ، مثل تلك التى يجدها فى أوربا الغربية والوسطى ، ولكننا نجدها فقط فى عدد قليل من المدن مثل أستاد Ystad وكالمار (Kalmar) وفيسبى (Visby) فضلا عن ستوكهولم . وتفسير ذلك أن المنازل السويدية كانت تبنى من الخشب ، ماعدا

الكاتدرائيات والحصون التى بنيت من الحجر ، وكان معظمها يدمر بالنار ان عاجلا أو آجلا . وبالرغم من ذلك فان بعضها ما زال قائما فى مالمو بجوار عدد قليل من المنازل التى بنيت من مواد أكثر صلابة مثل كنيسة بترى العظيمة ، التى بنيت حوالى سنة ١٣٠٠ ، وقلعة مالماهوس العتيدة التى بنيت بعد ذلك بمائة وخمسين سنة ، وقاعة مجلس المدينة المسماة راد هوست التى أسست عام ١٥٤٦ . وأصبحت القلعة الآن متحفا مشهورا بأنه كان لمدة سبع سنوات سجنا للايرل أوف بوثويل ثالث أزواج مارى ملكة الاسكتلنديين* . وفى راد هوست يمكنك رؤية قاعة المجلس العتيدة الخاصة بطائفة سانت كنوت (كانوت)** ، رائد ومؤسس الأنظمة الأخوية الموجودة الآن . وكان من واجبات الاخوة أن يساعد كل منهم الآخر على الهروب بعد ارتكاب جريمة ما ، والمساعدة العادية تتكون من امداد الهارب بحصان ومرافقته لحمايته حتى يصل بسلام الى الغابات . ولا يبدو أن ازهاق روح انسان كان يعتبر جريمة ضد المجتمع

* مارى ستيوارت ملكة الاسكتلنديين (١٥٤٢ - ١٥٦٧) . وقد حكم عليها بالاعدام . (المترجم) .

** كنوت أوكانوت (٩٩٤ - ١٠٣٥) ملك انجلترا من ١٠١٦ الى ١٠٣٥ ، وملك الدانمرك أيضا من ١٠١٨ - ١٠٣٥ . (المترجم) .

فى تلك الأيام ، وكان الأخذ بالثأر لهذا العمل من اختصاص رجال القبيلة التى تنتمى اليها الضحية ، واذا وجب العقاب فانه كان يترك عادة لله • ومع ذلك فان طائفـــة سانت كنوت كانت تغضب من أعضائها الذين يساعدون بعضـهم بعضـا لدرجة أن يقتل الواحد منهم أخاه • واذا فعل هذا فانه يدفع غرامة قدرها ثمانية عشر رطلا من عسل النحل • ولم يكن الغرض من هذا كما قد تظن أن يجعلوا الأخ أهدأ طبعا ، لأن العســـل كان يستخدم فى اعداد مشروب العسل المخمر ، وهو مشروب مسكر الى حد ما ، وكان هـذا المشروب مشهورا فى البلدان الشمالية حيث لم تكن تنمو الكروم ، وكانت الخمور المســـتوردة من ايطاليا واسبانيا وفرنسا نادرة وغالية الثمن •

وتقع لند Lund على بعد عشرة أميال من مالمو ، وهى من أقدم مراكز الثقـافة فى الســويد • ويقال ان اسمها مشتق من لوندينوم Londinum ، وهو نفس الاسم الرومانى لعاصمة انجلترا ، وللتمييز بينهما أطلق على المدينة الســويدية لوندينوم جوثوروم ، أى لندن القوطية ، من قبل من يعتقد أنه أسسها وهو كانوت الشهير ملك انجلتــرا والدانمرك الذى عجز عن وقف المد • ولكن ذكر المدينة جاء فى وقت سابق نحو عام ٩٠٠ م • فى ملاحم وأساطير (الساجا) ، وأغلب الظن أن عمل كانوت اقتصر على تشييد الكاتدرائية البديعة عام ١٠٨٠ فى موقع يقال

انه كان يشغله معبد وثنى قديم خاص بالاله أودين* . وكان المهندس المعمارى فنانا ايطاليا جىء به لهذا الغرض من بلاد الراين حيث شيد كثير من هذه الكاتدرائيات، وكان الأساقفة الأوائل فى هذه الكاتدرائية من الانجليز . وأكثر الأشياء اجتذابا لزائرى الكاتدرائية فى الوقت الحاضر هى ساعتها التى ترجع الى القرن الرابع عشر ، وهى أعجوبة من أعاجيب الفن والابتكار . فالى جانب الساعات والدقائق تظهر لنا تلك الساعة عدة تقسيمات فلكية أخرى خاصة بالوقت ، كما توضح مسارات الشمس والقمر والنجوم ، وفى ساعة الظهر نرى فارسين يقرع كل منهما الآخر اثنتى عشرة مرة بسيفيهما على الدروع التى يلبسها كل منهما ، ويخرج موكب من الدمى طول كل منها نحو ثمان عشرة بوصة من باب جانبى لاعادة تمثيل افتتان المجوس (بالسيد المسيح وهو طفل) ، فى الوقت الذى يقوم فيه عازفان على الترومبيت بأداء لحن لاتينى قديم . وقد بلغ من دقة آلات هذه الساعة أن أحد عازفى الترومبيت يرفع آلته الموسيقية ويخفضها فى اللحظة المناسبة كلما بدأ عزفا منفردا أو ختمه .

وتعتبر جامعة لند الثانية فى السويد من ناحية الغمر والمكانة

---

* هو الالة الأعظم فى المثولوجيا التيوتونية القديمة ، ويسمى أيضا فودن ، ومنه استمد يوم الأربعاء اسمه . وقد كان اله الحرب ، والقتلى فى ميادين المعارك واله الحكمة واله الشعر ، وكانت له زوجة تسمى فريج . (المترجم)

بعد أوبسالا ، وهى تضفى على المدينة جوا خاصا من السحر والاحترام يميز مواطن التعليم مثل هايدلبرج وأكسفورد مثلا ، وخاصة أنه مازال يقوم فى لند عدد كبير من المساكن الخاصة القديمة ويترتب على ذلك ازدحام المدينة بالمتاحف المليئة بآثار اقليم سكونه القديمة وبأشياء أخرى كثيرة منها ما يرجع الى عصور ما قبل التاريخ • ومع ذلك ، فبدلا من التوجه الى لند فان الزائرين الذين تجذبهم وسائل الترويح الرياضى سوف يحولون طريقهم بلا أدنى تردد الى أحد شواطىء الاستحمام الحديثة التى تتناثر على الساحل الغربى من فالستربو على الطرف الجنوبى ، على بعد حوالى عشرين ميلا من مالمو ، الى سورا بالقرب من جوتبرج ، وبينهما بوستاد وتايلساند • ويوجد فى أغلبها ملاعب جيدة للجولف وأيضا كل الوسائل التى تساعد على ممارسة الرياضة • والفنادق بسيطة ولكنها حسنة بصورة تدعو الى الدهشة مع اعتبار قصر فترة الموسم وأن السويديين من الأغنياء يفضلون فى الأوقات العادية أن يتجولوا بعيدا فى الخلاء سعيا وراء الدفء والشمس أكثر مما تتيحه لهم سواحل السويد الجنوبية والغربية • ولا ينبغى الخلط بين الدفء والاعتدال ، لأن المناخ فى بوستاد معتدل لدرجة أن المكان أصبح مشهورا بحدائقه التى تنمو بها حتى الأزهار الاستوائية ، وأشهر هذه الحدائق حدائق نورفيكن Norrviken ، وهى مقسمة الى

حديقة يابانية ، وحديقة باروك* وبها بحيرات جميلة مليئة بأزهار الزنبق ، وحديقة من طراز العصور الوسطى ، وحديقة مائية** ، وحديقة من طراز عصر النهضة ، وحديقة هولندية ، وحديقة شرقية وغيرها . وتقع حدائق نورفيكن على سفح تل ترويه نهيرات تنحدر في رفق في اتجاه الصخور التي تطل على ساحل البحر ، والحدائق ليست جميلة فحسب ، بل انها مصدر ممتاز للمعلومات لأنها تشكل تاريخا مرئيا للمناظر الطبيعية المتعلقة بفن الحدائق .

وهناك شيء آخر في بوستاد جدير بالرؤية ، ومن الغريب أنه فندق ؛ فقد بنى فوق دير من أديرة العصور الوسطى بأفنيته الهادئة الصغيرة المليئة بالأزهار . ويسمى سكونه جوردن أو مزرعة سكونه .

وكان لودفيج نوبل، ابن أخي الفريد نوبل ، صاحب الجائزة المشهورة ومخترع الديناميت ، هو مصدر فكرة هذا الفندق ، وقد يعتقد البعض أنه سيعيش حياة نسك وعبادة عند اقامته في هذا الفندق ، بل ان الواقع أبعد من هذا بكثير .

---

* بازوك Baroque : معنى هذه الكلمة أصلا غيرمنتظم الحجم ، وبخاصة بالنسبة للؤلؤ . وهي هنا تشير الى نمط من التماثيل والأعمال الهندسية والفنية ساد منذ ١٥٥٠ الى أواخر القرن ١٨ يتميز باستخدام الأشكال المنحنية والمعقوفة .

** أي خاصة بالنباتات المائية . المترجم

وعلى ساحل البحر الجميل تترامى أميال من الشطآن الرملية البديعة ، وتمتد مساحات من غابات أشجار الزان حتى حافة الماء مباشرة ، وتبدو بعض المساحات الأخرى موحشة وصخرية . وتقع « كلن » أو « كولابرج » بالقرب من « هلسينج بورج » ، وهى جرف هائل يرتفع ستمائة وخمسين قدما عموديا على البحر ، وهى مرصعة بتكوينات صخرية عجيبة وكهوف عميقة وجدت بها آثار كثيرة من عصر ما قبل التاريخ .

وفى هلسينج بورج قد يجد السائح نفسه مدفوعا الى ترديد الأبيات الشهيرة التى كتبها شيكسبير ووضعها على لسان هاملت ، والتى تبدأ بعبارة : « ان المشكلة هى أن توجد أو لا توجد » . ومن خلال كوة المراقبة الضيقة فى حصن هلسينج بورج القديم الذى شيد فى القرن الثانى عشر يستطيع السائح أن يرى — على بعد ثلاثة أميال — الحصن الدانمركى هالسينجور . وهو الحصن الذى ورد ذكره فى مسرحية شيكسبير باسم « ألسينور » . كما يستطيع الوصول اليه فى خلال خمس عشرة دقيقة ليذرف دمعة اذا شاء على قبر هاملت — على فرض أنه دفن فى هـــذا المكان حقيقة أو حتى عاش فيه ، وهو أمر يشك فيه كثـير من الناس ليس من بينهم وكلاء شركات السياحة بالطبع .

ولكن ليس الساحل الغربى من اقليم سكونه واقليم هالاند

المجاور هما الجديران وحدهما بالزيارة • فالى الشرق من «مالمو» تقع « استاد » المدينة الصغيرة لعلها أفضل المدن السويدية القديمة صيانة وقد حبتها الطبيعة فى نفس الوقت أجمل شاطىء تحميه غابات الصنوبر التى زرعت منذ مئات السنين لكى تحفظ الرمال متماسكة • وتملك « استاد » مثل معظم المدن السويدية القديمة كاتدرائية جميلة وكنائس أخرى يرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر ، ومتحفا وقاعة قديمة لمجلس المدينة • وتمتاز هـــذه المدينة بعدد من المنــازل النصف خشبية ذات الأفنية المسقوفة والتى ترجع الى القرن الخامس عشر والتى ما زالت تصطف عـلى جانبى الشـــوارع العتيقــة فى القسم القــديم من المدينة •

وبالنسبة لأولئك الذين لا يعتبرون أن العصور الوسطى ليست من البعد بحيث تعتبر خادعة فإن ما يحيط باستاد يقدم لهم مادة أكثــر اثارة من العصــور الوسطى ، فبالقرب من قرية كيفيك Kivik ترى مقابر شـهيرة من العصر البرونزى يرجع تاريخها الى ما بين عامى ١٨٠٠ — ٥٠٠ ق•م• وهى عبارة عن ربوات عظيمة مبنية من كتل حجرية ضخمة مرتبة ترتيبا دقيقا مما يبين أن الرغبة فى النظافة والتدقيق ليست شيئا حديث الظهور بين السويديين وأبناء عمومتهم الألمان • ويوجد ممر يؤدى الى

مركز الربوة الذى يحتوى على حجرة الدفن . وفى وسطها توجد ألواح ضخمة من الحجر من المفروض أنها كانت تغطى جسد البطل الراحل وهى مزينة برسوم محفورة ومحلاة خطوطها باللون الأحمر . وفيما عدا إختلاف أشكالها وحجمها الأصغر فان هذه الربوات التى جعلت مقابر تذكر الانسان بأهرام مصر . وكانت الأسلحة والزينة فى هذه المقابر صناعة يدوية محلية مع أنها منقولة أصلا من نماذج اغريقية ورومانية . وتدل الرسوم المحفورة الهامة وصور الحفلات الدينية ومناظر الحرب والحياة اليومية وخاصة المعارك البحرية ، على أن الناس فى تلك الأيام الغابرة لم يكونوا متأخرين كما يعتقد الانسان عادة .

وتستطيع أن ترى عند كوسبرجاه ليس بعيدا عن استاد ، مثلا طيبا لنموذج آخر للدفن ، ألا وهو « نصب السفينة » ، ولكن هذا أحدث عهدا الى حد كبير ، لأنه يرجع الى أيام الفايكينج ، أى منذ ألف سنة . ويتكون هذا النصب الأثرى من أحجار كبيرة مقامة بطريقة تكون شكل سفينة من سفن الفايكينج متجهة ناحية البحر ، ويرقد تحت أكبر حجر رفات أحد القادة البحريين العظام .

وزيادة على هذه الآثار يجد الانسان فى كل الدول السكندنافية أحجارا كثيرة منذ عصور مجهولة ، موضوعة على هيئة دوائر .

وهى تعرف باسم « دومارنجر » وتعنى « حلقــات القضاة » ، ويعتقد أنها تعادل مجلس الشيوخ والمحكمة العليا بالنسبة لعصر ما قبل التــاريخ ، حيث كانت تناقش المســائل الهــامة وتعقــد المحاكمات بواسطة رؤساء وأعيان العشيرة •

ولعل القصور والقلاع الخاصة التى يمكن تسميتها بالمتاحف الحية أكثر اثارة للاهتمام من آثار الماضى الجامدة أو المجموعات التى ترى فى المتــاحف العــديدة ؟ اذ تجد هنــاك الطنافس ، والرسوم ، والسجاد ، والأوانى الفضية والأصونة «الدواليب» العالية ، والكراسى ذات المساند ــ وأنت لا تجدها مرصوصة بجوار الحوائط لدراستها والاعجاب بها ، بل لتخدم الغرض الذى من أجله صنعت بواسطة الفنان أو العامل اليدوى وذلك لتزيين البيت ولاستخدامها • ويملك ويقطن معظم هذه القلاع أحفاد أولئك الذين بنوها منذ قرون وانهم لا يرغبون فحسب ، بل انهم على استعداد تام لتضحية أى شىء ولو كان كثيرا ، وذلك للمحافظة على التقاليــد المنحــدرة اليهم عبر الأجيال • وكانت الخدمة المنزلية فى تلك الأيام غير محدودة ولم يكن الخـــدم يكلفون سادتهم شيئا سوى طعامهم ــ الذى كان صناعة منزلية • وكانت الضرائب شيئا لا أهمية له • ولكن من السهل أن تتصور ماذا يعنى فى أيامنا هذه أن تحتفظ بنظافة ولمعان نوافذ ، وأرضيات، وأثاث ، ونحــاس وفضــة قلعة مثل قلعــة فتساكلفل ، مثــلا ،

بحجراتها المائة ، بعضها أكثر اتساعا من المنزل المتوسط ، بزواياها وشقوقها التى لا حصر لها وسلالمها ومخابئها ، وممراتها السرية . بل ان هذه القلعة لتفخر بشبكة تليفونية أمكن توافرها لمنزل قديم بواسطة أنابيب أخفيت فى الحوائط لنقل الكلام . وقد شيدها الكونت براهه Count Brahe عام ١٥٥٠ ، وكان هذا الكونت من أفراد أسرة مشهورة فى تاريخ الشمال ، واليها كان ينتمى أيضا عالم الفلك الدانمركى تيخو براهه Tycho Brahe ١٤٥٦ — ١٦١٠ .

وهناك قلعة أخرى قديمة وجميلة وهى جليمنجهوس ، حيث كان يقوم الدفاع — فى حالة التدخل المسلح — على القوة العضلية لا على التفكير . فقد كان هناك بهو هائل الاتساع على احدى الطبقات العليا مخصص للجنود ، ومن فوق هذا البهو يوجد طابق بأكمله استخدم فى ايواء خدم الاسطبل والعمال اليدويين وغيرهم من الخدم . وتتخلل حوائط وأسقف السلالم الحجرية والدرج ذاته شقوق ضيقة تساعد الحامية على الدفاع عن نفسها درجة بعد درجة ، وعلى مواجهة الدخلاء الذين يكونون قد اخترقوا الحوائط الخارجية بوابل من الرصاص ، والرصاص المنصهر والماء المغلى . ويحتوى الطابق الأسفل (البدروم) — زيادة على المطبخ ، مخازن وغرفا للعمال اليدويين ، وبئرا عميقة وفرنا كبيرا يقوم فى القلعة بمهمة التدفئة المركزية بواسطة مداخن للتهوية مثبتة فى حوائط الحجرات . ولابد أنه كان

يلزم جيش صغير من قاطعي الخشب والحمالين لامداد هـذا الفرن بالوقود الضروري . وبالرغم من أن هذه القلعة كانت بمثابة ملجأ رائع في أوقات الإضطراب فان داخلها يبعث في النفس الراحة بدرجة مدهشة مما يبين أن صاحبها كان يقدر الجمال والراحة ولم يكن يلهو .

وهناك بعدئذ قلعة « كرابيراب » Krapperup التي تخص أسرة جيلينشترنا Guildensterns ومن المحتمل أنها أسرة جيلدنستيرنز الواردة في « هاملت » . وترصع النجوم التي تحلي الملابس الحربية الخاصة بالأسرة حوائط القلعة الخارجية . ومن بين القلاع الأخرى مايشتهر بعضها بالقدم مثل قلعة بوسجاكلوستر Bosjökloster التي كانت سابقا ديرا من أديرة البندكتيين في القرن الثاني عشر ، ومنها ما يشتهر بحدائقه الجميلة مثل قلعة توروب ، وفرامس ، جنرستروب وسكارهلت . وهذه القلاع جديرة بالزيارة ، ولكن لما كان معظمها مأهولا فليس من السهل أن تجد فرصة لمشاهدة داخل هذه القلاع ، فالزوار يسمح لهم بدخول الحدائق والبساتين فحسب .

ولو قارنا بين اقليم سكونه الغنى ذى المناخ المعتدل واقليم نسمولند الذى يقع الى الشمال منه ، وتبلغ مساحته أكثر من

ضعف مساحة سكونه ، فانه يبدو فقيرا وقاسى المناخ ، فيما عدا الشاطىء الشمالى لبحيرة فاتيرن فى الشمال وشاطىء كالمار سوند الى الشرق . مع أن الاقليم لا تنقصه البقع الجميلة وأماكن التسلية ، وهو مشهور جدا فى السويد باجتهاد أهله وسعة حيلتهم . وهم يشتهرون أيضا بقدرتهم على كسب رزقهم فى أى مكان ولو على صخرة جرداء وسط البحر . ويمكن أن تقول انهم اسكتلنديو السويد .

ومن المؤكد أنها ليست مصادفة أن نسبة كبيرة من السويديين الذين حققوا شهرة عالمية تدفقوا من سمولند . مثل المغنية كرستينا نلسون التى قامت بدور مارجريت فى رواية فاوست عند افتتاح دار أوبرا مترو بوليتان فى نيويورك عام ١٨٨٧ ، وكارل فون لينيه (ليناروس) أبو علم النبات الحديث ، فقد كانا من سمولند .

وفى منتصف هذا الاقليم تقريبا تقع مدينة فوكسنوجا Vaxjö على بحيرة صغيرة لها نفس الإسم ، وهى من أقدم مدن السويد وتعتبر من أفضلها بناء . وبها كاتدرائية من طراز القرن الثالث عشر بالقرب من دودسجا Dadesjö ، وبها كذلك كنيسة أقدم من هذه بها رسوم ترجع الى القرن الثانى

عشر • وفى جزيرة فى تلك البحيرة توجد بقايا قلعة قديمة جميلة وهى قلعة كرونوبورج Kronoberg ، وحدائق بديعة مما يتناسب مع المدينة التى ذهب منها ليناروس الى المدرسة • ويشتهر المتحف بالمنسوجات وملابس القرن الثامن عشر والآنية الزجاجية القديمة •

ويعتبر اقليم سمولند مركز صناعة الزجاج السويدية ، وكانت أعمال كوستا Kosta الزجاجية هى أول مصنوعات زجاجية بدأت منذ أكثر من مائتى سنة على يد أحد الضباط فى جيش كارل السابع ، يسمى البارون كوسكل الذى جلب متخصصين ألمانا من جبال بوهيميا (وهى اليوم تشيكوسلوفاكيا) التى كانت مشهورة وقتئذ بزجاجها • ومن المفروض أنه كان يعتقد أن هذا الفن (فن صناعة الزجاج) سيساعد بعض سكان سمولند على كسب عيشهم ، كما كان الأمر بالنسبة لسكان جبال السوديت Sudeten Mountains • ولكن الزجاج السويدى لم يحقق شهرة عالمية الا خلال الأربعين السنة الماضية ، وذلك بفضل منتجات مصانع اوريفورز القريبة للزجاج ، وذلك بعد أن كان صاحب هذه المصانع من الحكمة بحيث استخدم فنانين مشهورين هما سيمون جات وادفارد هالد ، بقصد رفع المستوى الفنى للانتاج • وقد تخصصا فى الحفر على الزهريات والفازات الكريستالية

الخفيفة • ويقوم بالعمل كله مجموعات من ثمانية رجال غالبا ما تمثل أجيالا ثلاثة من أسرة واحدة • وهم يعملون بمهارة ودقة مثلما تعمل الساعة ابتداء من الصانع اليدوى الذى ينتج الزجاج الى الفنان الذى يزينه بآلة الحفر نقلا عن رسوم فنان آخر • وتنتج المصانع كذلك مصنوعات زجاجية أرخص ثمنا للاستعمال اليومى ولكنها أيضا ذات مستوى رفيع • وتعتبر مصانع اوريفورز للزجاج أشهر مصانع الزجاج التى يوجد منها أكثر من الثلاثين فى المنطقة المجاورة بدأ معظمها بعمال تعلموا هذا الفن فى مصانع كوستا الأصلية • ولا تبعد مدينة كالمار كثيرا عن اوريفورز على الساحل الشرقى ، تلك المدينة التى قامت بدور كبير فى تاريخ السويد نظرا لموقعها الاستراتيجى وقوة قلعتها الهائلة التى تعتبر أعظم المبانى تأثيرا فى النفس فى السويد والتى تعرف بأنها « قفل ومفتاح » السويد • وقد حوصرت ثلاثة وعشرين مرة ولكنها لم تسقط أبدا • وقد بنى الحصن فى القرن الحادى عشر ، كما تم اصلاحه بعناية • وتمتلىء آلاف وآلاف الحجرات ذات النوافذ الزجاجية والمزينة ، بآثار الماضى ، وخاصة القطع الأثرية العسكرية •

واذا قمت بزيارة القلعة فى وقت الصيف فقد تجد فى الخندق المحيط بها زهرة يقال انها لا تنمو الا هناك • وقد أطلق عليها « مونربلود » أى « دم البشر » ؛ لأنه يقال انها لا تنمو الا فى

ترب مشبعة بالدم البشرى كما تشبعت التربة المحيطة بتلك القلعة .

ومازالت أجزاء كثيرة من حوائط المدينة القديمة المواجهة للبحر قائمة . وتستخدم قمم هذه الحوائط كممشى مرتفع مما يتيح الاستمتاع بمنظر جميل للغاية .

واذا شئت أن تترك مناظر السويد الطبيعية لرغبتك فى التغيير، فما عليك الا أن تزور جزيرة آلانر على بعد نصف ساعة من كالمار . وهى ذات مناخ معتدل بصورة غير عادية ولا يكاد ينبت بها شجر مثلها كمثل اقليم الاستبس الروسى ، ومما يدعو للعجب أن بها نفس أنواع النبات ، ولكن عدد الأحجار ذات الرسوم الأثرية ومدافن السفن تذكرك فورا أنك فى السويد مع أن خمسمائة الطاحونة الهوائية قد تجعلك تظن ، ولو للحظة ، أنك فى هولندا ، وكذلك تجعلك بقايا قلعة بورج هولم الهائلة المؤثرة فى النفس التى حطمتها النيران عام ١٨٠٦ والتى تقع على صخرة عالية مطلة على البحر .

واذا كانت قصص السحر تهمك فاذهب لترى جزيرة «بلاكلا» Blakulla الصغيرة فى مضيق كالمار التى كان يعتقد أنها المكان الذى كانت تتجمع به الساحرات لتلقى أوامرها من

الشيطان ولكى تحضر الأطفال لتهبهم للروح الشريرة • وقد قامت مطاردة عنيفة للساحرات فيما بين ١٦٦٨ – ١٦٧٣ وأعدم مئات من السحرة والساحرات المشتبه فى أمرهم • والسر الحقيقى هو أن القضاة أتاحوا للمتهمين مخرجا للهرب ، وذلك بدعوتهم الى التصريح بأن قصصهم السحرى عن حفلات اللهو والخلاعة الوحشية على جزيرة بلاكلا كانت من اختلاق أخيلتهم ، ولكن السحرة تمسكوا بشدة بقصصهم وأيدوا القول بأنهم حقيقة اشتركوا فى حفلات العربدة تلك •

وفى مواجهة الساحل الشرقى للسويد الجنوبية ، الى الشمال الشرقى من آلاند تقع جزيرة جوتلاند شقيقتها الكبرى• ولا يبرر حجمها وحده – الذى يبلغ ٢٤٠٠ ميل مربع – المكانة الكبيرة التى تشغلها فى عقول وقلوب السويديين جميعا • ولكن نظرا الى السلامة النسبية من الغزو التى وفرتها هذه الجزر للسويد فى الأزمنة القديمة ، بل وفى الأزمنة الحديثة – كما برهنت انجلترا على ذلك – كانت جوتلاند أحد الأماكن التى ظهرت فيها الحضارة القوطية ، مما يظهر فى اسمها وفى العدد الكبير من آثار ما قبل التاريخ ، وكانت كذلك معقلا ومستودعا أمينا للفايكينج الذين أسسوا الامبراطورية الروسية وقامت بدور هام فى تاريخ وتجارة بيزنطة • ولكن أبرز شىء فى تاريخ جوتلاند هى ثروتها التى أدت كالمعتاد الى الجريمة والمأساة وما ترتب

عليها من أطلال رومانتيكية . بل انه لاتوجد قوة جاذبية مهما تكن تقلل من شأن اعتدال مناخ جوتلاند والمساحات الشاسعة من الشطآن الرملية ، ومظهر الريف البديع النظيف ونزل السباح الممتازة وان لم تكن جذابة المظهر .

وتعتبر مدينة فيسبى Visby « مدينة الأطلال والأزهار » من أبرز معالم جوتلاند الرومانتيكية . وامتد عصر ازدهار فيسبى من القرن الحادى عشر حتى القرن الثالث عشر ، ومع أنها كانت جزءا من السويد فقد كانت كالبندقية وجنوة ، جمهورية تجار مستقلة وهي بهذه الصفة كانت تنتمى الى اتحاد الأنسا Hanseatic League الذى كان يضم أهم مراكز البلطيق التجارية مثل هامبورج وبريمن ولوبك فى ألمانيا وريجا وريفال فى استونيا ولاتفيا على التوالى . وكانت فيسبى فى وقت من الأوقات أقواها وأغناها جميعا . وكانت المبانى العامة رائعة وأقيم ما لا يقل عن سبع عشرة كنيسة تقديرا للعلى القدير .. وبدافع من الحكمة ، أقيمت حوائط قوية كذلك لزيادة الحماية .

ومازال قائما منها ما طوله ميلان ويحتوى على سبعة وثلاثين برجا فى حالة ممتازة من الصيانة ، مما يجعل فيسبى المدينة الوحيدة ذات الحوائط التى ما زالت باقية فى شمال أوربا .

وظلت هـــذه الحـــوائط زمنا طويلا تثبط عزيمة الجـيران الطامعين . ولكن فى القرن الرابـع عشر تمكن ملك الدانمرك من دخول المدينة ، والمفروض أن هذا تم بفضل خيانة ابنة أحد أوساط الناس التى وقعت فى حبه ، والتى عوقبت بأن علقت حتى الموت على حائط أحد الأبراج. ولكن المصير الذى لقيه مواطنوها لم يكن أفضل . فقد قتل آلاف منهم رجالا ونساء وأطفالا ، بل وعجزة ، فى معركة حامية الوطيس وقعت فى ٢٦ يوليـو عام ١٣٦١ . كانت الجماجم تخترق الواحدة منها ثلاثة أسهم ، أو تشقها السيوف شقا ، ومازالت عظام الأذرع والأرجل المبتورة تشاهد فى متحف فيسبى . ومازالت تقوم مقابر ثمانمائة فـلاح من القتلى خارج حوائط المدينة . ولم تكن هذه هى النهاية بل بداية استشهاد فيسبى . فقد جلبت المائة عام التالية نيرانا مخربة، اذ قام القراصنة بغاراتهم الناجحة ، وقام السويديون بالاستيلاء على المدينة ، ثم قام الدانمركيون فيما بعد بطردهم ، مع أنه أصبح للسويد فى النهاية سيطرة على المدينة لا ينازعهم فيها أحد . وبقى للانسان بعد كل هذه المصائب أن يعجب أن الكثير من فيسبى القديمة مازال باقيا . وقد بقى كل شىء ـ بما فى ذلك الأطلال ـ فى حالة جيدة بصورة واضحة .

ويوجد بالقرب من حـدود سمولند الشمالية على شـواطىء بحيرة فاتيرن الجنوبية مركزان مختلفان من المراكز التى تجذب السياح : أحدهما مدينة جنكابنج Jönköping ، عاصمة

مملكة الكبريت غير الخطة التى أنشأها افار كروجر Ivar Kreuger الاقتصادى النابغة ، والمحتال الذى كان افلاسه وانتحاره فى سنة ١٩٣٢ سببا فى افلاس آلاف الناس . فقد أوشك أن ينجح فى انشاء احتكار عالمى للكبريت بوصفه رئيسا للشركة السويدية للكبريت التى تطورت عن مصنع صغير فى جنكابنج أسسه سنة ١٨٤٤ ج . أ. لندستروم مخترع الكبريت غير الخطر . ومازالت علبة « الكبريت » التى صممت فيما بعد العلبة المقررة المستخدمة فى جميع أنحاء العالم .

والمنطقة الجذابة الأخرى هى مدينة جرونا Granna الصغيرة ، وهى نقطة البداية فى الرحلات الى جزيرة فسنجسا Visingsö ، التى تشبه ملخصا للتاريخ السويدى ، حيث تجد حجرا كان يستخدم كمذبح لتقديم الضحايا البشرية ، ومقابر خاصة بالفايكنج وكنيسة من القرن الثانى عشر بها أجمل باب محفور فى السويد ، وأطلال قلعة نوس Nas الملكية وقلعة أخرى من قلاع براهه كانت مشهورة بأنها أجمل قلاع السويد قبل حرقها عام ١٧١٨ . وقد يعجب الفتيات مجتمع هذه الجزيرة ، اذ توجد بها بطلتان كلتاهما ذكية وجميلة وغير سعيدة .

كانت الأولى فيليبا ، أميرة انجليزية من أميرات القرن الرابع

عشر ، تزوجت من ملك السويد ايريك الثامن . الذى كان يعيش فى قلعة نوس . وكان زوجها غيورا لأنها كانت أذكى منه ، فأساء معاملتها بوحشية لدرجة أنها فضلت أن تكمل حياتها فى دير فادستنا Vadstena المجاور والذى أسسته امرأة أخرى شهيرة هى سانت بيرجيتا Saint Birgitta . ومازالت توجد الكنيسة والدير وبعض المبانى الأخرى التى أسستها ، والتى كان لها نفوذ هائل فى السويد ، الى أن صادر الملك جوستاف فازا Gustavus Vasa أموال الكنيسة الكاثوليكية بعد عهد الاصلاح . وتعطينا هذه المبانى فكرة عن حجم المبانى لأنها كل ما تبقى بعد أن أخذ منها الملك جوستاف فازا كل الأحجار التى كانت تلزمه ليبنى لنفسه قلعة فادستنا التى تعتبر من أجمل القلاع . ومن المعروف أنه زود نفسه بالأحجار من ديرين آخرين هما : دير سكوننج ، ودير الفاسترا الذى يعتبر أقدم دير فى السويد .

أما البطلة الأخرى التعيسة من بطلات جزيرة فسنجسا فقد كانت ايبا براهه Ebba Brahe فقد وقفت الملكة الأم فى طريق حبها للملك جوستاف أدولف أحد أبطال السويد وأبطال المذهب البروتستنتى ، وأجبرتها على الزواج من رجل آخر . ولم يكن قرانها قرانا سيئا ، لأن الكونت جيكوب دى لاجاردى كان القائد العام للقوات المسلحة ثم نائبا عن الملكة كرستينا الابنة الصغرى لملك السويد . وكان يمتلك قلعة مشهورة أخرى اسمها

لوكا التى تقع على شواطىء بحيرة فوتيرن • ولابد أن الكونتيسة ايبا لم يكن لديها متسع من الوقت لرعاية قلبها الكسير لأنها كانت مشغولة بادارة منزلها • ومع أن قلعة لوكا كانت تثير من الاعجاب أقل مما كانت تفعل القلعة السابقة عليها فى جزيرة فسنجسا الا أنها تتكون من ٢٥٠ حجرة ومع أن أحدا لا يسكن هناك الآن ، بالرغم من أزمة المساكن ، الا أنها فى حالة جيدة من الصيانة •

وتستطيع مدينة جرونا أن تفخر بفندقين مشهورين : ريبا جوردن وهو قصر قديم ظل به كل شىء على حاله كما كان قبل أن يصبح فندقا ، وجلين اوتيرن ؛ وهو صورة منقولة عن قلعة قديمة وبه عدد من الأكواخ المتناثرة فى غابات الصنوبر• ويزداد الطلب على هذه الأكواخ من العرسان فى شهر العسل • ويلحق بالفندق كنيسة صغيرة تعقد فيها الزيجات وكذلك « صالة » احتفالات •

ولاتمام الفائدة يجب أن نذكر أن أطلال قلعة أخرى من قلاع براهه وهى قلعة « براهه ــ هوس » وتقع بالقرب من « جرونا » فى الأرض المقابلة للجزيرة ، وقد بناها براهه نفسه الذى بنى قلعة فسنجسا على الجزيرة على بعد عدة أميال • ومن الواضح أنه كان فى حاجة الى مكان على الشاطىء يقيم به عندما

تموج مياه البحيرة وهى كثيرا ما تفعل .

وفى الشمال تتلاشى التلال المغطاة بالغابات والمنحدرات الجرداء التى باقليم سمولند ، فى أراضى استرجتلند Ostergotland وفاستر جتلند Vastergötland المنخفضة الخصبة . ويسمى ساحل السويد الغربى الى الشمال من جوتبرج باسم بوهيسلون وهو مشهور لأسباب عديدة . ويعتبر الخط الساحلى الصخرى الشديد التعاريج والذى تحاذيه سلسلة من آلاف الجزر الصخرية أو الشعب الصخرية ، جنة هواة اليخوت ، وهم الأحفاد الودعاء للفايكينج المتوحشين الذين أغاروا على أوربا الغربية والذين يقع مركز قيادتهم فى ارخبيل بوهيسلون Bohuslan Archipelgo ان التفسير المقبول لاسم الفايكينج هو أنه مشتق من الاسم القديم الذى كان يطلق على بوهيسلون : فايكن Viken . وليس من شك أنه كان أحد مراكز قيادة الفايكينج الرئيسية ، ويؤكد هذا عدد مدافن السفن غير العادى والآثار المشابهة لها ، وكذلك ملحمة بوولف (حوالى ٧٠٠ م) التى تصف بصفة أساسية أحداثا وقعت فى هذه المنطقة . وقد يكون مجرد مصادفة أن هذه المنطقة غنية بصورة واضحة بالحفريات الحجرية التى ترجع الى العصر البرونزى الذى كان قد انتهى قبل ذلك بألف وخمسمائة سنة .

وتعتبر جوتبرج المدينة السويدية الرئيسية فى هذا الجزء ، وهى الميناء الرئيسى للسويد . وهى معروفة جيدا لدى معظم زوار السويد ، كما أنها الميناء الوطنى لخطوط السفن السويدية عابرة الاطلنطى . وليس هناك ما يدفع المسافرين الى الشكوى من هذا الأمر ؛ لأنه لا توجد أرصفة للرسو فى أى مكان آخر ذى موقع مريح كما فى هذه المدينة . وبمجرد نزولك من الممر الضيق (من السفينة) ستجد نفسك فى بهو أحد الفنادق الرئيسية فى قلب المدينة وعندما تنتهى من تسجيل اسمك يكون متاعك قد وصل لأن الخادم ذا القبعة الحمراء يكون قد تبعك بعربته التى يدفعها أمامه . وتعتبر جوتبرج مدينة حديثة بالنسبة للسويد فقد أسسها الملك جوستاف أدولف فى أواخر عام ١٦١٩ ، وقد أراد بذلك أن يهيىء للسويد مركزا تجاريا مناسبا على بحر الشمال ، ذلك المركز الذى ظل ينقصها أمدا طويلا لأن الدانمركيين كانوا فى ذلك الوقت يحتلون الساحل ، وقد اختار لهذه الغرض مصب نهر جوتا . وعهد بالعمل الى مهندسين ميكانيكيين ومعماريين هولنديين قاموا به على أكمل وجه وتركوا آثارهم على هيئة عدد من القنوات الضيقة تتخذ طريقها متعرجة عبر المدينة . وكانت هذه القنوات خنادق فى الأصل .

وتعتبر حديقة « ترود جاردز فارنجن » **Tradgardsföreningen** من أشهر الحدائق وهى كلمة سويدية

معناها ـ الحديقة المجمعة ـ وبها أكبر بيوت زجاجية فى السويد ومطعم هائل نصف مسقوف فى الهواء الطلق .

وتعتبر جوتبرج مثلا بارزا للمدينة السويدية الحديثة . فقد كانت ومازالت ميناء بحريا غنيا به كثير من أغنياء التجار . والى أن أصبحت الصناعة والبنوك ـ فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ـ هى الوسائل الرئيسية لبناء ثروات كبيرة ، فقد كانت التجارة فيما وراء البحار هى المصدر الأساسى للثروة التى يحققها العمل . وكان الأغنياء الآخرون ، حتى وقت قريب هم النبلاء وكبار الموظفين الذين كانوا يستطيعون فرض الضرائب والغرامات وجمعها ، والمفهوم أنه كان يوجد عدد كاف من دافعى الضرائب الأثرياء الذين كانوا كذلك طيبين بدرجة كافية .

وتدين المدينة بمبانيها الجميلة ومؤسساتها النافعة لروح الخدمة العامة التى كان يتحلى بها تجار جوتبرج الذين ينحدر الكثير منهم من أصل اسكتلندى أو انجليزى . فقد كونوا كمية كبيرة من المال بالتجارة مع الهند وبمساعدتهم الانجليز على كسر الحصار الاقتصادى الفرنسى فى أثناء حروب نابليون .

وتملك جوتبرج أكثر من المتوسط من أى شىء يمكن أن تتوقع من مدينة سويدية غنية وكبيرة : اذ تجد المتاحف ،

والحدائق العامة ، والمبانى العامة ، وفى أعالى نهر جوتا تجد قلعة بوهاس القديمة • وتقع الى الغرب ـ ليس بعيدا عن المدينة ذاتها ـ قلعة كارلستون القديمة المتجهمة على جزيرة مارستراند• وهناك أشيا غير عادية بعض الشىء يمكن أن تراها ، فمثلا تجد أفرانا هائلة كانت تسخن بها قذائف المدافع لدرجة الاحمرار وذلك لتشعل النيران فى سفن تلك الأيام الخشبية وعند فتحات المراقبة كانت تثبت السلاسل التى كانت يقيد اليها الجنود لمقاومة اغراء الهروب • وهناك أيضا أكثر السجون ظلاما مما يمكنك أن تتصوره •

واذا سافرت عبر السويد من جوتبرج الى ستوكهولم بالسيارة أو بالقطار أو بالسفينة فى قناة جوتا فانك بذلك ستعبر قلب أراضى السويد أو الأراضى المنخفضة الوسطى •

وبوجه العموم ستكون على يمناك معظم الطريق أقاليم فسترجوتلند واسترجوتلند وأراضى الجوتار ، بينما ستكون على يسراك أقاليم نيركه وسودر مانلاند وفستمانلاند وايلاند وأراضى السفيا • ولا يوجد فرق واضح بينها • حقا لولا أن السويديين تعلموا من كتب تاريخهم أن يميزوا بينها ، فانك ستكسب الرهان لو أنك راهنتهم على أن يلحظوا هم أنفسهم أى فارق بينها •

ان أبسط طريقة لكى تصف السويد الوسطى كلها هى أن تتخذ من سكونه ميزانا للمقارنة ، وأن تقول انها ليست منبسطة مثلها ، وان هناك غابات أكثر وخاصة دائمة الخضرة وان المنظر بأكمله لا يبدو وكأنه حديقة كما هى الحال فى سكونه . وربما توجد آثار قديمة وقلاع أو مبان من العصور الوسطى بصورة أقل بالنسبة للميل المربع ، ولكن بطبيعة الحال فان العدد الاجمالى أكثر كثيرا .

ان أهم الفروق بين المنطقتين تنحصر فى البحيرات العظمى وفى أنه توجد صناعات أكثر كثيرا فى السويد الوسطى . وتفسير ذلك نجده فى القوى المائية وخام الحديد وكذلك فى الغابات التى تعد مصدرا للفحم النباتى اللازم لصهر خام الحديد ولصناعة الصلب النقى الذى تشتهر به السويد . ان أكثر القوى الكهربية المستخدمة فى السويد مستمدة من شلالات ترولهوتان على نهر جوتا وقناة جوتا شمال شرق جوتبرج . وبالرغم من أن جمال هذه الشلالات قد قل بعض الشىء نتيجة لهذا ، مثل شلالات نياجارا ، الا أنها مازالت تؤثر فى النفس .

ومن الأماكن التى نشأت فيها صناعة الحديد السويدية مدينة اسكلستونا Eskilstuna القديمة — حيث دفن القديس

حزقيال Eskil ليس بعيدا عن سترنجنوس فى سودرمانلاند .
واستمتعت هذه المدينة بشهرة عالمية لعدة قرون لجودة منتجاتها .
ولقد تطورت ببطء مصانع الصلب المفرطة فى الحداثة والجدة
من دكاكين الحدادين ، وان كان بعضها مازال يقاوم التغير بعناد
ومازال على ما كان عليه منذ مئات السنين . وتعتبر نوركابنج فى
استرجوتلند رابع المدن الكبرى فى السويد وهى أكثر أهمية وان
كانت أقل شهرة كمركز لصناعة المنسوجات . وتقع فاستروس ،
عاصمة صناعة الكهرباء فى السويد ، على بحيرة مورلان رابعة
البحيرات العظمى فى السويد الوسطى . مع أنه من الصعب أن
يشك الانسان فى ذلك الأمر . ويتناثر فى هذه البحيرة عدد
كبير من الجزر الصغيرة ذات الغابات لدرجة أن الانسان لايرى
مطلقا مساحة كبيرة من الماء . وتدين ستوكهولم ، عاصمة
السويد ، بوجودها لضرورة حماية المدخل من البحر البلطيقى
الى بحيرة مالارن والى شبكة الخطوط المائية المؤدية الى قلب
السويد والتى ترتبط بالبحيرة . وبدأت قلعة الجزيرة فى التطور
لأن تصبح مدينة عندما اختارها اذ ذاك بيرجر جارل — الذى
كان يسمى نائب الملك مع أنه كان فى الحقيقة ملكا للسويديين —
لكى تكون مقر اقامته فى القرن الرابع عشر . وما كان يستطيع
أن يحسن الاختيار أكثر من هذا لو أنه اختار الموقع مع الاهتمام
بالمناظر الجميلة الجذابة . ولكن يمكن أن نؤكد أنه لم يفكر
فى هذا الأمر على الاطلاق .

ولم يبدأ الناس فى الاعجاب بالمناظر الطبيعية أو المناظر الجميلة لذاتها ، أى انهم لم يبدءوا فى تقدير جمال الطبيعة الا فى بداية القرن الثامن عشر • وحتى ذلك الوقت كانت الطبيعة عدوا يجب محاربته بلا هوادة • فأكثر المواقع جاذبية ليس أجملها ولا هو ذلك الذى يقدم لنا أكثر المناظر الطبيعية اثارة لاعجاب الانسان ، ولكنه ذلك الموقع الذى يحقق أكبر حماية من رياح الشتاء أو الذى يمكن الدفاع عنه بأسهل طريقة فى حالة الهجوم • وحتى القرن التاسع عشر كانت الطرق الرئيسية القليلة العدد وكثير من الوديان خالية من المساكن المأهولة فى معظم أنحاء أوربا ؟ اذ كثيرا جدا ماكانت تغير عليها الجيوش فى مسيرتها • وهكذا كانالقرويون يختبئون فى الوديان الجانبية الصغيرة التى فى حمى من الجنود ومن عواصف الشتاء على حد سواء • وقد شجعتهم القلاع لأنها كانت قائمة على صخور أو تلال شديدة الانحدار ، لا من أجل المنظر الطبيعى الذى يحيط بها ، بل لأنها كانت تصد العواصف الثلجية بحوائطها الحجرية السميكة ، فى حين ضاعف موقعها من قوتها الدفاعية الى حد كبير • وكانت الطرق شديدة الانحدار التى تؤدى الى هذه القلاع تتعرج حول الجبل بطريقة لولبية • وهكذا ، فبينما كانت الدرع تحمل بالذراع اليسرى كان على أولئك الذين يصعدون الطريق أن يحولوا جانبهم الأيمن غير

المحمى فى اتجاه القلعة ، وكانوا نتيجة لذلك أكثر تعرضا للسهام ولنيران غدارات المشاة من رجال الحامية .

وكانت التلال شديدة الانحدار على شاطىء نهر كبير ، أو على جزيرة صخرية عند مصب هذا النهر مواقع ممتازة لاقامة القلاع . وكان الماء عقبة اضافية أمام المهاجم ، وكانت القلعة تستخدم اما لمنع تقدم العدو فى اتجاه النهر واما لتساعد السيد صاحب القلعة على فرض المكوس على سفن التجارة . والى عهد قريب نسبيا ، كانت الأنهار الصالحة للملاحة أهم وسائل المواصلات الى حد كبير . وكان هناك عدد قليل جدا من الطرق الرئيسية والقناطر الحجرية الممهدة وهى تلك الباقية من العصور الرومانية . أما الطرق الأخرى فكانت تستخدم للجر الثقيل فى أثناء أشهر الجفاف أو فى الشتاء عندما كان الجليد يسمح باستخدام الزحافات . وكان السويديون القدماء محظوظين على وجه الخصوص فى امتلاكهم عددا كبيرا من البحيرات والأنهار التى تربط بينها والتى كانت تعتبر طرقا ممتازة فى الشتاء . ولكن مثل كل شىء آخر فى هذا العالم ، للأنهار الصالحة للملاحة جانب طيب وجانب سىء . وأصبح الفايكينج متخصصين فى استغلال الجانب السيىء ، فبفضل هذه الأنهار استطاعوا الوصول الى داخل البلاد التى أرادوا أن يسلبوها أو يهزموها .

وعلى أية حال عرف السويديون من تجربتهم الخاصة أنه احتياط حكيم أن يغلقوا مصبات أنهارهم وبحيراتهم • وهكذا لم يغنم بيرجر جارل الفرص وصادف أن كان الموقع الذى اختاره لقلعته الرئيسية رائع الجمال لدرجة كبيرة •

وتمتد ستوكهولم على عدد من الجزر وأشباه الجزر وتتخللها الطرق المائية وهى طبيعية وليست قنوات كما فى البندقية وهولندة • وهى تسهم بقدر كبير فى جمال المدينة • وفى الضواحى القريبة تتيح للسكان فرصا لا حد لها للاستخمام، كما أن شواطئها الصخرية تقدم لهم بقعا نموذجية لحمامات الشمس •

وتفخر ستوكهولم بأنها احدى المدن السويدية التى يوجد بها حى « قديم » لم يتطرق اليه التلف • وهو يقع على الجزيرة التى أقام عليها بيرجر جارل • وعندما كبر حجم المدينة وارتبطت الجزيرة بالأرض المجاورة وبالجزر الأخرى بواسطة القناطر، أصبحت معروفة باسم « المدينة التى بين القناطر » ، وتقدم المدينة فى بعض منازلها القديمة زادا للذكريات التاريخية زيادة على نوع آخر ممتاز من الطعام •

وتزخر ستوكهولم بالآثار العلمانية والدينية ، وبالمتاحف

والمكتبات العامة والحدائق العامة والتماثيل من نوع وكمية تناسب كونها عاصمة • وأشهر الآثار القديمة هو القصر الملكي الضخم المشهور بهيبته وارتباطاته التاريخية • وتشتهر قاعة مجلس المدينة بين المعالم الحديثة بجمالها وموقعها الفريد على ضلع من أضلاع بحيرة مولارين • وتنفرد المكتبة العامة بالمدينة بقبحها • وكثيرا ما يقارن بينها وبين خزان الغاز أو القبعة العالية الهائلة الحجم البنية اللون • وقد بنيت عام ١٩٢٤ وكان المفروض أن تكون تحفة من تحف الطراز «الوظيفي» في فن العمارة • وكان هذا يعني أن يتوافر لكل مبنى الشكل الذي يتناسب مع وظيفته والغرض منه الى أقصى حد ممكن ، بغض النظر عن المظهر • ولكن من الصعب أن نلاحظ العلاقة بين وظيفة المكتبة العامة وبين شكل القبعة العالية – على الرغم من امتلاء داخلها الجذاب حتى ذلك البرج بالمعرفة والحكمة •

وتنفرد سكانسن Skansen بمستواها الخاص ، وهي حديقة عامة على مسافة قصيرة من قلب المدينة • وقد قصد لها أن تكون صورة مصغرة للسويد في الماضي والحاضر • وبها حديقة حيوان تحتوي في الغالب على حيوانات محلية ولكن يبدو أن هذا شيء عادي • أما الشيء غير العادي فهو أن بها متحفا بشريا مثل حديقة الحيوان ، لأنه نقلت اليها منازل نموذجية من

أنحاء شتى من السويد وأعيد بناؤها بصورة سليمة ، ويقطن بعضها بعض الفلاحين من الأقاليم الخاصة بها بما فى ذلك اقليم لابلاند ، وهم يرتدون ملابسهم التقليدية . وتقام الاحتفالات التى تبين الرقصات والأغانى المحلية الخاصة بالأقاليم المختلفة بانتظام . وفى هذه الأيام يزدحم المكان بعلية القوم من ستوكهولم ، وبمندوبى هذه الأقاليم .

وهناك شارع كامل فى ستوكهولم القديمة يحتوى على صيدلية ومخزن بقالة ومحل صانع أمشاط وورشة صناعة زجاج ، ومدبغة ومصنع صفيح ومطبعة وكذلك كنيسة كلها من طراز القرن الثامن عشر .

وتستطيع أن تجد ما يروق لك من المطاعم الكبيرة والصغيرة ذات « صالات » رقص أو بدونها فى الحديقة العامة الشاسعة ، أو اذا كنت تفضل ، فانك تستطيع أن تتنزه على الحشائش فى عزلة محببة .

فأغلب الظن أنك لن تستطيع مقاومة اغراء «اللنشات» الصغيرة الراسية تحت نوافذ الفنادق الرئيسية والتى تتأهب للابحار بك لزيارة قلاع دروتنجهولم وجريبسهولم وشوكلوستر ، كما أن مثل هذه الرحلة ستتيح لك مشاهدة المناظر السويدية الطبيعية الجميلة وأنت مسترخ فى مقعدك على ظهر السفينة .

وتبلغ قلعة دروتنجهولم الملكية من العمر حوالى ثلاثمائة سنة، ويحمل تصميمها الطابع الفرنسى • وقد بنيت بناء على أمر ملكة كما يبدو من الاسم ذاته ، لأن كلمة « ملكة » فى السويدية هى « دروتنج » • ويبدو أن أكثر ما يثير حب الاستطلاع فى هذه القلعة أن آليات وديكورات خشبة مسرح القرن الثامن عشر المجاور لها ما زالت باقية على حالها الأصلية •

ولكن هذه ميزة تشترك فيها مع جريبسهولم القلعة الملكية الأخرى • وهى السمة الوحيدة التى تشتركان فيها • لأن عمر جريبسهولم ضعف عمر دروتنجهولم وقد بنيت على أسس « وظيفية » خاصة بقصر محصن ، وقد بناها «بويونسون جريب» أقوى نبلاء السويد ، ثم انتقلت ملكية هذه القلعة بأراضيها الى أحد الأديرة ولكنها لم تلبث أن عادت الى علمانيتها فى حكم الملك جوستاف فازا ، وبعبارة أخرى استولى الملك عليها •

واستخدمت أحجار المبانى التى أقامها الرهبان فى قرية ماريفرد فى توسيع القلعة • ومنذ ذلك الحين ظلت كاملة الأثاث، ومازالت، نظريا ، أحد أماكن الاقامة الملكية ، مع أنه قد مضى وقت طويل منذ أن أقام أحد الملوك فيها • وهذه القلعة فى الحقيقة ليست سوى متحف اشتهر بمجموعة الصور التاريخية التى يضمها ، وهى تربو على الألفين لعدد من كبار الشخصيات • ولعل أشهر

تلك اللوحات جميعها هى صورة الملك ايريك الرابع عشر التى رسمت خصيصا لكى يبعث بها مع رسول الى انجلترا فى طلب يد الملكة اليزابيث للزواج بها • وكانت الصورة جميلة حقا غير أنه يبدو أن اليزابيث لم تكن لتثق بالصــور ، وكان ردها أنها تؤثر البقاء دون زواج •

أما قلعة شوكلوستر على الشاطىء الشمالى فانها ملك خاص ، بناها كسابقتها أحد النبلاء لتكون قلعة له ثم تحولت الى دير • وبعد عصر الاصلاح الدينى أعيدت اليها علمانيتها ومنحها الملك الى الفيلد مارشال رانجل ، وهو من أقدر ضباط الملك جوستاف أدولف فى حرب الثلاثين سنة • وكان لابد من تنفيذ اضافات كبيرة الى مبنى تلك القلعة لكى تضم الأعداد الضخمة من اللوحات وقطع الأثاث والســجاجيد والطنافس والأعمال المحفورة التى جمعها ذلك القائد العظيم كتذكارات لحملاته الحربية المظفرة فى ألمانيا والنمسا • وبالقلعة مكتبة قيمة بها خمسة وعشرون ألف كتاب جاء معظمها من براج •

وهذه القلعة تحتوى أيضا على مجموعة ممتازة من الأسلحة والدروع ، من بينها مجموعة كان يستخدمها الهنــود الحمر فى أمريكا، وكانت قد أرسلت كهدية من حاكم «السويد الجديدة» (وهى المستعمرة السويدية التى أنشئت عــلى نهر ديلاوير فى

القرن السابع عشر) الى الكونت براهه أحد الذين تملكوا هذه القلعة . ويمكننا أن نحصل على فكرة عن ضخامة هـذه القلعة اذا علمنا أنها استوعبت فى مناسبة احدى الزيارات الملـكية لها نحو أربعمائة ضيف .

ومع أن القلعـة ، ملك خاص فانها مفتوحة للجمهور طوال الصيف وبها مطعم عام .

وتقع أوبسالا على مسيرة ساعة الى الشمال من ستوكهولم، وهى العاصمة الأصلية لشعب السفيا ، وبالتالى للسويد . وفى عصور ما قبل التاريخ قبل أن تتعلم القبائل الجرمانية فن بناء المدن من الرومان ، ربما لم تكن أوبسالا القديمة سوى مقر معبدهم الوثنى الذى يمكن مشاهدة بقايا أرضيته تحت أرضية كنيسة قديمة كانت قبل ذلك الكاتدرائية ، وقد شيدت فى أوائل القرن الثانى عشر عقب اعتناق السفيا للمسيحية . وظلت ثلاث ربوات بدون تلف أطلق عليها ربوة أودين وربوة ثور وربوة فـريا وهى الآلهة الرئيسية الثلاثة للسفيا القدماء ، والأرجح أنها ثلاثة مدافن للملوك السفيا فى القرن السادس وربما هم الذين ورد ذكرهم فى ملحمة بوولف .

أما الكاتدرائية الحالية فى أوبسالا « الجديدة » فهى حديثة

نسبيا ، فقد تم بناؤها فى القرن الرابع عشر . ومع أنها أشهر كنائس السويد ، الا أنها قطعا ليست أجملها ، وقد يرجع ذلك الى أن « الطوب الأحمر » الذى استخدم فى بنائها لا يلائم طراز العمارة القوطى . وبهذه المناسبة ليس الطراز القوطى من خلق القوطيين . فقد استخدم الاسم أصلا كمصطلح للنقد يتضمن شيئا يبدو همجيا وفى حالة سيئة فى نظر المحافظين فى تلك العصور الذين كانوا يفضلون طراز العمارة الرومانى القديم .

أما المقابر القديمة وكنوز الكاتدرائية ومن بينها تابوت من القرن الثانى عشر وكأس ذهبية مغطاة بالميناء والأحجار الكريمة من القرن السادس عشر، فهى أحق بالاعجاب وقد جاء هذا أيضا من براج فى أثناء حرب الثلاثين سنة ، وكذلك جاء « الكتاب المقدس الفضى » الخاص بالأسقف أوليفلاس وهو أثمن تحفة تملكها مكتبة جامعة أوبسالا . والكتاب المشار اليه هو العهد الجديد منسوخ فى القرن الخامس فى شمال ايطاليا – فى عهد احدى الممالك القوطية قصيرة العمر – بالحبر الفضى على ورق أرجوانى اللون . وهو مكتوب بلغة القوط الشرقية ، وبفضل هذا الكتاب استطعنا أن نعرف الأشكال القديمة للكلمات الجرمانية ، وبالتالى معظم الكلمات الانجليزية . ويعتبر البعض هذا المجلد أثمن كتاب فى العالم .

وقد تأسست جامعة أوبسالا فى عام ١٤٧٧ وهى أقدم جامعات السويد وأشهرها ، وينطبق معظم ما قلناه عن لند على أوبسالا ، وبدرجة أكبر تتناسب مع أقدميتها العلمية .

ويستطيع كل من تهمه حياة الطلبة وتقاليدهم أن يزور أوبسالا فى شهر مايو أو نوفمبر عندما يقيم الطلاب احتفالات بذكرى طائفة من الأبطال الوثنيين والمسيحيين وهم يحيون هذه الاحتفالات بتنظيم كثير من صفوف السير وأداء عديد من الأناشيد . واذا تسلم زائر دعوة من أحد الطلبة الأعضاء فى احدى الجمعيات فسوف لا ينقصه طعام أو شراب . ولكنه ـ مهما يفعل ـ فانه لن يستطيع الحصول على سرير ينام عليه ، وهو الشىء الوحيد الذى يتوق اليه أى زائر تجاوزت سنه الخامسة والعشرين فى نهاية يوم ممتع ، ولكن فى الوقت ذاته شديد الارهاق .

ويتناثر فى المنطقة بين العاصمة القديمة أوبسالا ، والعاصمة الجديدة ستوكهولم ، عدد كبير من الكنائس والقلاع وقصور النبلاء الريفية الهائلة . ويستطيع أى انسان مهتم بأسرة براهه أن يجد شجرة هذه الأسرة الرائعة الزينة فى كنيسة أسترا ريد ، وانها حقا لشجرة تؤثر فى نفس مشاهديها . وانه لأمر لافت للنظر أن تقوم أسرة ليست ملكية بمثل هذا الدور فى تاريخ بلد من البلاد لمدة خمسة قرون ، حتى من وجهة النظر العلمية .

ومما يدل على التقدير العظيم الذى تمتعت به هذه الأسرة أن رئيس أساقفة السويد شخصيا أغلق بالشمع ضريح الأسرة فى أسترا ريد بعد موت آخر رجل منها فى عام ١٩٢٩ ، وألقى بالمفتاح فى بحيرة قريبة حتى لا يزعجهم أحد من رقدتهم الأخيرة •

على أن تاريخ مقاطعة ابلاند يحتوى على بعض الفصول التى لها طابع عملى أكبر • ففى هذه الأقاليم تقع بعض مصانع الحديد السويدية الأكثر قدما والأبعد شهرة ، وبخاصة تلك التى توجد فى استربای ودانيمورا ، ويعتقد كثير من الناس أن الصلب المصنوع فى دانيمورا أفضل أنواع الصلب قاطبة ، وذلك بفضل نقاء رخام الحديد المحلى نقاء غير عادى • وقد تطورت المناجم والمصانع فى بادىء الأمر فى القرن السابع عشر على أيدى صناع من الوالون Walloon القادمين من بلجيكا •

ومما يميز السويد خاصة أن وجود هذه المصانع الضخمة لا يكاد يشوه المناظر الطبيعية • فالريف أخضر وجذاب مثل أى اقليم زراعى آخر •

وعندما تتجه غربا من ستوكهولم نحو النرويج تزداد وعورة الأرض وتكثر بها التلال ـ بل الجبال ـ كما تسود الغابات

تدريجيا ، رغم أن المساحات الواقعة على الشاطىء فيزن والوديان الكبرى مزروعة زراعة كثيفة • وقد اكتسبت صناعة الأخشاب فى الجبال أهمية عظمى • كما تقع فى هـذا الاقليم مصانع بوفورز وهى من أشهر مصانع البنادق والأسلحة فى العالم •

وينقسم هذا الاقليم الى ثلاث مقاطعات ـ هى : فستمانلاند ، وفيرملاند ، ودالسلاند • وأشهرها هى فيرملاند ـ التى تشترك مع المقاطعتين الأخريين فيما تقدمه للرياضى أو السائح من مغريات كالصيد البرى والمائى والسباحة والرحلات بالسكك الحديدية أو على القنوات التى تربط البحيرات الجبلية والأنهار ، وفيما تحتوى عليه كـل منها من المدن والقصـور القديمة • ولكن فيرملاند تزيد عنها فى أنها ذات شـهرة حتى خارج حـدود السويد • ويأتى فى المكان الأول أن الخط الرئيسى بين ستكهولم وأوسلو ، العاصمة النرويجية ، يخترق هذه المقاطعة • وثانيا ، وهذا هو الأكثر أهمية ، يقف كثير من المسافرين هناك لزيارة وادى فريكسدالين مسرح رواية « سالما لاجرلوف » المشهورة « ساجا* جستابيرلنج » ، التى تصف حياة الريف منذ حـوالى مائة سنة • ويقع منزل أجداد المؤلفة بالقرب من « سانى » وظلت

---

* الساجا : قصة شاعت فى القرون الوسطى عن بطل ايسلندى • (المترجم)

العائلة تمتلكه ثلاثة قرون • واضطرت أسرة لاجرلوف لبيعه عندما كانت سالما طفلة ولكنها استطاعت أن تشتريه ثانية وترممه بالأموال التى اكتسبتها من كتبها • وقد غيرت أسماء الأماكن الواردة فى الرواية ولكن من السهل تمييزها •

ويقع الوادى فى « برجسلاجن » أو اقليم التعدين الذى يشمل أقاليم جنوب شرق فيرملاند وغرب فستمانلاند وجنوب دالارنا• وقد أقيم كثير من مناجم الحديد وأفران الصهر فى القرن الخامس عشر وجعلت أصحابها أغنياء مثلما فعلت الغابات مع أصحابها فى أيامنا هذه • وقد شيدت نسبة كبيرة من القصور الريفية القديمة التى خلدتها سالما لاجرلوف من الأرباح التى حققتها صناعة الحديد • واليوم تملك الشركات الكبرى عادة كلا من المناجم وأفران الصهر • ولقد نشأ عدد كبير من مشاهير السويديين فى أكواخ فيرملاند وقصورها الريفية القديمة مثل أكواخ وقصور سمولند ، وبعض هؤلاء لا يعرفهم فى الخارج الا الاخصائيون • غير أن أناسا كثيرين ، وبخاصة فى الولايات المتحدة ، قد سمعوا عن جون اريكسون المهندس والمخترع الذى أقام فى الولايات المتحدة والذى صمم سفينة «المونيتور» الشهيرة التى أنهت عصر السفن الحربية الخشبية • كما استخدمت أبراج المدافع المتحركة التى قضت على المناورات المضنية التى كان يقوم بها البحارة لكى تطلق قنابلها المدمرة نحو العدو •

ويشتمل وسط السويد على عدة مقاطعات من أشهرها مقاطعة دالارنا التى تسمى أيضا دليكارليا • ودالارنا اقليم يزوره كثيرون من السياح مثل اقليمى سكونه فرملاند • ولا تختلف دالارنا كثيرا عن فيرملاند • ولكن جبالها أكثر ارتفاعا وغاباتها أشد كثافة • وترتفع الروابى الضخمة من الجرانيت فى وسط الحقول الخضراء والمراعى التى تتناثر بها الأزهار • ولكن ما تتميز به دالارنا هو شدة تمسك سكانها بعاداتهم القديمة • والكلمة العليا فى دالارنا هى للفلاحين ، وتراعى الأعياد التقليدية — سواء أكانت وثنية أم مسيحية أم خليطا منهما بكل دقة • وكان الاحتفال الرئيسى ليلة منتصف الصيف يقام أصلا تكريما للاله « بالدر » وهذه حقيقة لا يغيرها تكريس هذا العيد فى الأزمنة الحديثة للقديس يوحنا • ولا تزال أغصان شجر التامول الخضراء التى تبعد الأرواح الشريرة تزين كل منزل ، وتنصب « السوارى » الضخمة بالاحتفالات التقليدية المناسبة فى ساحات القرى وميادين المدن • ويسهر الفتيان والفتيات الليل بطوله فى غناء ورقص حولها ، أو يتبارون فى القفز من فوق نيران يضرمونها فى الهواء الطلق • ومما يجعل هذه الاحتفالات جذابة بهيجة أن جميع المشتركين فيها وكثيرا من المتفرجين يرتدون ملابسهم التقليدية • حقيقة ان الكثيرين من سكان داليكارنيا يرتدون تلك الملابس فى أيام الآحاد أيضا ، ولكننا لا نشاهد ذلك العدد الوفير

من الناس وعليهم هذا الزى الكامل الا فى المناسبات الكبرى .
ويجب أن نسلم بأن هذه الملابس ليست مريحة تماما وخاصة
ملابس السيدات ، ويمكن أن يقال ان النساء فى هذه الأيام قد
فسدت أحوالهن بهذا الخصوص ؟ فالفتاة الحديثة التى اعتادت
أن ترتدى رداء خفيفا يناسب الأيام الدفيئة لن تتحمل زى يوم
الأحد الذى ترتديه الفلاحة فى تلك المقاطعة والذى يتكون من
« التنانير » الصديريات والمشدات الضيقة ، والمحارم والقبعات .

وهناك سبب آخر لعدم ارتداء الملابس القديمة كثيرا ، حتى
فى داليكارليا ، وهو أنها مكلفة ، كما تستغرق وقتا وجهدا
كبيرين فى صنعها . كما أن أدوات الزينة الذهبية والفضية من
دبابيس وقلائد وأزرار والتى بها تتم الزينة ، ليست رخيصة
الثمن .

ومازال الكثير من العادات الاجتماعية يراعى فى دالارنا ؟ ففى
أيام الآحاد مثلا يذهب بعض الفلاحين الى الكنيسة بوقار فى
قوارب خاصة بالكنيسة ، وهى بلا شك طريقة مبهجة للذهاب
للكنيسة وخاصة فى الأيام الصحوة ، وخاصة بالنسبة للنساء ؟ اذ
لسن مضطرات الى التجديف . ولعل السبب فى هذا أن تسيير
القوارب الثقيلة بالتجديف أمر مجهد ـ اذ يبلغ طول الواحد
منها أكثر من خمسين قدما ، وقد بنى على طراز سفن الفايكينج

القديمة ــ ولذلك فان هـــذه العادة فى طريقها الى الزوال فى الوقت الحاضر .

وقد شيدت الكنيسة القديمة فى رتفيك ــ وهى قرية جميلة تقع على بحيرة سيليان يقيم حولها معظم السائحين ــ عن قصد على لسان من الأرض يمتد داخل البحيرة مما يتيح عديدا من المراسى لانزال المسافرين . وعلى مقربة من ذلك اللسان تتجمع بعض الأكواخ الخشبية الصغيرة ــ وهى بمثابة البلدة التى تحيط بالكنيسة ــ حيث يستطيع المؤمنون الغرباء عن المدينة أن يقضوا الليل فى حالة الجو السيىء ، كما يستطيعون أن يضعوا خيولهم فى اصطبلات فى الشتاء عندما يأتون بالزحافات .

ومازالت الصناعات اليدوية الوطنية القديمة وخاصة النسيج وحفر الخشب وتشكيل المعادن تزدهر فى دالارنا كما لاتزدهر فى أى مكان آخر فى السويد . ويعمل الفنانون والصناع اليدويون بلاشك ، بدافع من ميلهم الخاص ومن التقاليد ، ولكن أن يحققوا دخلا طيبا من بيع منتجاتهم للسائحين ومحلات الهدايا فأمر له دخل فى انتاجهم أيضا ، لأنه يجب أن نتذكر أنه لاتوجد أرض كثيرة صالحة للفلاحة فى وديان دالارنا ، وأن ليالى الشتاء فى أقصى الشمال طويلة للغاية . وهكذا لابد للناس من أن يحصلوا على جزء من دخلهم من مثل هذه الصناعات اليدوية أو بالعمل

فى الغابات أو المناجم . وقد سبق أن قررنا أن جنوب شرقى دالارنا يكون جزءا من اقليم برجسلاجن أو اقليم التعدين الذى كان مركز الخامات الرئيسى للسويد وذلك حتى اكتشاف ثروة لابلاند المعدنية الهائلة ، أو على الأقل حتى استغلالها اقتصاديا . وكان « فالون » عاصمة دالارنا مهد كل شركات التعدين . وتعتبر شركة التعدين المعروفة باسم « شركة تعدين جبل النحاس الأحمر العظيم » أقدم شركة صناعية فى العالم . وتوجد فى المتحف الاقليمى وثائق تحمل تاريخ عام ١٢٨٨ تبين أن هذه الشركة لابد وأنها كانت قائمة قبل ذلك التاريخ . ولكن الآن لم يعد هناك نحاس ، ولكن ليس معنى هذا أن الشركة على حافة الافلاس ؛ وذلك لأنها تملك ــ بالاضافة الى منجم النحاس القديم ــ مصنعا من أهم مصانع الحديد واحدى كبريات منشآت الصلب وكذلك مصنعا من مصانع الورق الكبرى علاوة على مجموعة من المشروعات الأخرى .

ويقع بين فالون وميناء (جفله) ــ و (جفله) هذه هى عاصمة مقاطعة جستريكلاند المجاورة كما أنها أكبر مدن نورلاند ــ مصنع ساند فيكن للصلب وهو أحد المعالم فى تاريخ التعدين . وكان ج. ف. جارانسن ، جد رئيس الشركة الحالى، هو الذى اكتشف عام ١٨٥٨ طريقة لجعل عملية بسمر الصلب رابحة

تجاريا مما ساعد على جعل الصلب رخيصا ووفيرا ، وبالتالى أدخل العالم فى عصر جديد هو عصر الصلب •

وتعتبر مورا المنطقة الثالثة التى تثير الاهتمام فى دالارنا ، وهى ليست بعيدة عن بحيرة سيليان • وهى تجذب الفنانين لأن « اندرس زورن » أشهر رسام سويدى ، ولد وعمل طيلة حياته بها حتى مات عام ١٩٢٠ • وفضلا عن أنه كان من كبار الرسامين فقد كان معجبا متحمسا بالفنون الشعبية السويدية وجمع خلال حياته مجموعة هائلة من عينات نادرة يرجع بعضها الى العصر الحجرى • وكلها موضوعة فى متحف زورن الذى يشتمل على تسعة عشر مبنى • واذا أنت زرت هذا المتحف فسوف تحصل على فكرة دقيقة عن كيف كان الفلاحون السويديون ـ أو معظم فلاحى شمال غرب أوربا ـ يعيشون ويعملون لعدة قرون • ويمكن أن تجد فى مورا بطبيعة الحال عددا من رسوم زورن الخاصة ، بالاضافة الى صور من رسم فنانين سويديين آخرين ، واذا كنت ممن يحبون رسوم الحيوانات فسوف تثير اهتمامك على وجه الخصوص رسوم برونوليليفورس ، فرسومه التى تكاد تكون حية للنسور والثعالب والأرانب البرية والبط والحيوانات وطيور صغيرة أخرى مشهورة جدا •

وارتباطات مورا التاريخية ذات أهمية للسويديين على وجه

الخصوص وتتصل هذه الارتباطات بالملك جوستاف فازا ، ومع أن الدور الذى قام به فى تاريخهم يبرر بلاشك الاعجاب الذى منحه اياه مواطنوه ، فان أعماله لم يكن لها تأثير مباشر يذكر فى الأحداث العالمية . ولكن حدث مرة واحدة بطريقة غير مباشرة أن كان لأحد أعماله نتائج هامة ألا وهو اعتناقه المذهب البروتستانتى .

وعلى أية حال فهو فى نظر السويديين أحد الأبطال القوميين العظام لأنه فى شبابه حث السويديين على الثورة ضد الاتحاد مع الدانمرك ، ومن ثم جعل السويد مملكة مستقلة . وكان سكان دالارنا هم أول من نشر جوستافوس فازا الدعوة بينهم بنجاح للثورة ضد الملك الدانمركى الطاغية « كريستيان » الذى غدر بهم بأن دعا عددا من أكابرهم الى وليمة ثم ألقى القبض على مائة منهم ، ومن بينهم والد جوستافوس وأمر بقطع رقاب ثمانين منهم ، وتم ذلك فى السوق الرئيسى لستوكهولم المعروفة حاليا باسم ستور تورجيت . وظل جوستافوس فازا غير موفق زمنا طويلا ونجا من مآزق كثيرة . ولا تزال البيوت الريفية التى كانت مسرحا لهذه المغامرات قائمة فى المنطقة المجاورة لمورا تجذب المتطلعين الذين يريدون رؤية القبو الذى اختبأ فيه هربا من الدانمركيين أو مخزن الغلال الذى كان يدرس فيه الحنطة متظاهرا بأنه عامل زراعى . ويبدو القبو مكانا غير مريح لقضاء

يومين ، ولكنه على أية حال أفضل بكثير من السجن الدانمركى .
ويقوم تمثاله على صخرة فى مورا ذاتها ، وذلك التمثال هو الذى
قام بصنعه زورن ، ويمثله وهو يوجه نداء حماسيا أخيرا الى
القرويين فى صباح يوم أحد من أيام عيد الميلاد فى عام ١٥٢٠ .
وتقول القصة ان نداءه هذا قد فشل كذلك ، فربط زحافاته الى
قدميه وتقدم فى رحلته الى النرويج فى يأس واشمئزاز ، ولم
يكد يرحل حتى شعر الناس بالندم لتركه اياهم . وقد يرجع
ندمهم أيضا الى أنباء وصلتهم بعد رحيله بقليل أن الملك
الدانمركى كان قد قرر معاقبتهم لسماحهم للثائر بالتجوال فى
الريف بدلا من أن يقبضوا عليه ويسلموه للسلطات . ومهما
يكن السبب فقد أراد القرويون أن يكون جوستافوس فازا قائدا
لهم فأطلقوا وراءه اثنين من أمهر العدائين بالزحافات ليلحقوا به .
فاقتفيا أثره فوق الجبال وعبر الغابات الكثيفة ولحقوا به فى قرية
سيلن على بعد ستة وخمسين ميلا من مورا . ولتخليد ذكرى
هذه الحادثة يقام سباق مراثون للتزحلق على الجليد كل عام على
هذا الطريق التاريخى . ولكن السباق يسير فى اتجاه مضاد ؛
اذ يتخذ التمثال الذى حفره زورن للملك المقبل فى مورا نهاية
للسباق بدلا من نقطة البداية .

وقد يهتم بعضنا بمعرفة الزمن الذى استغرقه أوائل المتسابقين
فى الفوز بهذا السباق ؛ لأن ذلك يمكننا من قياس التقدم الذى

حدث فى هذه الرياضة خلال أربعة قرون . ولكن لن يتيسر لنا ذلك لأن الساعات كانت نادرة في عام ١٥٢٠ . وكان الموجود منها ثقيل الوزن بحيث لا يحتمل أن يعوق أحد المتسابقين نفسه بحمل واحدة منها . وتفيدنا هذه القصة أن رياضة التزحلق على الجليد التى كانت غير معروفة خارج سكنديناوة هى فى الواقع رياضة قديمة جدا ووسيلة من وسائل التنقل . ولا يستطيع أحد أن يحدد بدقة عمر هذه الرياضة ولا المكان الذى نشأت فيه . ويقص علينا زينوفون منذ أربعة وعشرين قرنا فى كتابه « تقهقر العشرة الآلاف » أن الكثير من جنوده الاغريق كانوا يثبتون ألواحا الى أقدامهم عند اجتيازهم جبال آسيا الصغرى المغطاة بالجليد .

ويمكنك أن تمارس التزحلق على الجليد فى دالارنا بأحسن صورة وخاصة فى الجزء الشمالى . ولكن معظم الناس يفضلون زيارة الاقليم فى الصيف عندما يطول النهار حيث يمكن رؤية بعض السكان فى ملابسهم الزاهية الألوان . واذا كنت تبحث عن أفضل أماكن هذه الرياضة فى السويد (باستثناء لابلاند) فعليك بالتوجه فى أوائل الربيع الى يمتلاند ، والى هيريدالن ، أو الى أبعد من ذلك شمالا . وقد تتملكك الدهشة اذا علمت أنه ليس من السهل العثور على أماكن أخرى جيدة لهذه الرياضة

فى السويد • ففى جنوب السويد ووسطها لا يتوقع الانسان
أن يجد كميات كافية من الثلج فى أى وقت خلال الشتاء • وحتى
اذا وجدت المكان الصالح فلن يعجبك الطريقة التى يمارس بها
السويديون التزحلق والتى لاتعدو أن تكون سيرا لمسافات طويلة
على الزحافات على أرض أغلبها منبسط • والمشكلة هى أن الجبال
اما مغطاة بغابات كثيفة واما صخرية لدرجة تستحيل معها هذه
الرياضة المحببة ، ولا تجد جليدا يصلح لهذه الرياضة سوى فى
الشمال بالقرب من الحدود النرويجية حيث تتوافر المساحات
المناسبة والتسهيلات الحديثة بما فى ذلك المصاعد والطائرات
للوصول الى نقطة البدء • وتنتشر المشاتى فى كل من يمتلاند
وهيريدالن حيث الفنادق الممتازة ولو أنها ليست فى فخامة الفنادق
السويسرية فى جبال الألب • وتشترك هذه الأقاليم مع سويسرا
فى أن مهنة السكان الرئيسية هى صناعة الألبان والزراعة ،
علاوة على قطع الأخشاب • وإبان الموسم تحمل قطارات خاصة
جماعات لا حصر لها من هواة التزحلق على الجليد من ستوكهولم
ومدن جنوبية أخرى • ومن الصعب الاختيار بين الاقليمين فيما
يختص بجمال المناظر الطبيعية ونوع رياضة التزحلق على الجليد •
ولكن يمتلاند أكثر أناقة • واذا اكتفيت بالبساطة المتناهية ، التى
لا تنقصها الراحة ــ فاذهب الى هيريدالن • ولكن من الانصاف
أن نحذرك أن هيريدالن أفقر مقاطعات السويد ؟ اذ أن معظم

مساحتها صخور جرداء لا تسمح بتربية أعداد كبيرة من الماشية أو بنمو غزير للأشجار • واذا كنت ممن يرغبون فى أوجه النشاط الاجتماعى بجانب الرياضة البدنية فاذهب الى مشاتى يمتلاند الكبرى التى يعتبر مشتى أورا أجملها جميعا • واذا حدث أن أجهدت عضلاتك من التزحلق على الجليد ورقص الرمبا ولكنك لا تريد أن تتوقف عن الحركة فبامكانك أن تريح عضلاتك بأن يسحبك أحد حيوانات الرنة وأنت مسترخ على زحافتك • واذا لم يكن هذا كافيا لاستنفاد طاقاتك ففى ابريل تهيىء لك هذه المنطقة فرصة طيبة لصيد أسماك السالمون والطروط •

والمناظر الجبلية فى هذا الاقليم من أجمل المناظر فى العالم يشاركها فى ذلك مناظر جبال المقاطعات التى تقع الى الشمال الشرقى : مدلباد ، وأنجرمانلاند ، وفستربوتن ، ونوربوتن • ومع ذلك فان ساحل هذه الأقاليم أكثر شهرة من داخلها • ففى الصيف تقوم البواخر برحلات ممتعة صاعدة فى نهر أنجرمان، كما تنظم رحلات بالسيارات على الطريق الممتاز الذى يتعرج مع وادى نهر اندالز وهذه الرحلات ذات الشعبية الكبيرة فى السويد تنافس مباهج الساحل الذى يؤمه الكثيرون من هواة رياضة اليخوت • وتعتبر سندزفال مركز رياضة اليخوت فى النصف الأعلى من الساحل الشرقى ونقطة النهاية المفضلة للرحلات التى

يقوم بها هواة اليخوت من الميناء الذى ينافسها فى الجنوب وهو ميناء ساندهام وهى جزيرة صغيرة ليست بعيدة عن ستوكهولم .

وفى المقاطعات تحتل صناعة الأخشاب المركز الأول بصورة واضحة ، باستثناء واحد ـ كما سنرى ـ وتأتى صناعة الألبان بعد ذلك بكثير . ويوجد حول سندزفال أكثر من ثلاثين مصنعا لنشر الخشب وصناعة لب الورق ، وربما كان المصنع الموجود فى ميناء استراند أكبر أمثاله فى العالم . وذلك اذا بنينا حكمنا على عدد السفن التى تصل الى الميناء من شتى أنحاء العالم لتأخذ حمولتها من الأخشاب . وكذلك فان ساندسلون التى تقع الى الشمال قليلا على مصب نهر أنجرمان تدعى أنها أكبر مركز لفرز الخشب فى العالم ؛ اذ أنها تفرز ما يقرب من عشرين مليون كتلة خشبية فى السنة . وان الاستثناء الذى سبقت الاشارة اليه فى بدء هذه الفقرة هو منجم بوليدن بالقرب من سكلفتيو فى فستربوتن . ولم يكتشف هذا المنجم حتى عام ١٩٢٠ ولكنه أصبح الآن من أهم مستودعات النحاس الأحمر والزرنيخ والفضة وخامات الذهب فى السويد . ولقد استخرج من الذهب فى السنوات الأخيرة هنا أكثر مما استخرج من أى مكان آخر فى أوربا ، ويقال أكثر مما استخرج من الاسكا أيضا .

وتكون مقاطعة نوربوتن الحدود تجاه فنلندا وتحتوى على

ثلاث مدن شهيرة هى : هاباراندا وهى آخر محطة سويدية على خط السكة الحديدية الدولى الى فنلندا ، ولوليو وهى ميناء مثل نارفيك فى النرويج ، منه يصدر خام الحديد الوارد من لابلاند، ثم مدينة بودن وهى الى الداخل قليلا على نهر لوله ، وهى نقطة التقاء الخط الحديدى من فنلندا وروسيا والخط القادم من النرويج . وعلى قائد الجيش الغازى والقادم من الشرق أن يمر ببودن اذا ما أراد أن يتقدم جنوبا للاستيلاء على السويد ، أو أن يتجه غربا لكى يصل الى المحيط الاطلنطى الشمالى فى النرويج . وحتى اذا لم يرغب فى غزو السويد أو النرويج ، فان الاستيلاء على شمال سكنديناوة بثروته المعدنية الهائلة وميناء نارفيك الخالى من الجليد ، وهو أكبر موانىء أوربا وأكثرها أمانا ، كل ذلك يعتبر مكاسب لا تقدر بثمن . وبالرغم من أن هذه الأقاليم منذ قرنين لم يكن لديها شىء ذو قيمة يغرى الغزاة ، فانه من خلال هذه الفتحة تدفق الروس فى عام ١٧٢١ وأحرقوا كل مدينة وقرية تقريبا على طول الساحل حتى سندرفال جنوبا . فلاغرو أن أصبحت بودر مركزا لأهم سلسلة من التحصينات فى السويد ، ولهذا السبب فهى لاترحب بالزائرين من الأجانب .

وينبغى ألا يؤدى عدم اشارتنا الى الآثار القديمة فى هذه المقاطعات الشمالية الى الاستنتاج أن تلك المقاطعات خالية منها ،

بل توجد فعلا آثارا تبدأ برسوم محفورة على الصخور من عصور ما قبل التاريخ وتشمل أيضا الصخور التى عليها أشكال تشبه الحروف الأبجدية ومقابر الفايكينج والكنائس القديمة • فمثلا يوجد فى جزيرة « ألنو » المقابلة لسندزفال كنيسة جميلة من القرن الثالث عشر تحتوى على رسوم بديعة • وفى قرية سيلونجر على مقربة منها توجد بقايا كنيسة من القرن الحادى عشر فى حالة جيدة • ويوجد فى كل مدينة تقريبا متحف ممتاز به أقسام تاريخية وفنية واثنوجرافية (أى خاصة بالشعوب وحضاراتها) • ويوجد فى لوليو ، وهى مدينة جميلة تأسست حوالى عام ١٦٠٥ ، مجموعة مثيرة للاهتمام من الفخاخ القديمة التى كان اللابس Lapps يستخدمونها فى اقتناص الحيوانات•

والأشياء الوحيدة التى تنقص نورلاند هى القصور الريفية والقلاع القديمة ولكنها فى كل شىء ما عدا ذلك تعطينا قطاعا كاملا للسويد •

٣

أرض شمس منتصف الليل

تعتبر لابلاند أكبر مقاطعات السويد ؛ فهى تشغل ثلث مساحتها . والصفة المميزة للابلاند هى الفوارق الكبيرة بين المناطق الصناعية والمصايف المشيدة على أحدث الطرز بسكانها السويديين وبين ما يحيط بها من أراض على طبيعتها الوعرة تسكنها قبائل اللاب الرحل الذين لا يزالون يتمسكون بطرق حياتهم البدائية . ومع ذلك فان الدعاية الغالبة عنها تصفها بأنها أرض شمس منتصف الليل ، وان كانت بالطبع لا تحتكر هذه الظاهرة العجيبة . وقد يكون السبب فى ذلك أن لابلاند هى المكان الذى يمكن للانسان فيه أن يتمتع بهذا المشهد فى راحة أكثر من أى مكان آخر .

ولمناظر لابلاند الطبيعية سحر خاص ؛ فهناك المستنقعات الموحشة المليئة باللبد النباتى ، والمساحات الواسعة التى لا ينمو عليها سوى الطحالب ، والتلال المغطاة بأشجار قزمية من الصنوبر والبتولا تتخللها حقول من الأزهار البرية زاهية الألوان ، والوديان التى تهدر فيها المياه الذائبة من الأنهار الجليدية فى طريقها الى البحر فوق سلسلة من المساقط المائية .

وينطبق الوصف السابق على معظم أراضى لابلاند فى فصل الصيف على الأقل • أما فى الشتاء فيغطى الثلج والجليد كل شيء ، وحتى اذا لم يحدث ذلك فان هذا لا يؤثر كثيرا فى حياة الناس ، لأن ظلاما حالكا يسود معظم الوقت ويحول دون رؤية أى شيء • وفى الحقيقة أنه لولا الثلج الذى يعكس ضوء النجوم الباهت وضوء القمر وومضات من الأضواء القطبية لما استطاع المرء أن يرى شيئا على الاطلاق فيما عدا ساعة أو ساعتين من الشفق وقت الظهيرة •

وفيما عدا الحيوانات البرية ، فان هذه البرية الموحشة يقطنها ستة آلاف فقط من اللاب الرحل الذين لا يسوقون قطعانهم الهائلة من الرنة ، بل هم فى الواقع يتبعونها • فجماعة اللاب هم السكان الدائمون الوحيدون فى هذه الأقاليم • لأنه فى فصل الصيف يؤم لابلاند عدد كبير من السياح الذين تجتذبهم مناظر ومناشط عديدة : مثل مشهد الشمس فى منتصف الليل ، وجبال كبنكايزه أعلى جبال السويد ، ومساقط المياه الرائعة مثل مساقط هارسبرونجيت وستورا سيوفالت ، والمناخ المنعش ، وصيد الأسماك والحيوانات ، وبصفة عامة ذلك النداء العجيب للطبيعة البرية •

وعلى أية حال يجب أن نسلم بأن معظم الزوار يقنعون بالاعجاب بالبرية الموحشـــة عن يمينهم وعن يسارهم على مرمى البصر ، ويلتزمون بحكمة الطريق الممهد الذى يمكن اجتيازه بعربات السكك الحديدية المريحة الى ابيسكو أشهر مصايف لابلاند ، ومن هناك الى نارفيك على ساحل النرويج بواسطة أكثر السكك الحديدية الجبلية اثارة فى العالم • ويوجد للمشاة ، بما فيهم المتزحلقون على الجليـد ، عدد أكبـر من الطرق يختارون من بينها ، ولكن معظمهم يفضلون العودة بواسطة « طريق الملك » ، وهو طريق أبعد الى الداخل من أبيسكو الى ياكفيك ، أو بواسطة جزء منه ، وذلك لأن طوله مائتا ميـل ويلزم المســافر – حتى ولو كان قويا – ما يقرب من خمسة وعشرين يوما لكى يقطع المسافة •

ولما كانت لابلاند جزءا من السويد فان المسافر المعتاد السفر سيجد فيها كل ما يمكن أن يتوقع من طرق ممهدة مزودة بكل وسائل الراحة والأمان • مثلا علامات الطريق ، وأماكن يلوذ بها للحماية من المخاطر ، والوقود اللازم لاشعال النار ، والقوارب التى يعبر بها الأنهار ، وما الى ذلك •

هذا جانب واحد من لابلاند ؛ فبعض مدنها – مثل جاليفاره ويوكموك – ترجع الى القرن السادس عشر ، ولكن أغنى هذه

المدن حديثة العهد وتدين بوجودها الى الوسائل العملية الحديثة (التكنيك الحديث) • وعندما تحسنت بعض طرق صناعة الصلب زاد الطلب على ذلك النوع من خام الحديد بحيث ارتفعت قيمة احتياطيه فى لابلاند بالدرجة الكافيــة لجـذب رءوس الأموال اللازمة للاستغلال • ولكن لم يصبح من الممكن تصدير الخام بطريقة مريحة الا بفضل ماحدث من تطور فى الطرق الحديدية • وفى عام ١٨٨٤ بدأت شركة بريطانية فى بناء خـط حـديدى لاستغلال طبقات الخام الهائلة فى مالمبرجيت بالقرب من جليفاره، ثم استولت عليه الحكومة السويدية وأنجزته • أما خامات جبل كيرونافارا الأكثر أهمية التى تقع الى الشمال فقد اقتربوا منها وبدأوا فى استغلالها بعد ذلك • وتروى احدى الأساطير الخرافية أن رجلاً من اللاب وضع سكين صيده على الأرض وهو جالس يأكل طعامه ، وعندما أراد التقاط السكين مرة أخرى وجد أنه لابد له من استخدام قوة كبيرة لانتزاعه من على الأرض كما لو كانت السكين قد التصقت بالتربة • ولم ينقض وقت طويل حتى توصل أحد النابهين الى تفسير لذلك : وهو وجود كمية كبـيرة من خام الحـديد المغنطيسى فى تلك البقعة • وسرعان ما اكتشف الجيولوجيون الخبراء أن هذا الجبل والذى كان يليه ــ وهو لوسافارا ــ يحتويان فى داخلهما على حـديد خام نقى تقريبا يزن أكثـر من بليونين من الأطنان ، ويحتوى على

٦٠ – ٧٠ فى المائة من معدن الحديد ، فى حين أن المتوسط العالمى ٤٠ فى المائة فقط . ولو أن هذا الكشف تم قبل ذلك بسنوات قليلة لما كانت له قيمة تذكر ؛ لأن خام الحديد كان يحتوى على نسبة كبيرة من الفسفور تصل الى ٢٫٣٠ فى المائة ، فى حين أن خامات برجسلاجن الجيدة تحتوى على ١ فى الألف ، وخامات دانيمورا تحتوى على ١ من عشرة آلاف فقط ، أما خامات جاليفاره فتقع فيما بينهما . ولم يصبح صهر الخام الذى يحتوى على نسبة كبيرة من الفسفور عملية مربحة الا قرب نهاية القرن التاسع عشر نتيجة للتقدم التكنولوجى . ومع ذلك فان عملية الصهر كانت تستهلك كمية هائلة من الفحم ، ولما كانت السويد لا تملك منه سوى القليل كان لزاما أن تصدر كل خام الحديد من هذا النوع الى بلدان غنية بالفحم . وكانت ألمانيا فيما مضى أفضل العملاء ، أما الآن فتأتى الولايات المتحدة فى المقدمة .

. . .

ولكن حتى هذا لم يكن كافيا ؛ فبدون كهرباء فان مناجم لابلاند كانت ستظل مشروعا متواضعا وخاصة مناجم كيرونا . فمهما تكن الأجور المدفوعة مرتفعة ، ومهما يكن أصحاب الأعمال كرماء – اذ أن الدولة السويدية والشركات الخاصة تشتركان فى الملكية – فان من الصعب توفير الأيدى العاملة والأجهزة الادارية اللازمة اذا كان على هؤلاء أن يقضوا شهورا كل عام

فى ظلام شبه تام . وزيادة على ذلك فان مناجم كيرونا ليست مناجم بمعنى الكلمة ، ولكنها محاجر مفتوحة حيث يستخرج الخام من قمة الجبل بعد عملية التفجير أو النسف ، وتصبح الأضواء الكهربية القوية الوسيلة الفعالة الوحيدة لاضاءة مساحات كبيرة فى الهواء الطلق . وتغمر الأضواء الكهربية الجبل كله ، وكذلك مدن التعدين معظم أيام السنة ، ولهذا تأثير خيالى وخاصة فى كيرونا . وحتى فى هذه الحالة فان العاملين بالتعدين فى السويد يتقاضون أعلى الأجور بالنسبة الى هذا العمل فى أوربا ـ لا فى صورة نقود وانما فى صورة قوة شرائية ـ فالسلع فى السويد أرخص منها فى الولايات المتحدة ، وبالرغم من أن المعدنين يتقاضون عددا أقل من الدولارات فانهم يستطيعون شراء سلع أكثر بنقودهم .

وتعتبر كيرونا مدينة نموذجية بطبيعة الحال لأنها صممت بناء على خطط مدروسة جيدا لأن السويديين جعلوا من جهدهم المبذول مسألة كرامة . وستتولاك الدهشة عندما تجد مكانا مثل كيرونا يقع على بعد مائة ميل الى الشمال من الدائرة القطبية . ويفخر السويديون على وجه الخصوص بكنيسة هذه المدينة التى بنيت على هيئة خيمة من خيام اللاب . وقد تنافس أفضل فنانى السويد الحديثة فى تزيينها ونجحوا فى أن يخلقوا منها شيئا

أخاذا وغير عادى ؟ فالضوء ينفذ الى داخلها من القمة محدثا تأثيرا فيه شيء من السحر ، ان لم يكن من الرهبة •

والمركز الحيوى الثالث للابلاند ، والذى يلى جاليفاره وكيرونا ، هو محطة بوريوس لتوليد للكهرباء بالقرب من جاليفاره والتى تولد التيار الكهربى لمعظم لابلاند وتستمد القوة الكهربية من مساقط مياه بوريوس على نهر ستورا لوله ، وهى مساقط عجيبة حقا ، ولكن الأعجب منها أن معظم أجزاء هذه المحطة وأهمها تقع على عمق ١٢١ قدما تحت سطح الأرض فى فتحات هائلة محفورة فى الصخر الصلد • وقد فعلوا هذا لكى يجنبوا المحطة أخطار التوقف التى يسببها البرد ، لأن مثل هذا التوقف يعتبر كارثة حقيقية بالنسبة لجميع سكان لابلاند • والآن ، وبعد تطور القنبلة الذرية ، لا نشك فى أن السويديين قد ازدادت غبطتهم للحماية التى تتمتع بها هذه المحطة الحيوية ضد السلاح الجديد الخطير •

وعلى بعد بضعة أميال فقط من بوريوس توجد شلالات هارسبرونجيت التى كانت فى السبيل الى الاستغلال، والىالشمال قليلا توجد شلالات ستورا سيوفالت ؟ وهى أعظم شلالات أوربا، بل انها تفوق شلالات نياجرا من ناحية واحدة ، أنها مازالت فى حالتها الطبيعية لم تمسسها يد الانسان •

وتشابه لابلاند مع ألاسكا فى أشياء كثيرة • ولكن هناك نقطتى اختلاف فى صالح لابلاند : أولاهما أنها لا تبعد بأكثر من أربعمائة ميل عن العاصمة ، وثانيتهما أن نفقات المعيشة ليست مرتفعة كما هى الحال فى ألاسكا • ولا يرجع الفضل فى هذا الى أهل لابلاند أو الى الحكومة ، بقدر ما يرجع الى البعوض الذى ينتشر فى البلاد فى فترة الصيف حتى شهر أغسطس مما لا يجذب السياح للمنطقة ، وبالتالى لا ترتفع الأسعار نتيجة لما كان يمكن أن يحدث فى حالة توافد السياح وانفاق نقودهم فى لابلاند •

وهناك آخرون يتمتعون بامتيازات خاصة فى لابلاند وهم الستة آلاف من اللاب أنفسهم • فهم ليسوا ملزمين بأن يؤدوا الخدمة العسكرية كغيرهم من السويديين ، كما أن لهم مطلق الحرية فى تصرفاتهم ، وهـذا يعنى أنهم يستطيعون المعيشة كما كان يفعل أسلافهم من آلاف السنين • وان قلة ضئيلة منهم هى التى تبدى أية رغبة فى أن يستبدلوا وسائل الراحة الخاصة بالمدنية الحديثة بمعيشتهم المتنقلة القاسية • وحياتهم شاقة لأنهم لا خيار لهم الا أن يكونوا عبيـدا لحيوان الرنة الذى يعتمـدون عليه تماما فى طعامهم وملابسهم ، وكذلك فى النقل عندما لا يستقرون فى أحد معسكراتهم شبه الدائمة • وهذه الرنة — التى يبلغ عددها حوالى ثلاثمائة ألف رأس — فى حكم المتوحشة • ويحتقر باقى القطيع

العدد القليل منها الذى أمكن تدريبه على جر الزحافات وعلى ادرار اللبن ، ولا يسمح له بالجرى مع القطيع ، بل يجب عزله . ومن العجيب أن الرنة تتصرف تماما مثل سادتها الاسميين (أى اللاب)، لأنهم يحتقرون اللاب الصيادين الذين استقرت بهم الحال . ويهاجر اللاب الحقيقيون (أى الرحل) فى الربيع والخريف بصحبة قطعانهم التى لا يمكن التنبؤ بحركاتها ، والتى يصعب التحكم فيها . وهـذا يعنى أن الأسرة من اللاب يجب أن تكون مستعدة لأن تفض معسكرها فى أية لحظة ، وأن تحزم من أمتعتها ما لا غنى لها عنه ، وأن تحرق ما يتبقى منها حتى الخيام نفسها . ويتعين عليهم بعد ذلك أن يتبعوا القطيع فى السراء والضراء طوال أسابيع أحيانا بغض النظر عن حالة الجو والعقبات الطبيعية الى أن يعثر القطيع على أرض بها مراع مناسبة .

وقد يتبادر الى ذهن القارىء أنه فى حياة مثل هـذه لن يجد الأطفال على الأقل سبيلا الى التعلم ، ولكن هذا لا يحدث . فليس هناك استثناء فى السويد لقانون التعليم الاجبارى . وبسبب عدم وجود طرق ممهدة ، فلا جدوى من استخدام الحافلات لنقـل التلاميذ الى المدارس ، ومن ثم لابد للمدارس من أن تتبع اللاب فى تنقلاتهم ، فاذا حلوا فى مكان ما أقيمت المدرسة وعنابر النوم على وجه السرعة . ويتكون نصفها مما يشبه الحظـيرة ونصفها

الآخر من الخيام • وتغطى أرضيتها بأغصان شجر البتولا ، وهى تستخدم فى الوقت ذاته كمكان للنوم • ويوجد فى الوسط نار موقدة للطبخ والتدفئة، كما يوجد حوض من الماء البارد للاغتسال• وهناك شيء واحد على سبيل التعويض لهذا التقشف ؛ اذ لا يقوم أحد بالاستحمام • كما أن عمليات ارتداء الملابس وخلعها تتم فى أضيق الحدود • فقد اكتشف أن مظاهر النظافة المدنية هذه تسبب الالتهاب الرئوى والتدرن بين أطفال لم يعتادوا عليها • وزيادة على هذا فانها ستبطل بمجرد أن يعود الطفل الى بيته •

وقد نجح النظام بدرجة كبيرة ؛ فاللاب متعلمون تعليما حسنا ولكن هذا التعليم لم يبعدهم عن حياتهم التقليدية الشاقة ، سواء من الناحية المادية أو الأدبية • ويجب ألا تظن أن اللاب قوم أغبياء ، بل ان بعض الناس يعتقدون أنهم أسرع بديهة من السويديين • وقد يكون هذا صحيحا ـ فاللاب متوسط الحال الذى يملك مئات وأحيانا آلاف الرءوس من الرنة ، تساوى الواحدة منها حوالى عشرين دولارا ، ولايصرف شيئا تقريبا ـ يعتبر أغنى من بعض السويديين • وهو لا يدفع ضرائب تقريبا ولا يعبأ بالتضخم المالى أو الكساد أو ما شابه ذلك مما يسبب قلقا فى بلاد المدنية الحديثة •

لقد قلنا ان طريقة حياة اللاب لم تتغير لآلاف السنين • وهذا حقيقى فى المجال المادى • أما فى الميدان الأدبى فقد حدث تغير كبير منذ حوالى مائة عام عندما عمل أحد المبشرين ويدعى « لايستاديوس » على تحويلهم من الوثنية الى المسيحية ، أو الى مسيحيته الخاصة ذات الطابع الكئيب ؟ فقد علمهم أن أى ادمان يؤدى مباشرة الى الجحيم ، وأن الخمر أسوأ خطيئة ، بل ان النظر الى المرأة ، أو التحلى بالحلى الفضية ، أو وضع ستائر على النافذة ، أو ترديد الأغانى الشعبية القديمة أمور محرمة • بل ان السباحة جريمة فى حق الله لأن الله كان يستطيع أن يزود الانسان بأقدام مفرطحة ذات أغشية لو أراد له السباحة •

ويستحسن ألا نفكر فى مصير الطيارين لو أن لايستاديوس كان على صواب • ويقال ان اللاب شديدو الايمان بهذه العقيدة• ولا يملك الانسان الا أن يرثى لهؤلاء الناس الذين يعيشون مثل تلك الحياة الشاقة ، ويقضون جزءا من السنة فى ظلام وبرد قارس حارمين أنفسهم من الملذات البريئة التى قد تعوضهم عن مثل هذه الحياة الشاقة •

والأمر الغريب هو أنه فى أى مكان آخر فى السويد نجد أن البروتستانتية أبعد ما تكون عن البيوريتانية (التزمت) وضيق الأفق • وان ما دفع اللاب الى اعتناق هذا الخليط غيرالسويدى من المعتقدات لأمر يثير اهتمام علماء النفس •

٤

تاريخ السويديين

عصر ما قبل المسيحية (حتى سنة ١٠٠٠ ميلادية)

كانت السويد مأهولة قبل العصور التاريخية بزمن طويل ، بدليل ما وجد من أدوات عديدة وآثار حجرية ونقوش صخرية ترجع الى العصر الحجرى والعصر البرونزى ، وقد امتد العصر الأول قبل سنة ٢٠٠٠ ق٠م٠ والثانى من ٢٠٠٠ ق٠م٠ الى نحو ٧٠٠ ق٠م٠ ومن الحقائق المعروفة أن كثيرا من القبائل السويدية أخذ فى النزوح جنوبا فى العصور القديمة وفى غزو الأراضى الأوربية وبدرجة أقل شمال افريقية وآسيا الصغرى، ولا نعلم لذلك سببا قاطعا ، ولكن ربما كان من أسبابه استخدام الأسلحة من الحديد بدلا من البرونز أو حدوث تغير فى المناخ جعلهم لا يطيقونه • وقد ظلت أوربا سنين طويلة فى حالة اضطراب مستمرة لم تكد تستقر حتى بدأت حركة اضطراب مماثلة بواسطة الهون جاءت من الشرق هذه المرة • وبهذه المناسبة كان للفايكينج أيضا يد فى الضغط (على أوربا) فيما بعد • ودام هذا العصر من عصور الهجرة عدة مئات من السنين ، فى شرق أوربا على أية حال ، أو حتى لم يعد فى غزوات المغول أو الأتراك قوة تذكر •

وفى بداية القرن الأول قبل الميلاد ارتجت الجمهورية الرومانية ، التى كانت قد وطدت الأحوال السياسية حول البحر المتوسط ، وذلك بواسطة القبائل السلتية والجرمانية والكمبريين والتيوتون . وكانت روما فى ذلك الوقت لا تزال فتية وقوية ، وكانت قد كسبت الجولة الأولى . ولكن ـ على حد التعبير البارع لأحد الكتاب القوطيين من القرن السادس الميلادى ـ برهنت السويد على أنها « مفرخة الأمم » . ومن الواضح أن موجات لا حصر لها من القبائل الجرمانية ـ وكان الكثير منها من سكنديناوة ـ ظلت تهاجم الامبراطورية الرومانية التى دبت فيها الشيخوخة وحطمتها فى نهاية الأمر . وكانت قبائل لانجوباردى هى القبائل الاسكندنافية الرئيسية التى كانت تدفع القبائل الجرمانية الأخرى جنوبا ، ولذلك لم تظهر على المسرح التاريخى الا بعد غيرها . وهم الذين أسسوا مملكة لمباردى فى شمال ايطاليا فى القرن السادس . ويشبههم فى ذلك البرجنديون الذين أسسوا مملكة برجنديا فى شرق فرنسا وأخيرا القوط ، أو الجوتار ، الذين فتحوا معظم أوربا فى وقت ما ولكنهم تناثروا لدرجة أنهم لم يتركوا أثرا دائما فى أى مكان خارج موطنهم الأصلى .

ولا يمكن أن نقرر هل كان السبب هو أنهم فضلوا البقاء فى

دارهم ؟ أو لأنهم كانوا أقوى القبـائل ولذلك اسـتطاعوا طرد الآخرين من بلادهم، ولكن الحقيقة هي أن السفيا أو السويديين لم يظهروا في وقت مبكر على مسرح التاريخ العالمي . ولكنهم مذكورون في أول تاريخ للأجنـاس الجرمانية ، في الكتـاب الكلاسيكي « جرمانيا » الذي كتبه المؤرخ الروماني «تاسيتس» الذي يطلق عليهم اسم « سفيوني » وهو يصفهم بأنهم « أقوياء في البر والبحر » .

وفي القرن الثـالث الميـلادي امتدت مملكة قوطية (القوط الشرقيين) من البحر البلطي حتى البحر الأسود .

وأسس القوط الغربيون مملكة قوية في اسبانيا دامت ثلاثة قرون . وحطمها العرب في القرن التاسع (الميلادي) . ومن المدهش حقا أنه بينما كان القوط يستخدمون طاقاتهم في الخارج ويراكمون ثروات هائلة في وطنهم ، كان السفيوني أو السفير يزيدون من قوتهم بهدوء باخضاع القبيلة بعد الأخرى . وأخيرا اصطدموا بالقوط في جنوب السويد وهزموهم بعد صراع دام، حسب أسطورة بوولف ، قرنين من الزمان .

*

ولذلك يمكن ارجاع تاريخ انشاء مملكة السويد الموحـدة الموجودة اليوم الى القرن الثامن وحتى الى عصر تاسيتس حوالي عام ١٠٠ ميلادية عندما تحقق وجودها بالفعل .

ولو أن أحد خبراء السياسة الخارجية من القرن الثامن تنبأ بأنه بعد هزيمة القوط العدوانيين ستتطلع قارة أوربا المخربة الى مستقبل تسوده فترة سلام واطمئنان ، فانه يكون قد ارتكب خطأ فاحشا ؛ اذ أن المحاربين الاسكندنافيين عادوا الى الظهور على المسرح بعد فترة وجيزة من الصمت لاسترداد أنفاسهم . وقد ظهروا هذه المرة كاسكندنافيين أو فايكينج متخصصين فى الهجوم عن طريق البحر ، فى حين اعتمد القوط القدماء كلية على الجيوش البرية . ويمكن أن تقول ان القوط فى زمانهم كانوا يشبهون البروسيين على حين كان السفير يشبهون الانجليز فى الأزمنة الحديثة .

وكان الفايكينج يعملون فى جبهتين ، فى الشرق والغرب ، لأن هؤلاء الناس لم يكونوا سويديين فحسب ، بل ضموا فيما بينهم أسلاف الدانمركيين والنرويجيين . وهكذا كانت لهم قواعد على كل من ساحلى سكندنافيا . وكانت انجلترا فى الغرب من أوائل الدول التى أغار عليها الاسكندنافيون وذلك بالقرب من نهاية القرن الثامن . وغزا الفايكينج بعض أجزاء انجلترا ، ودفعت أجزاء أخرى جزية كبيرة لابعاد الغزاة ، وقد اشتهرت تلك

الجزية باسم (دينجلت) Daneged . ولكن دفع الجزية للغزاة لكف أذاهم لم يكن كافيا كالمعتاد ، لأنه ببداية القرن الحادى عشر وجد الانجليز أنفسهم فقراء بدرجة كبيرة ويحكمهم ملك دانمركى ، هو : كنوت أوكانوت العظيم . وظلت انجلترا والدانمرك وجنوب السويد متحدة طوال عشرين عاما ؛ لأن أقاليم بلكنج وسكونه وهالاند كانت فى تلك الأيام جزءا من الدانمرك لا من السويد . ومن الواضح أنه لم يكن لدى السويدى أى اعتراض على هذا ؛ لأن ملكهم أولوف سكوتكوننج أرسل بعض رجال الفايكينج لمساعدة الملك كنوت لاخضاع الانجليز .

وبدأت الغارات على الساحل الفرنسى عام ٨٣٠ ميلادية . ولم يستطع الملك الفرنسى دفع الفايكينج ، ولكنه تصرف تصرفا حسنا فى هذه الظروف السيئة بأن أنعم بالأرض المطلة على القنال الانجليزى ــ التى كانوا قد غزوها فعلا ــ على زعيم « أهل الشمال » أو النورمانديين ، وأصبحت تعرف بدوقية نورماندى . وادعى واحد من سلالة الاسكندنافيين ، وهو وليام ، أنه أحق بالعرش الانجليزى من الملك هارولد ، وغزا انجلترا عام ١٠٦٦ م .

وأبحرت أساطيل أخرى للفايكينج فى البحر المتوسط عبر مضيق جبل طارق وأقامت عددا من الدوقيات والامارات على

سواحله • ولكن حدث ما حدث فى نورماندى وهو أن السكان المحليين سرعان ما امتصوا الاسكندنافيين •

وحدث نفس الشىء فى شرق أوربا التى كانت على وجه الخصوص أرض الصيد بالنسبة للفايكينج السويديين • وبحلول القرن التاسع عشر أصبحت شواطىء البحر البلطى مرة أخرى محكومة بواسطة السويديين بعد أن كانت مقرا لمملكة قوطية • وتسللوا من هناك تدريجيا الى الداخل الى ما يسمى الآن ببولندا وروسيا تجذبهم أثمن جائزة ألا وهى بيزنطة بثروتها الهائلة • ولم يكن الطريق سهلا ولكنه كان أقصر كثيرا من الطريق عبر البحر المتوسط • وكان على سفن الفايكينج أن تبحر الى مصب نهر نيفا حيث أقيمت فيما بعد مدينة بطرسبرج ، أو بتروجراد ، أو ليننجراد حاليا ، ثم الى بحيرة لادوجا • ومن هناك عبر أنهار وبحيرات أخرى الى المنطقة المجاورة لمنابع نهر دنيبر الذى يصب فى البحر الأسود • ومن هناك كانت مهمتهم سهلة ، ولكن قبل أن يصلوا الى البحر الأسود كان لابد لهم أن ينقلوا قواربهم مسافات طويلة على البر • وليس من العدل بالنسبة للفايكينج أن نفترض أن هدفهم الأول كان الاستيلاء على بيزنطة لأنفسهم ، وأن هدفهم الثانى كان الاتجار معها اذا لم يستولوا عليها • وقد حدث أن كل المحاولات التى كانت ترمى

الى اجتياح المدينة والتى تمت خلال القرنين التاليين قد فشلت ، وكان عليهم أن يقنعوا باكتساب المال عن طريق التجارة ، وأيضا بطريقة أخرى تثير السخرية بأن يعملوا كحراس خصوصيين للأباطرة البيزنطيين • وكان امتياز الخدمة فى المدينة يعتبر شرفا عظيما لمن يحصل عليه •

ولكن الفايكينج لم يستطيعوا ، بل لم يحاولوا أن يحققوا هدفهم دفعة واحـدة • وبدأوا بالتوسع من البحر البلطى الى الجنوب الشرقى حيث أقاموا فى المركز التجارى الروسى الهام نوفجورود (وتعرف بالسويدية باسم نيجورد أو المدينة الجديدة) حيث أسسوا مملكة • ولم يلبثوا بعد ذلك أن استقروا فى مدن أخرى مثل كييف وغيرها من المدن القديمة بالاقليم •

ولم يستغرق اندماج الغـزاة فى المقهورين من أهل البـلد الأصليين أكثر من ثلاثة أو أربعة أجيال • وفى القرن الحادى عشر كف تيار الامدادات من الوطن الأصلى تدريجيا • وتزاوج المحاربون والنساء الوطنيات ، ولم يبق من غير الفايكينج للسلاف الشرقيين سوى اسم « الروس » ودولة جديدة ذات قوة كبيرة •

وفى التاريخ الروسى الذى كتبه الراهب نسطور فى القرن

الحادى عشر يشير الى الفايكينج باسم الفارانجيان من قبيلة الروس ، وأطلق هذا الاسم على السلاف الشرقيين . ويعتقد معظم المؤرخين أن كلمة « روس » مشتقة من اسم اقليم رودن واسمه الحديث روسلاجن وهو شريط ساحلى وأرخبيل يقع الى الشمال من ستوكهولم ، ونفس الكلمة من نفس الأصل اللغوى الذى جاءت منه الكلمة السويدية بمعنى « يجدف » . ولذلك فان كلمة « الروس » قد تعنى المجدفين .

ولا يسع الانسان الا أن يعجب بشجاعة الفايكينج الذين قاموا بهذه الرحلات . فالغنائم مغرية لأنهم رحلوا لسلب بلاد غنية . وفى حالة الانتصار كان بضع مئات من الرجال يصبحون أصحاب كل ثروة الاقليم بما فيها من مزارع وقصور ريفية وذهب ومجوهرات . وكان باستطاعتهم أن يستذلوا أى شخص . ولكن عندما عبروا المحيط الاطلنطى مؤخرا الى شمال أمريكا — وهذا ما فعلوه ثلاث مرات على الأقل — فانهم كانوا يخاطرون فى المجهول على ظهر قوارب صغيرة وبدون استخدام بوصلات . ووصلت احدى هذه الرحلات بقيادة ليف أركسون الى فنلاند معتقدين أنها ساحل كيب كود أو نوفاسكوتيا . ولكن لم يكن هناك مجال للسلب والنهب فى أكواخ الهنود الأمريكيين ، ولذلك أوقفت هذه الرحلات . وقد قوى من الميل الطبيعى للقتال

والسلب والنهب ، والذى كان يعتبر شيئا مشروعا فى تلك الأيام.
الديانة التى كانت تعتنقها السلالات الجرمانية ؟ اذ كانت هذه
الديانات تعلمهم أن من يموتون فى القتال سيدخلون الى «فالهالا»
أى الجنة ، حيث توجد احتفالات ، وشراب ومرح بصورة
متصلة • ولابد أن الملوك السويديين قد تنبهوا الى أن شعبهم
لا يمكنه احتمال سفك الدماء الى ما لا نهاية ، وقد يكون هذا هو
أحد الأسباب التى دعتهم الى الاسراع بالتشجيع على تحويل
رعاياهم الى المسيحية ، مع أن هناك من يعتقد أنه مادام باقى أوربا
كان قد دخل فى المسيحية فى ذلك الوقت وجد السويديون أن
الوثنية عقبة فى سبيل علاقاتهم التجارية • ومهما يكن من شىء ،
فان تحويل السويديين الى المسيحية بمرسوم ملكى يرجع الى
الملك أولوف سكوتكونج الذى دعا بعثات تبشير انجليزية الى
السويد للتبشير بالدين الجديد فى أوائل القرن الحادى عشر •
وقبل سانت سيجفريد رئيس أساقفة يورك الدعوة وبدأ عمله
بتعميد الملك نفسه وكل أفراد جيشه • وكانت المسيحية بطبيعة
الحال عقيدة من الصعب أن تروق لعتاة الفايكينج ، أو حتى
لشبابهم ، فلا غرو أن حدثت ردود فعل عنيفة ودموية كان آخرها
تلك الثورة التى حدثت قرب نهاية القرن الحادى عشر عندما
طرد « انج » الملك المسيحى بواسطة الحزب الوثنى الذى انتخب

تزوج أخته بدلا منه • ولكن سرعان ما عاد «انج» وهزم منافسه• ولم تواجه العقيدة الجديدة أي تهديد جدى بعد ذلك •

مملكة العصور الوسطى (١٠٠٠ ـ ١٣٥٠)

ولكن يبدو أن الانسان يميل دائما الى تحطيم نفسه ، فقد حدث بضربة حظ غريبة أن انتهت الأسرة المالكة السويدية وهى أسرة اونجلنجا التى حكمت بنجاح السفير فى بادىء الأمر ثم كلا من السفيا والجوتار مدة تقرب من ألف عام ، وذلك بعد أن نجحت فى ادخال المسيحية الى السويد • ومن الواضح أنهم أدوا رسالتهم بنجاح • ولو أن هذه الأسرة المالكة قد استمرت فى الحكم لتمتعت السويد بفترة سلام • ولكن بانتهائها حلت الحروب الأهلية محل رحلات الفايكينج •

وترجع الحرب الأهلية أساسا الى أن الملكية لم تكن وراثية ؛ اذ كان الملك ينتخب بواسطة مؤتمر من الرجال الأحرار يسمون التنج ، كانت لهم سلطة مطلقة فى فرض الضرائب وفى التشريع• وكان الملك القائد العسكرى الأعلى ، وحتى ظهور الدعوة المسيحية كان يعتبر الكاهن الأعلى كذلك • ولذلك فان السويد توحدت من الناحيتين العسكرية والدينية فحسب• أما فى الميادين الأخرى فقد كان لكل اقليم سيادته الخاصة ومجلس الأحرار

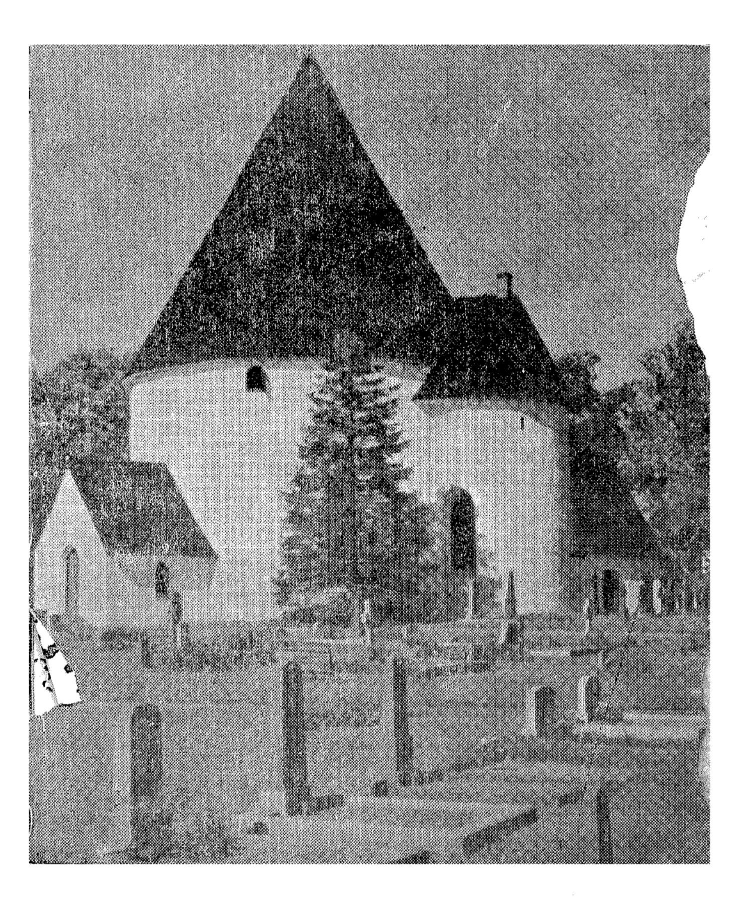
الخاص به . وقد مرت قرون ، فى السويد كما فى أى مكان آخر بأوربا ، قبل أن تقوى السلطة الملكية بدرجة تكفى لتحقيق الوحدة الحقيقية للبلاد .

ومع أن الملك كان ينتخب فى السويد فى القرن الحادى عشر ، الا أن العادة جرت على أن يكون الاختيار محصورا فى أفراد الأسرة المالكة . وطوال حياة أسرة اونجلنجا القديمة لم يكن هناك نقاش ، ولكن بعد انتهائها لم تكن هناك أسرة بذاتها بارزة المكانة بشكل واضح وظل العرش طوال مائتى عام يشغله بالتناوب أفراد من أسرتى « اريك » و « سفيركر » . وقد أظهرت أسرة « اريك فاردسن » شخصيات مشهورة للغاية منها اريك نفسه الذى سمى فيما بعد سانت اريك ، وهو القديس الحامى للسويد ، والذى لم يعرف عنه شيء تقريبا سوى انه قاد حربا صليبية ضد فنلندا الوثنية ، والتى كان بها عدد كبير من السكان السويديين . ويبدو أن ابنه كنوث كان أقل منه تدينا ، اذ قتل سلفه كارل سفيركرسن ولكنه كان ذا شخصية أقوى منه . وفى عهده ضعفت الروابط الدينية والتجارية السابقة مع انجلترا بدرجة كبيرة ، فى حين ازدادت العلاقات مع ألمانيا قوة . وكان الألمان فى ذلك الوقت فى فترة توسع قوى متجه الى الشمال الشرقى أى بحذاء الساحل الجنوبى للبحر البلطى والذى

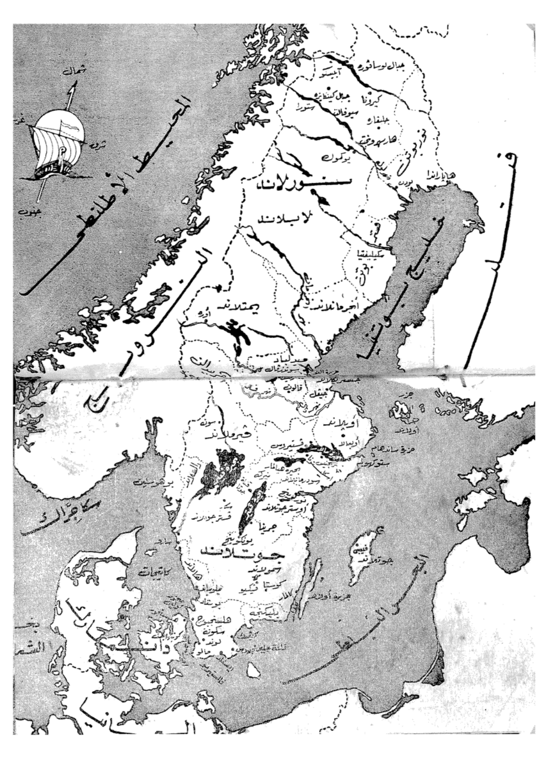
سيصبح قلب بروسيا فى المستقبل • وكان يقطن ألمانيا فى ذلك الوقت سلاف وثنيون يعرفون باسم « الوند » ويسودها نظام عسكرى ودينى هو نظام « الفرسان التيوتون » الذى ألقى على عاتقه مهمة تحويل السكان الى المسيحية وقام بهذه المهمة باستخدام أساليب القوة ، كما فعلت نظم أخرى وكما فعل الفرسان المعروفون بفرسان الهيكل بالحرب فى الأراضى المقدسة • وكان الفرسان التيوتون أكثر نجاحا ، ولذلك بقوا كسادة ومستعمرين لكى يمنعوا الناس من الردة • وأسس الألمان مراكز تجارية هامة على البحر البلطى ، من بينها لوبيك منافسة فيسبى ، وسرعان ما وجدت السويد نفسها فى منطقة نفوذ ثقافية واقتصادية ألمانية •

وتأثر كنوت ملك السويد بنجاح الألمان فجلب عددا كبيرا من الخبراء الألمان فى الزراعة والتعدين فأدخلوا أحدث الأساليب الى السويد • وتدين السويد لهؤلاء الخبراء بتطور مناجم برجسلاجن وأدى هذا الى فترة جديدة من الرخاء بعد حالة من الكساد استمرت طويلا سببها نقص الدخل من خارج البلاد الذى كان وفيرا فى أثناء عهد الفايكينج •

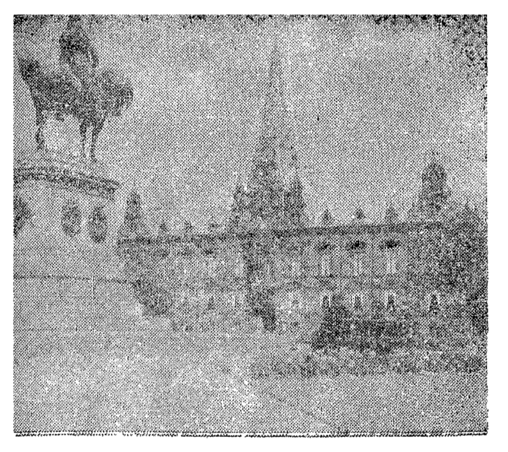
وبضربة أخرى غريبة من ضربات القدر اختفت الأسرتان المتصارعتان فى النصف الأول من القرن الثالث عشر • ولكن



كنيسة هاجبى التى تنتمى الى العصور الوسطى فى سمولاند

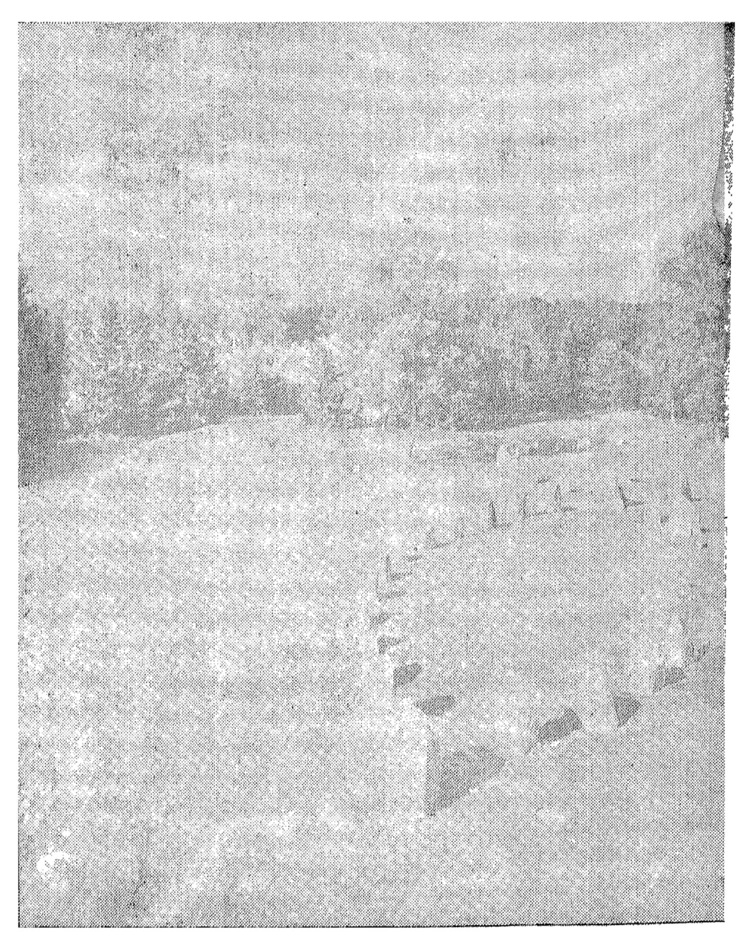


شمال
جنوب
المحيط الاطلنطي
النروج
نورلاند
لابلاند
كيرونا
جمتلاند
أوبلاند
جوتلاند
جزيرة اولاند
سكاجراك
البحر البالطيق
خليج بوتنيا
فنلند
دانمارك

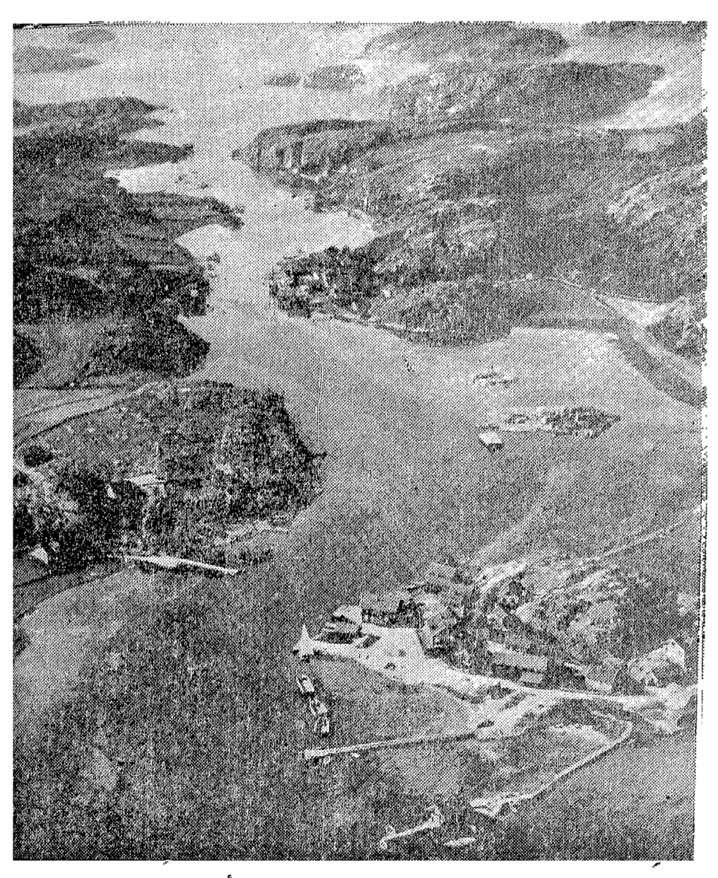


تمثال شارل العاشر ومبنى البلدية فى ميدان ستورتورجت بمدينة مالمو .

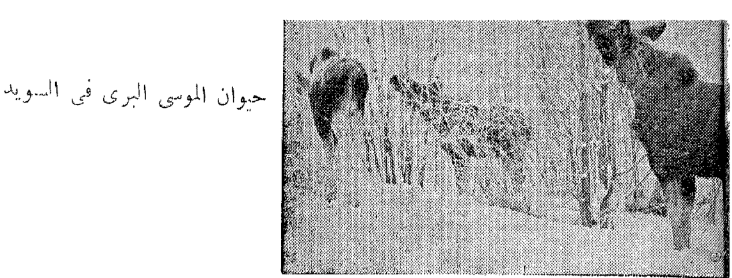
منظر لمدينة مالمو من الجو



هياكل سفن الفايكينج فى فوسمانلاند يرجع تاريخها الى حوالى سنة ٥٠٠ ميلادية



منظر من الجو لمدينة هامبورجسوند في أرخبيل بوهوسلين



حيوان الموسى البرى فى السويد

صبية من اللاب يتدربون على استخدام الحبال ذات الأنشوطة لصيد الحيوان

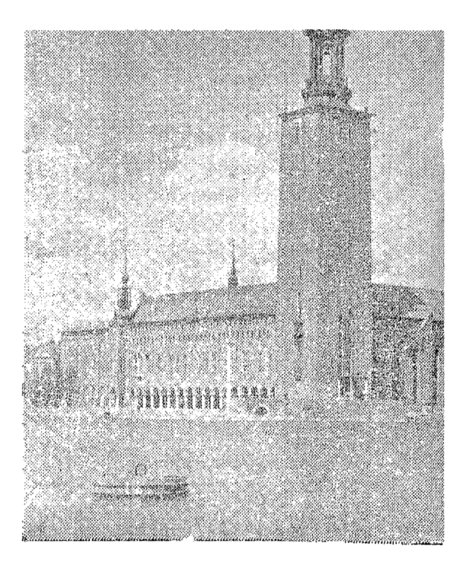


موسم الحصاد في أوسترجوتلاند

صحن مزرعة قديمة بالقرب من ايستاد بمقاطعة سكونه



عمارات سكنية فى ستوكهولم



مبنى بالدية في ستوكهولم

منظر جوي لستوكهولم

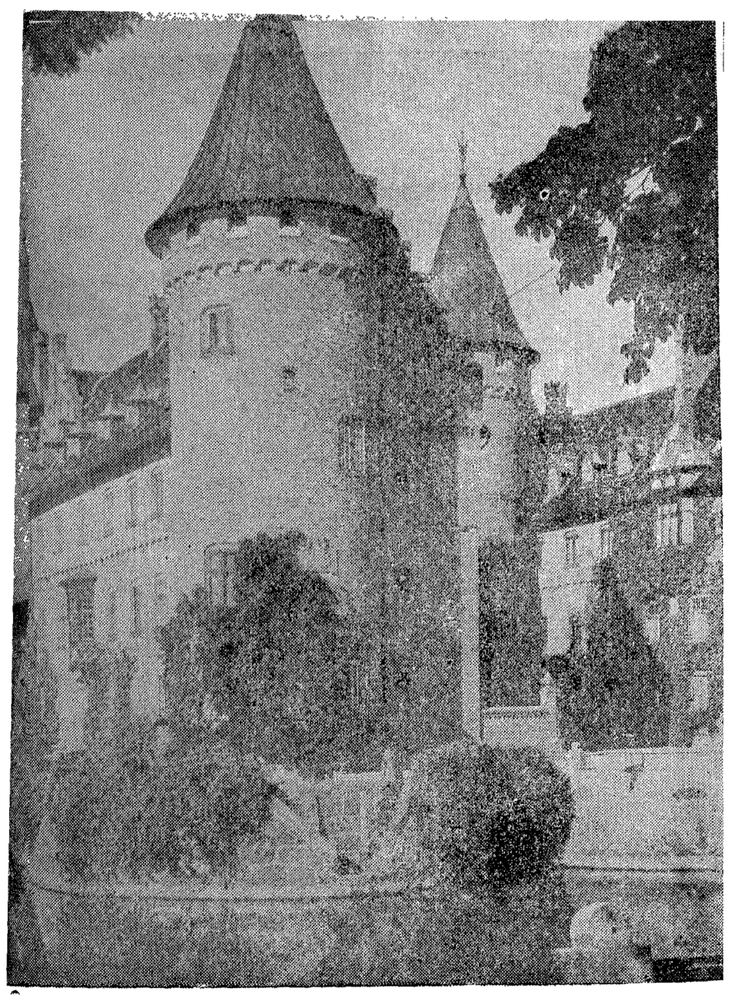


تمثال جوستاف فازا
للفنان زورن بمدينة مورا

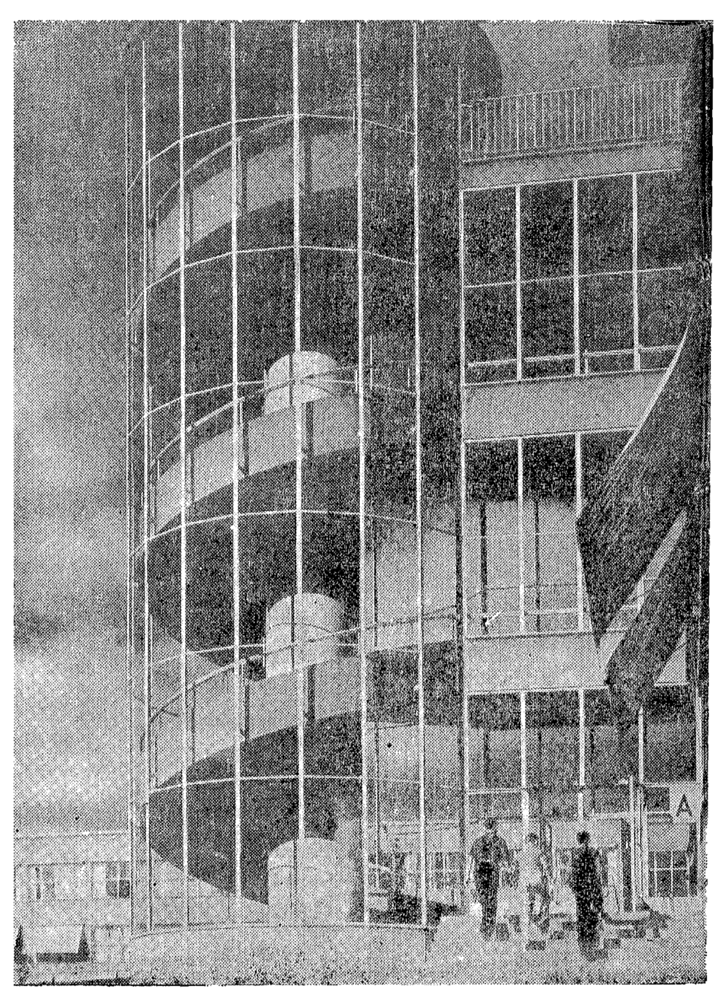
منظر لغروب الشمس فى الشمال



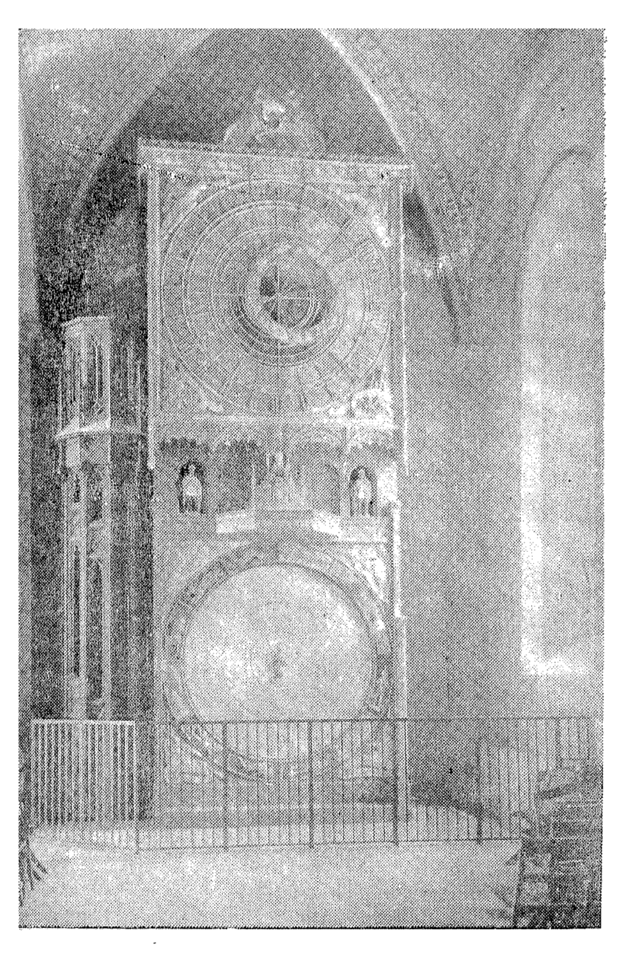
فتيات سويديات بملابسهن التقليدية للاحتفال بأحد أعياد الصيف
فى دالارنا



قلعة ترولاهولم فى سكونه



مدرسة صناعية فى ستوكهولم



ساعة فلكية صنعت فى القرن الرابع عشر فى كاتدرائية لوند
(مقاطعة سكونه)

كانت هناك عشيرة ثالثة ذات مكانة لاشك فيها فى البلاد ، وهى أسرة فولكنبج التى سعى اليها التاج السويدى بنفسه . وكان بيرجر رئيس هذه الأسرة يشغل بالفعل أعلى المناصب فى البلاد ؛ وهى وظيفة جارل او ايرل . وأصبح الايرل بيرجر حاكم السويد الفعلى ، مع أنه أعلن ابنه الأصغر ملكا ، وسارت الأمور سيرا حسنا مدى حياته . وبذل جهدا كبيرا لتوحيد المملكة بأن وضع قوانين وأعلن سريانها فى كل الأقاليم . ولم يكن له حق وضع قوانين ، ولكن لما كانت أهدافها طيبة ، وبخاصة القانون الخاص بالتقليل من المنازعات بين النبلاء ، فقد كانت المعارضة لها قليلة .

وكان الايرل بيرجر كذلك مؤسس ستوكهولم ، وعبر مواطنوها عن تقديرهم له بأن أطلقوا اسمه على الشارع التجارى الرئيسى فى العاصمة . وقد ووجه بمهمة أكثر صعوبة وهى شن حملة صليبية أخرى ضد الفنلنديين والروس الذين كانوا يضغطون على السكان السويديين فى فنلندا ضغطا شديدا . ونجح فى أن يجعل الجزء الأكبر من فنلندا مستعمرة سويدية .

وواصل ايرل بيرجر فى الميدان الاقتصادى سياسة الملك كنوت فبذل جهده لاجتذاب الصناع الألمان الى السويد . وقد ساعدوا على تنمية موارد البلاد . ولكن كان ينظر اليهم بعين الشك

والريبة • وكان من الضرورى لحمايتهم اصدار قانون يضمن للأقلية الألمانية احدى عمديتى كل مدينة • ونصف عدد وظائف مجلس البلدية فيها •

وبعد وفاة ايرل بيرجر عام ١٢٦٦ ثارت الأحقاد مرة أخرى، بين أعضاء الأسرة الواحدة هذه المرة ، وخلال مائة العام التالية حكم ملك واحد دون أن يقطع حكمه أحد ، الى أن مات ، أما الباقون فقد طردوا بواسطة أقربائهم الطموحين ، أحيانا بصورة مؤقتة ، وأحيانا للأبد •

ومن أهم أحداث تلك الفترة تبنى السويد عام ١٢٧٩ فى وقت متأخر لنظام الفروسية الذى كان قائما فى القارة الأوربية • ويبين التاريخ العسكرى لتلك الفترة ميلا لا يقاوم نحو زيادة وزن الأسلحة الدفاعية الى أن تصل درجة تنتفى معها الفائدة منها وذلك باعاقة الحركة تماما • وذلك لأنك لا تستطيع أن تحارب الا بصورة دفاعية اذا كنت تتحرك بصعوبة واضحة • وظل محاربو القرون الوسطى يزيدون شيئا فشيئا الى وزن البدلة الحربية • ونحن نعرف من المؤلفين اللاتين مقدار الاعجاب والرهبة التى كانت تثيرها القوة البدنية لدى محاربى القرون الوسطى بين الرومان الأضعف بنية ، وعندئذ يستطيع المرء أن يصدق

بسرعة أن الاسكندنافيين أفادوا من قوتهم الكبيرة بحمل كمية أكبر من المعادن .

وتوصل خبراء التسليح فى القرن الحادى عشر الى نفس الفكرة التى توصل اليها مخترعو الدبابات الحديثة . فقد وضعوا أسلحتهم ـ السيوف والرماح ـ على آلة لكى يتمكنوا من حمل بدلة حربية أكبر وزنا . وكانت هذه الآلة هى الحصان. وكان الفارس وهو على حصانه سيد ميدان القتال لفترة وجيزة ، ولكن أيام فترة الاصلاح السويدى أثبتت الغزوات المغولية التى نمت فى مطلع القرن الثانى عشرالتفوق الكبير للخيالة الخفيفة ، واذا كان الملوك السويديون قد تأخروا في اعادة تنظيم أنفسهم عسكريا واجتماعيا ، فان هـذا بلاشك يرجع الى أن مدرسة الأسلحة والدروع الثقيلة كانت سائدة ، وهكذا أصبحت الفروسية والنظام الاقطاعي الذي لازمها هي الايديولوجيـة المسيطرة في تلك الأيام .

وكان تجهيز الفارس بمعداته يكلف مبلغا كبيرا من المـال . وكان الملك ـ وهو حكومة تلك الأيام ـ لا يملك هذه المعدات، ولذلك كان يعفي أولئك الذين يقدمون خيولهم وعدتهم الحربية من الضرائب تماما كما تفعل الحكومات في أيامنا هـذه عندما

تبيع أوراقا مالية معفاة من الضريبة الى المستثمرين . ومع ذلك كانت هناك فروق ذات نتائج هامة . فاليوم الأوراق المالية هي التي تعفى من الضرائب ، أما في تلك الأيام فكان الرجل هو الذي يعفى من الضرائب . وفي زمن تقوى فيه الروابط العائلية أكثر مما هي الآن فقد كان من المحتم أن يصبح هـذا الامتياز (امتياز الاعفاء من الضرائب) وراثيا ـ بصورة فعلية ان لم تكن قانونية ـ لأنه من الناحية القانونية كان على الشاب في القرون الوسطى أن يأتي عملا فذا لكي يستحوذ على لقب فارس، ولكن اذا كان أبوه فارسا بالفعل فان الاختبار لم يكن قاسيا .

والمفهوم بطبيعة الحال أن ينتهي الأمر بأصحاب الامتياز الى تجميع مصالحهم وتكوين طبقة أو طائفة كما كانت تسمى في ذلك الوقت . وكان هؤلاء الفرسان ، الذين كونوا بالاشتراك مع أعضاء آخرين من الأسرة البارزة طبقة النبلاء ، أقوياء للغاية لأنهم كانوا بمثابة الجيش العامل في تلك الأيام . وكانت الطبقة الأخرى صاحبة الامتيازات هي طبقة رجال الدين ، ولكن بوجه العموم لم تدخل الكنيسة في السويد مع الملك في صراع خطير . فقد استنفد السويديون تحمسهم الديني في الغالب في بناء الكنائس . وشيد الفرسان قلاعا عظيمة ولكن بقيت لديهم طاقة كبيرة للأغراض الأخرى .

وسرعان ما وجد الملك « ماجنوس لادولوس » أو «بارنلوك» الذى خلق نظام النبلاء ؛ أن من الحكمة أن يقلد الملك الانجليزى «جون» بأن يمنح بارادته شعبه السويدى عهدا عظيما أو دستورا يشبه « ماجنا كارتا »* • ومن ثم أصبح مجلس الأعيان مؤسسة دائمة بعد أن كان لا يجتمع الا عندما يستدعيه الملك حسب رغبته • وبدا إيجاد مثل هذا المجلس فى ظاهره ديموقراطيا ؛ اذ أنه شبيه بالبرلمان • ولكن من الناحية التطبيقية، كان الملوك ، فى السويد ، كما فى أى مكان آخر ، على خلاف دائم مع النبلاء الذين كثيرا ما كانوا يعارضون سياسة الملك ، ولذلك تحالفوا مع الطبقات الدنيا ضد النبلاء • وكانت الفترة الأخيرة من العصور الوسطى صراعا مستمرا فى سبيل زيادة السلطة الملكية بمساعدة عامة الشعب على حساب النبلاء والطبقة العليا من رجال الدين أى على حساب البرلمانات التى كانت تسيطر عليها هاتان الطبقتان •

ومن العجيب حقا أن يكون هؤلاء الخيالة الخشنون ـ لأن هؤلاء هم الفرسان على حقيقتهم ـ هم الذين طوروا أجمل الأفكار عن الشرف وحسن المعاملة والحب الرومانسى ـ وفى كلمة واحدة

---

* أصدر الماجنا كارتا أو العهد العظيم الملك جون عام ١٢١٥ بمثابة ميثاق أو دستور • (المترجم)

أجمل أفكار الفروسية • ولم يعد هذا من الأمور الحديثة مادام انه ليس من المفروض أن تساير الفروسية التجارة وأن النساء أصبحن يفضلن الحقوق المتساوية عن الحب المشوب بالاحترام، ولكن ظلت آثار كثيرة باقية من أخلاق الفروسية ، ولابد أنك سمعت عن هذا المصطلح وتساءلت عنه • وكانت كلمة «شفاليه» هى الكلمة الفرنسية ولذلك فهى الكلمة النورماندية الانجليزية المقابلة لكلمة فارس • وهى مثل كلمة كافلرى (أو سلاح الفرسان) مشتقة من Cheval بمعنى حصان • فالفروسية اذن هى السلوك والعواطف التى تليق بالخيال النبيل أى الفارس •

وسرعان ما انتشرت أفكار الفروسية فى السويد لأنها كانت منتشرة فى أوربا كلها وسارعت الطبقات العليا الى اعتناق آداب السلوك الجديدة • ومع تقدم طريقة الحياة الجديدة والمهذبة زاد الطلب بسرعة على أقمشة الحرير والقطيفة بدلا من الملابس الصوفية المنسوجة محليا ، كما زاد الطلب على التيل الدمشقى الجميل بدلا من التيل الخشن وعلى النبيذ بدلا من شراب العسل المخمر ، وعلى التوابل لتغيير المذاق العفن للحوم (لأنه كان من الصعب حفظها غضة « طازجة » بدون ثلاجات) • وكذلك زاد الطلب على العطور لتعويض النقص فى الحمامات والصابون • وبزيادة هذا الطلب زادت التجارة مع الشرق حيث تعلم

الأوربيون الاعجاب بمثل هذه الكماليات أثناء حملاتهم الصليبية ضد العرب الأكثر تحضرا • وظلت هذه البضائع الكمالية زمنا طويلا تستورد من الشرق وجعلت هذه التجارة مدنا مثل فيسبى فى غاية الثراء •

اتحاد كالمار (١٣٥٠ - ١٥٢٠م)

ومن الأحداث الهامة فى تلك الفترة كذلك ضم الملك ماجنوس اركسون المقاطعات الدانمركية سكون وبلكنج وهالاند فى نظير مبلغ كبير من المال ، وكان هذا الملك قد ورث كذلك تاج النرويج وبذلك أصبح ملك شبه جزيرة سكندناوة كلها • ولكن لم يدم له أى شىء مما استحوذ عليه وقتا طويلا • ففى عام ١٣٤٣ أجبره النبلاء النرويجيون على التخلى عن عرش النرويج وفى عام ١٣٦٠ استعاد ملك الدنمرك القوى والشجاع ، فالديمار أترداج ، المقاطعات الدانمركية السابقة بالقوة ثم نهب فيسبى •

ونتيجة لهذا عزل الملك ماجنوس بواسطة النبلاء الساخطين عام ١٣٦٤ • ولكنهم كانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار ؛ اذ حاول الملك الذى انتخبوه أن يصادر أراضيهم وهكذا أعطوا العرش لابنة فالديمار الملكة مارجريتا ملكة الدانمرك التى كانت قد ورثت عرش النرويج عن طريق الزواج ، وهكذا أصبحت

فى عام ١٣٨٩ حاكمة للممالك الاسكندنافية الثلاث أكبر دولة فى أوربا فى ذلك الوقت . وبعد ذلك بثمان سنوات أعلن الاتحاد رسميا فى كالمار ، وأصبح معروفا باسم اتحاد كالمار . ولكنه كان يحمل فى طياته منذ البداية أسباب انحلاله . وكانت الملكة مرجريتا حاكمة مقتدرة بدرجة غير عادية اذ كانت قوية الشخصية مجدة ، ذكية ، مثابرة على تحقيق أهدافها . وهى اسكندنافية تناظر الملكة اليزابيث . وكانت تهدف الى تحقيق الاندماج الكامل بين الممالك الثلاث بينما أراد النبلاء السويديون ملكا مشتركا فقط .

ولم يكن هناك أى عيب من حيث المبدأ فى هدف الملكة مرجريتا . فان اندماج ثلاثة شعوب متشابهة لدرجة كبيرة له مزايا واضحة . فمن ناحية كان هذا الاندماج سيضع حدا للحروب بينها وهى الحروب الحقة الوحيدة التى حدثت على أرض اسكندنافيا حتى عام ١٩٤٠ . ولكن بالرغم من أن الشعور بالقومية كان واهيا جدا فى تلك الأيام الا أنه كان موجودا . وما هو أكثر أهمية أن الناس تمسكوا بشدة بقوانينهم ، الم لم يكن مفروضا أن تتغير باستمرار كما يحدث لها الآن . وكان لامفر من أن تميل الملكة الدانمركية الى تحبيذ العادات الدانمركية التى كانت تألفها . كما كانت تميل الى الرجال الدانمركيين الذين عرفتهم زمنا طويلا وشعرت بأنها تستطيع أن تثق بهم . كما لم

يكن هنــاك مفر كذلك من أن يشعر السويديون ، أنهم كانوا محتقرين، وأن ثقة الملكة فيهم قد قلت شيئا فشيئا وبذلك اكتملت أطراف الدائرة الخبيثة . وفى النهاية تغلبت الملكة اذ أنها أعطت معظم الوظائف الهامة للدانمركيين والألمان وحطمت نفوذ أولئك النبلاء السويديين أنفسهم الذين استدعوها لحكم البلاد ، وذلك بأن صادرت جزءا لا بأس به من اقطاعياتهم ـ وهــذا هو نفس الشيء الذى أرادوا أن يمنعوه عندما انتخبوها . وظل الهــدوء سـائدا الى أن ماتت الملــكة عام ١٤١٢ . ولكنها حاولت قبــل الأوان ـ أن تخلق دولة مركزية حديثة يدير فيها الحاكم كل شيء .. بواسطة موظفى الحكومة أو مشرفين ملكيين، كما كانوا يسمون ، ولم يكن الملك الجديد اريك الثالث عشر ابن أخيها كفؤا لهذا العمل . وسرعان ما عمت الفوضى وانتشر الركود . فقد زاد الملك الجديد الضرائب زيادة كبــيرة لتمويل الحروب الخارجية وكانت القشة التى قصمت ظهر البعير هى طلبه دفع الضرائب نقدا لا عينا . وارتفعت قيمة النقد بينما انخفضت أسعار الأرض والماشية والحبوب وبخاصة أن الحكومة كانت تستولى عليها وتبيعها للحصول على الضرائب . ونستطيع أن نعبر عن هذا الوضع بما نقوله اليوم « ان الشعب يعانى من انكماش شديد أدى الى كساد عظيم » . ولكن لم يكن فى تلك الأيام توجد نقــود

ورقية تستطيع الحكومة أن تطبعها بكميات لا حدود لها ـ لزيادة كمية النقد ـ كما لم توجد بنوك يمكن أن يقترض الناس منها.

ولما كانت الملكة مرجريتا قد أفقرت النبلاء بالفعل ، وكان سكان المدن قليلي العدد فى تلك الأيام ، فان الفلاحين كانوا أساسا هم الذين يقاسون من سوء الأوضاع فثاروا فى آخر الأمر. وبدأت الثورة عام ١٤٣٤ فى دالارنا بزعامة انجلبركت انجلبركتسون أحد أصحاب المناجم الأثرياء ، ومن أعظم شخصيات التاريخ السويدى ، وقد انتهت هذه الثورة بهزيمة الملك اريك. وكان أهم أعمال انجلبركت دعوة مجلس مكبر أو «الريكسداج» عام ١٤٣٥ الذى أرسلت اليه السلطات الأربع مندوبيها. ولذلك يدعى البرلمان السويدى أنه ثانى أقدم برلمان فى أوربا ، باعتبار أن البرلمان الانجليزى أقدمها جميعا . وكان أول ما فعله هذا البرلمان أن وضع دستورا جديدا وانتخب انجلبركت حاميا له ، ولكن بعد بضعة أشهر قتله أحد النبلاء الموتورين .

ولم يمض وقت طويل حتى عادت السلطة السياسة الى أيدى النبلاء وكبار رجال الدين وظل المسرح السياسى طوال قرن من الزمان تحكمه مجموعة متتالية من الشخصيات القوية الذين كانوا قادة لحزبين متنافسين كانا قد تكونا هما : الاتحاديون

الذين كانوا يؤيدون الانضمام الى الدانمرك ، والقوميون الذين كانوا يريدون الاستقلال التام • ولكن حتى الاتحاديون كانوا لا يريدون سوى روابط واهية بالتاج الدانمركى الذى كان عليه أن يترك لهم السلطة الحقيقية • ومهما تكن قصة المؤامرات والثورات والاتفاقات المعقودة والمنقوضة والخيانات التى جاءت بعد ذلك قصة خلابة فإنه من الصعوبة بمكان أن نعرضها هنا بالتفصيل لكى نجعلها واضحة ومفهومة • وكان كل حزب يتولى السلطة بدوره ولكن عندما يفوز الحزب القومى كان المتنافسون على الزعامة فى صراع دائم للوصول الى منصب الحامى أو الوصى ريثما يتم انتخاب الملك • وعندما يكون الاتحاديون فى السلطة يصبح الموقف أكثر هدوءا لأنهم تعهدوا بالولاء للملك الدانمرك•

وبعد ثلاثين عاما من السلطة المتأرجحة أصبحت أسرة « ستوريز » على رأس الحزب القومى • فقد خلف ثلاثة منها أحدهم الآخر ، وعندما كان ستن ستوريز أصغرهم نائبا عن الملك فى الانتخابات مات فى معركة ضد الدانمركيين عام ١٥٢٠ ، ودافعت أرملته كريستينا جلنستيرنا ، عن العاصمة ببطولة ولم تستسلم الا عندما وعد كريستيان الثانى ملك الدانمرك بالعفو الشامل عن كل معارضيه •

ولكن بعد أن أقام الملك وليمة للصلح ألقى القبض على ثمانين

من القوميين البارزين وحاكمهم بتهمة الهرطقة (الكفر) وقطع رءوسهم فى ميدان السوق بستوكهولم • وهكذا ظن أنه قد جرد القوميين من قادتهم وجعل الاتحاد سالما لفترة قادمة من الزمن • ولكنه فى الحقيقة لم يفعل سوى أنه خلق حالة من الرعب نحواها أودت بالقضية الاتحادية الى الأبد • واذا لم يكن هذا هو العامل الوحيد فان عملية القتل الجماعى قد أثرت بكل تأكيد فى سكان داليكارنيا وجعلتهم يستمعون الى تحريض جوستافوس ايركسون فازا وهو نبيل شاب من آبلاند كان والده ضمن أولئك الذين قطعت رءوسهم •

جوستافوس فازا

بعد عامين من الحرب العنيفة طرد الدانمركيون نهائيا وانتخب جوستافوس فازا ملكا للسويد بواسطة « الريكسداج »* سنة ١٥٢٣ • ويعتبره معظم السويديين أعظم أبطالهم القوميين • فبالنسبة لأولئك الذين يعارضون اتحاد الممالك السكندنافية الثلاث كان هو الرجل الذى أعاد للبلد استقلاله ، وبالنسبة للبروتستانت كان هو الرجل المسئول عن تبنى حركة الاصلاح ، وبالنسبة للتقدميين عامة فقد كان بمثابة الطريق الى عهد جديد •

---

* مجلس الأعيان أو مجلس النواب • (المترجم)

وكان يعارض كل ما هو تقليدى أو قديم ، ويحب التجربة ، انه فى الحقيقة مؤسس السويد الحديثة . وفى خطاب الى ابنه وبخه بشدة لأنه كان يدرس التاريخ !

وكان أعداء جوستافوس فازا يدعون أنه مغلول اليد بدرجة عظيمة بل شديد الجشع ، يريد أن يجمع للدولة أقصى قدر ممكن من المال .

ومن سخريات القدر أن أمس حاجاته للمال نبعت من ضرورة اخماد ثورة الداليكارليين أول من أيدوه ، وكانت ثورتهم ضد الضرائب المرتفعة التى كانت أسهل طرق جمعها أن يصادر الملك أموال الكنيسة التى تجمعت معظم الثروة فى أياديها . وكانت الفرصة مواتية عندما بدأ فى ذلك الوقت ماستر أولوف ، والمعروف كذلك باسم أولاوس بترى ، وهو أحد تلامذة مارتن لوثر فى التبشير بالمذهب الجديد بنجاح فى ستوكهولم . وفى عام ١٥٢٧ جمع الملك « الريكسداج » فى فستيروس ولكن ممثلى النبلاء - وبطبيعة الحال ممثلى رجال الدين أيضا - أبدلوا بأصواتهم ضد اقتراح تجريد الكنيسة من ممتلكاتها بالرغم من أن جزءا من أراضيها كان سيعود اليهم . ويجب الاشارة هنا الى أن معظم ممتلكات الكنيسة يرجع أصلها الى الهبات التى كان يقدمها لها

النبلاء الأتقياء ، ومع أن بعض هذه الثروة بلاشك أسيئ استخدامه بواسطة رجال الاكليروس ، لأغراض أنانية ودنيوية الا أن المستشفيات والمدارس وملاجئ الفقراء ومستشفيات الأمراض العقلية والمكتبات وما اليها ، كان يصرف عليها صرفا كاملا فى تلك الأيام من ميزانيات الكنائس .

وبالرغم من تجاهل الملك للسوابق التاريخية ، فان من المحتمل أنه تذكر النجاح الذى واتاه ذات مرة فى مورا وأعلن تخليه عن العرش . وخشية مواجهة فترة أخرى من الاضطرابات والحرب الأهلية فضل النبلاء التسليم والتصويت لصالح ما أراده الملك . فصودرت الثروة « الفائضة » لدى الكنيسة فى السويد لصالح الدولة ، وأعيد جزء كبير من الثروة الى النبلاء وقطعت كل العلاقات مع روما . ولكن لما كانت غالبية السويديين لا تزال من الكاثوليك فان «الريكسداج» لم يقرر بوضوح أن السويد سوف تصبح دولة بروتستانية ؟ اذ أن هذا لم يتم الا فى عام ١٥٩٣ . وفى هذه الأثناء تحول الناس تدريجيا وبسلام الى اللوثرية ، ولكن الاصلاح لم يكن عميقا ، فالبروتستانتية فى السويد كنيسة ذات سلطات عليا* وعادت وظيفة المطارنة الى الظهور كما

---

* مثل الكنيسة الكاثوليكيه وهذا بخلاف ما يجب أن يكون حسب المذهب البروتستانتى . (المترجم)

أن الصلوات والعبادات والزخارف داخل الكنائس السويدية تشبه تلك التى اعتاد المرء أن يراها فى الكنائس الكاثوليكية لا الكنائس البروتستانتية .

وقد تم التحول الديني دون أية أحداث عنيفة كتلك التى حدثت في بلدان أخرى ، أو فى السويد نفسها قبل ذلك بخمسمائة سنة عندما فرض الملك أولوف على شعبه التحول من الوثنية الى المسيحية .

وتختلف وجهات النظر فى الحكم على السياسة الجديدة للملك جوستافوس فازا ، من حيث كون تلك السياسة تقدمية أو غير تقدمية . فمع أنه كرس كل أفكاره وطاقاته لصالح شعبه الذى كان ينظر الى أفراده وكأنهم أطفاله ، فقد كان والدا أوتوقراطيا متطرفا وقاسيا للغاية . ولكن لما كان حكمه يسوده السلام نسبيا فقد زادت الأسعار والانتاج وزادت مكاسب التجارة . ويذكره السويديون الآن باسم « الملك جوستا العجوز » ، وربما كان ذلك بسبب ما كان له من لحية بيضاء طويلة جعلته أشبه بأب مقدس .

ووافق « الريكسداج » قبل موته على أن يجعل العرش وراثيا بصفة دائمة فى أسرة فازا .

حرب الثلاثين عاما (١٦١٨ ـ ١٦٤٨ م)

ولكن أبناء جوستافوس فازا الثلاثة وحفيده الذين تتابعوا على العرش من بعده لم يرثوا صفاته الطيبة ؛ فقد امتازت عهودهم بالثورات والخلع عن العرش والخيانة والأحـــداث الدموية ، وبخاصة عهد أصغر الأبناء الثلاثة الذى كان فى بادىء الأمر نائبا عن ابن أخيه سيجسموند ملك بولندا الكاثوليكى ، ولأنه أمه كانت بولندية ، والذى يمكن أن يوصف بأنه كان طاغية جبارا . وكانت مذبحة لنكوبنج ، التى ذهب ضحيتها كل الذين ساندوا ابن أخيــه ، لا تقل فظاعة عن مذبحة ستوكهولم التى دفعت بأبيه الى الثورة التى يدين لها بعرشه .

ومع ذلك فان السويد فى تلك الفترة بدأت فى اثبات وجودها على المسرح الدولى . اذ بدأت فى غزو ولايات البحر البلطى لكى تمنع روسيا ، بلاشك ، من الاستيلاء عليها . ونشبت حروب كذلك مع النرويج والدانمرك لامتلاك مقاطعات الحدود الداخلة فى حدود السويد الطبيعية . ولكن الحرب الأكثر غرابة كانت تلك التى نشبت مع بولنـدا نتيجة لوضع غريب عندما انتخب سيجسموند ملكا لبولنـدا ، وبدلا من أن يعمل على تحقيــق التحالف المرتقب بين البلدين ـ وكانت روسيا تهدد كلتيهما ـ

أدى انتخابه الى الحرب عندما أعلن حقه فى العرش السويدى بالاضافة الى عرش بولندا . ولم يعجب هذا الأمر بطبيعة الحال عمه كارل ، الذى كان يقوم نائبا عنه فى غيابه والذى استولى على العرش لنفسه فى النهاية .

وعند موت كارل عام ١٦١١ ورث العرش بعده ابنه جوستاف أدولف البالغ من العمر سبع عشرة سنة ، وكان ذا شخصية مختلفة تماما عن أبيه ، ويعتبره معظم الأجانب بلا شك أعظم ملوك السويد سواء أوافقوا على سياسته أم لم يوافقوا عليها . فقد كان كرجل وكادارى وكسياسى وكجندى موهوبا بصفات عظيمة استخدمها أحسن استخدام . وفى نفس الوقت كان كريما وشفوقا وأمينا ومتواضعا وهى صفات لم تؤثر فى طموحه وكبريائه السياسيين . وكان هو الذى اتخذ القرار المصيرى بالقاء السويد بثقلها فى الموازين الدولية ، وبهذا مكن تلك الدولة الصغيرة من أن تمارس تأثيرا حاسما فى مصير أوروبا ، وبالتالى فى مصير العالم كما فعلت فى أيام الرومان وأيام الفايكينج . وعندما أصبح جوستاف أدولف ملكا وجد نفسه فى مواجهة حربين لم تنتهيا بعد ، مع الدانمرك والروسيا ، وفى مواجهة صراع حاد مع بولندا . ولما كان جوستاف أدولف بروتستانتيا متحمسا ، مما يتضح من الاجراءات التعسفية الشديدة ضد الكاثوليك التى أصدر

بها مرسوما عام ١٦١٧ ـ فقد وطد العزم على أن يتفرغ للصراع الهائل الذى نشب بين حركة الاصلاح والحركة المضادة للاصلاح عندما انتهى الى عقد صلح غير ملائم له مع الدانمرك • كما أنه حصل من روسيا على الاعتراف بالفتوح السويدية على الشواطىء الشرقيـة والجنوبية لخليج فنلنـدا ، وبهذا ربط بين الأقاليم السويدية فى كل من فنلندا واستونيا عن طريق البر •

وقد جاء هذا الاتفاق فى الوقت المناسب تماما؟ اذ فى غضون بضعة أشهر من ابرامه بدأت حرب الثلاثين سنة ، فى مايو سنة ١٦١٨ عندما قتل فى براغ بعض كبـار موظفى الامبراطورية الألمانية ـ النمساوية التى كانت تحكمها أسرة الهابسبرج • وفى عام ١٦٢١ غزا جوستاف أدولف بولندا وطرد البولنديين من ممتلكاتهم حول البحر البلطى وذلك لكى يحمى تاجه من مطالب ملك بولندا الكاثوليكى المستمرة • وقد أدى هذا الى تصادم مع امبراطورية هابسبرج زعيمة الحركة المضادة للاصلاح والتى كانت جيوشها تقوم بحملاتها فى شمال ألمانيا ضد صغار الأمراء البروتستانت • وبطبيعة الحال كانت الامبراطورية المذكورة تؤيد بولندا •

وقد ساعدت انجلترا البروتستانتية السويد بكل الوسائل فيما عدا الحرب • غير أن ما هو أشد غرابة أن فرنسا الكاثوليكية ـ

التى كانت سياستها الخارجية فى يد الكاردينال دى ريشيليو الشهير ، أحد أمراء الكنيسة الكاثوليكية ، لم تمنح السويد تأييدها الدبلوماسى فحسب ، بل منحتها كذلك تأييدها المالى الذى كانت فى مسيس الحاجة اليه . واتخذت هذه المساعدة المالية صورة اعانة مالية سنوية أو منحة من المال لمدة خمس سنوات . لأنه فى تلك الأيام اعتادت الدول الغنية أن تمنح حلفاءها الفقراء المال الذى يلزمهم منحا مطلقا بدلا من عقد القروض كما جرى العرف فى العصر الحديث . ويبدو أن النظام القديم أفضل لأنه لم يكن يؤدى الى افساد المشاعر من الحلفاء فى حالة عدم دفع القروض. وقد أدى التحالف الفرنسى ، ولو بدون مساعدة مسلحة ، الى زيادة هيبة جوستاف أدولف وشجع الكثيرين من المترددين الى الانضمام اليه علنا مما كان ذا أهمية حاسمة . وهدأ الكاردينال من ثورة ضميره بالالحاح على أن تتضمن المعاهدة وعدا من جوستاف أدولف بأنه سوف « يحترم » العقيدة الكاثوليكية .

ولا يمكن تفسير السر الذى يكمن وراء مساعدة دولة كاثوليكية للدولة التى تتزعم البروتستانتية الا بالمنافسة التى كانت قائمة بين المملكة الفرنسية والامبراطورية النمساوية الألمانية . كانت الامبراطورية فى الحقيقة اتحادا كنفدراليا فى غاية التفكك يحمل فيه الأرشيدوقات النمساويون اللقب الامبراطورى والسلطة الاسمية ، ولكن فرنسا خشيت أن تبتلع النمسا يوما ما

الولايات الألمانية الصغرى وبذلك تصبح أقوى دولة فى أوربا . وظل هدف ريشيليو الذى كان يرمى الى منع الوحدة الألمانية وتقوية فرنسا بالحاق الأراضى الألمانية الواقعة على الضفة اليسرى لنهر الراين بفرنسا ، ظل هذا الهدف المبدأ الأساسى للسياسة الفرنسية منذ ذلك الوقت . وكانت النتيجة الحتمية هى الدائرة الخبيثة وعدم الثقة المتبادلة والعداء بين الفرنسيين والألمان مما سمم التاريخ الأوربى طوال ثلاثمائة عام ، وكان من الأسباب العميقة للحربين العالميتين الأخيرتين . وفى سبتمبر عام ١٦٣١ التقت الجيوش الامبراطورية بالجيوش السويدية والألمانية البروتستانتية وجها لوجه فى بريتنفلد فى ألمانيا الوسطى ، وكان النصر حليف جوستاف أدولف . وكان لهذا النصر نتائج هائلة ، فقد أصبحت السويد بين عشية وضحاها دولة كبرى وبطل البروتستانتية المعترف به الذى كان بمثابة المنقذ لها . وازداد تحمس جوستاف أدولف لنجاحه ، ويبدو أنه وضع الخطط لغزو الدانمرك والنرويج وضم بوميرانيا وتوحيد بعض الولايات البروتستانتية فى شمال ألمانيا تحت سيادة السويد التى كانت ستصبح عضوا فى الامبراطورية على أمل أن تسيطر عليها ، وكان المفروض أن تتزوج ابنته كريستينا وريث عرش براندنبرج (بروسيا فى المستقبل) الذى يحتمل أن يصبح ملك السويد أيضا .

ولكن النصر فى بريتنفلد لم يكن حاسما . ففى العام التالى —

فى نوفمبر ١٦٣٢ ـ تصادم الجيشان مرة أخرى عند لتزن . وانتصر السويديون مرة أخرى ولكن قتل الملك جوستاف أدولف ، ففى احدى لحظات المعركة الحرجة عندما بدأت الكتائب السويدية تترنح تحت نيران جنود الامبراطورية القاتلة بذل الملك محاولة يائسة لكى يجمعهم وينظم صفوفهم بالركض من كتيبة الى كتيبة مناشدا رجاله أن يثبتوا فى أماكنهم ، ولكن رصاصة أصابته فى ذراعه . وقبل أن يتمكن من ترك ميدان المعركة أصيب مرة أخرى وسقط من فوق جواده . وبين طيات الضباب الكثيف الذى أخذ يغطى ميدان المعركة تدريجيا انفصل الملك عن حرسه الخاص وترك وحيدا مع تابع مخلص لم يستطع أن يفعل شيئا ضد فرقة الفرسان الامبراطوريين التى أحاطت بهما وقتلت الملك فورا برصاصة فى رأسه .

ومع أن السويديين فقدوا قائدهم العظيم فقد استمرت الحرب، ولكن الحكومة السويدية كانت متلهفة على عقد صلح وفعلا وقعت صلحا غير ملائم مع بولندا . ولكن على مسرح الحرب الألمانية رفض القائد العام السويدى المارشال بانر أن يكف عن اكتساح ألمانيا . وفى ذلك الوقت كان التعطش للمغامرة والسلب والنهب قد حل محل التحمس الدينى بين محترفى الجندية لدى الجانبين المتحاربين . ومع ذلك فانه لم يكن بامكان السويديين

أن يواصلوا الحرب بمفردهم ، مما اضطر ريشيليو الى أن يرسل جيوشا فرنسية لنجدتهم • وكان من نتيجة ذلك أن ضمت فرنسا الألزاس اليها ، وهو الاقليم الذى لعب دورا كبيرا فى تاريخ الصراعات الفرنسية الألمانية •

وعندما تركت الجيوش السويدية ألمانيا ، كان السبب فى ذلك أن الحكومة كانت قد قررت غزو الدانمرك ، ونتج عن هذا الغزو ضم جوتلاند ويمتلاند وهريدالن وهالاند ، ولكن سرعان ما عادت الجيوش السويدية الى ألمانيا • وكانت على وشك اتمام الاستيلاء على براج عندما عقد صلح عام فى مونستر عام ١٦٤٨ • ودامت المفاوضات عاما كاملا • وحصلت السويد على معظم بوميرانيا ودوقية بريمن الألمانية جزاء لها على جهودها ، وأصبح البحر البلطى حقا بحيرة سويدية •

وبذلك تحقق جزئيا حلم جوستاف أدولف وأصبحت السويد فى أوج قوتها •

وتدين السويد بجزء كبير من نجاحها الى القدرة الدبلوماسية لرئيس وزرائها العظيم الكونت أكسل أوكسنستيرنا وهو حقا الذى تحكم فى مصير البلد عندما كانت كريستينا ابنة جوستاف

أدولف قصرا . وهو جدير بأن نتذكره ولو فقط لكلماته التى جاءت فى رسالة منه الى ابنه : « سوف لا تصدق ، يابنى ، الى أى حد يحكم العالم بقدر ضئيل من الحكمة » ، وقد كان مركزه يسمح له باصدار مثل هذا الحكم .

ولعله قد كتب ذلك عندما كانت تعذبه الشكوك فى حكمة منجزاته . ان رجلا فى مركزه كثيرا ما يجد نفسه غير حر فى اهمال الفرص التى تسنح لضم أراض أجنبية الى بلاده مادام أبناء وطنه يعتقدون أنهم سيجنون ربحا من مثل هذه الفتوحات.

تورطات السويد فى القارة الأوروبية

(١٦٤٨ - ١٧١٨ م)

يبدو - لأول وهلة - أن صلح عام ١٦٤٨ وضع السويد فى مركز باهر : فقد كانت مسيطرة على مصبات جميع الأنهار التى تصب فى البحر البلطى ، وبمعنى آخر كان يمكنها أن تعزل عن المحيطات ثلاث دول قوية هى : روسيا ، وبولندا ، وألمانيا الشرقية . وكانت كذلك تستطيع أن تعوق الى حد كبير تجارة دول بحرية أخرى مثل هولندا وأعدائها القدماء الدانمركيين . ولكن كان من الخطورة بمكان على بلد صغير مثل السويد أن يتحمل كل هذه الأعباء ، ولسوء حظ السويد أنها عندما كانت

فى مسيس الحاجة الى ملك عظيم وضعت مصائرها فى يدى امرأة حديثة السن غريبة الأطوار • وليس معنى هذا أن كريستينا كانت تنقصها الصفات الطيبة ، بل على العكس من ذلك كانت ذات مواهب غير عادية : جذابة ، ذكية ، سريعة البديهة ، عالية الثقافة ، فنانة ، دؤوبة على العمل • ولكن كل هذا لم يكن كافيا • ومن المؤكد أن ذكاءها أوحى اليها باتخاذ خطوة لا يمكن الا أن تترك أثرا هائلا : فقد تخلت عن العرش برغبتها لصالح ابن عمها • بل ذهبت الى ما هو أبعد من هذا عندما اعتنقت الكاثوليكية وعاشت معظم حياتها فى روما وفرنسا وهى ابنة الرجل الذى حارب ومات فى سبيل البروتستانتية • وفى عام ١٦٦٠ عادت كريستينا الى السويد لتحاول استعادة عرشها ، ولكن الشعب أرغمها على توقيع وثيقة رسمية بتخليها عن العرش ، وماتت عام ١٦٨٩ •

واستطاعت السويد فى ظل خلفها كارل العاشر أن ترفع من شأنها كقوة عسكرية عظمى • ونشبت حرب جديدة بهجوم آخر على بولندا ، وقد اتخذ قرار بهذه الحرب من قبل المجلس الملكى السويدى مبررا ذلك بمحاولة احباط خطط الغزو الروسى • وكان اتخاذ هذا القرار أشبه بمن يحرك عش الزنابير ؟ اذ سرعان ما أصبحت السويد فى حرب مرة أخرى مع كل أعدائها

القدماء • ومع ذلك كان الحظ لا يزال يبتسم لها ، وكان الجيش محتفظا بصفات المحاربين • وقد عانت السويد بعض خسائر على أرض القارة ولكنها عوضت ذلك وأكثر منه بانتصارها على الدانمرك الذى حققته بفضل فكرة الملك كارل الجريئة بعبور جليد المضايق السميك ومهاجمة الدانمركيين من المؤخرة • وبمقتضى معاهدة روسكيلده عام ١٦٥٨ تخلت الدانمرك نهائيا هذه المرة ، عن بليكنجه ، وسكونه ، وهالاند ، وبوهسلن ، وكذلك عن بعض المناطق الأخرى التى اضطرت السويد أن تتخلى عنها بعد فترة وجيزة جدا ، لأنه بعد موت الملك كارل دب تدهور سريع فى أحوال البلاد •

ومع أن مجلس الوصاية على ابن كارل القاصر هو الذى أسس البنك الوطنى السويدى وهو أول بنك من نوعه فى العالم ، كما أنه عقد معاهدة مهينة مع فرنسا ، تعهدت فيها السويد بارسال فرق من الجيش لتحارب فى ألمانيا مقابل اعانة مالية سنوية ، فان الأموال لم تستخدم فى تدريب وتجهيز الجيش ، لأنه عندما اضطرت السويد الى محاربة براندنبرج فان الجيش أثبت أنه مجهز بصورة تدعو للرثاء • ولقد تأثر الملك الشاب بما رأى وبالهزيمة المترتبة على ذلك الى درجة أنه أصيب بهوس فيما يختص بالاقتصاد والسلامة المالية للدولة • ولكى يحقق هـذا

ويفرضه أصبح تدريجا حاكما أوتوقراطيا • ولم تظهر معارضة ضــده سوى من النبــلاء وهم الأعداء التقليديون لتزايد سلطة الملوك • ولكن لما كان عهد التوسع العسكرى قد انتهى فان الملك لم يعد فى حاجة الى خدماتهم، وفضلا عن ذلك فانهم هم وحدهم الذين استطاعوا أن يجمعوا ثروة فى أثناء الحروب التى لم تكن لتنتهى • وكان نصيبهم فى الغنائم جزءا من هذه الثروة والجزء الآخر كان مكافآت من الحكومة لشجاعتهم • ولكن الملك أراد الحصول على هذه الثروة لبناء بيروقراطية خاضعة له تحقـق أغراضه لزيادة قوة الدولة • فقد كان الملك كارل الحادى عشر فى الواقع شيوعيا ملكيا لا يعنى الفرد شيئا بالنسبة اليه ، فى حين تعنى الدولة كل شىء • وكان الريكسداج خاضعا لأغراضه تماما، اذ أن روح العصر كانت مواتية لسلطة الملوك المطلقة • كذلك لم يكن الفلاحون وسكان المدن ليخسروا شيئا من نهب الملك للنبلاء ، ولذلك أيدوا الملك بطبيعة الحال •

وكانت النتيجة أن استعادت الدولة كل الأراضى التى كانت ملكا لها فى يوم من الأيام ـ حتى ولو كانت مزرعة جندى عجوز حصــل عليها كمكافأة له على انقــاذه حيــاة كارل العاشر والد الملك • ووصــل بعض النبــلاء الى حافة الفقر وقام موظفــون مخلصون للنظام الجــديد بما كان يقــوم به هــؤلاء النبــلاء من أعمال •

ومهما يكن من أمر فان السويد نعمت أخيرا فى عهد كارل الحادي عشر بفترة من السلام بعد قرن من الحرب • وقبل أن تنتهى تلك الفترة طرأ تغير غريب على السياسة السويدية بأن أصبحت السويد حليفة لامبراطور ألمانيا ، بل وحليفة مؤقتة للدانمرك ، وعدوا لفرنسا التى أفزعت أطماعها التوسعية أخيرا معظم القوى الأوربية فتحالفت ضدها •

وعندما جلس كارل الثانى عشر ـ ابن كارل الحادى عشر ـ على العرش فى عام ١٦٩٧ وعمره خمسة عشر عاما ، كان يحق له جدا أن يغتبط باهتمام أبيه الدقيق بالشئون الاقتصادية • ولما كان مقدرا له أن يكون ألمع قواد عصره وأكثرهم طموحا ، فقد كانت الخزائن المليئة بالمال ضرورية جدا لتحقيق ذلك •

ومع أن كارل الثانى عشر قضى معظم حياته محاربا عندما لم يكن أسيرا بالفعل ؛ فقد يكون صحيحا ما يدعيه المعجبون به من أنه لم يقصد الغزو انما كان يهدف الى سحق الدول التى كانت تهدد السويد • وذلك لأن الدول التى لم ترض عن صلح عام ١٦٤٨ ظنت أن الوقت كان ملائما للغاية لاستعادة ما فقدته فعقدت تحالفا فيما بينها لهذا الغرض • وكانت هذه القوى تشمل الدانمرك وروسيا وبولندا التى كان يحكمها ملك سيىء السمعة

هو أوجست الثانى ملك سكسونيا . وقد هاجم كل هؤلاء السويد فى نفس الوقت عام ١٧٠٠ ، وكانت السويد قد تحالفت مع انجلترا وهولندا .

وتعجب العالم عندما بدأ كارل الثانى عشر ، ولم يكن قد تجاوز الثامنة عشرة ، بالهجوم وسحق الدانمرك . وتحول تعجب العالم الى دهشة عندما تصدى هذا الصبى لبلد مثل روسيا يبلغ عدد سكانه عشر مرات قدر عدد سكان السويد ، وهزم بطرس الأكبر فى نارفا واتبع ذلك النجاح باحلال الهزيمة بكل من البولنديين والساكسون .

وكان القيصر بطرس قد أعلن عن نواياه بتأسيس عاصمته الجديدة سان بطرسبرج عام ١٧٠٣ عند مصب نهر نيفا أى فى قلب الولايات السويدية على البحر البلطى . ولكن كارل أضاع بعد ذلك سنوات ثمينة . فقد كانت موسكو هى الهدف الرئيسى من الحملة السويدية وبدأت الحملة بنصر عظيم عند هولوفزين . وقبل البدء فى غزو روسيا بصورة جدية شعر كارل بأنه لابد من سحق بولندا ، واستغرق منه ذلك وقتا طويلا . وسمح كارل لنفسه بعد ذلك بأن يغريه الالتجاء جنوبا فى أوكرانيا حيث كان يتوقع أن يجد طعاما أكثر لجيشه ، وأن يحصل على المعونة التى

وعده بها الأهالى ، وهم الفرسان القوزاق المشـــهورون الذين كانوا هم أيضا فى حرب مع القيصر . وكان شتاء ١٧٠٨–١٧٠٩ شديد البرودة بدرجة غير عادية ، وقاسى السويديون كثيرا من البرد ، ولم تصلهم المعونة المرجوة من القوقاز . وفى الصيف التالى وقعت المعركة الحاسمة بالقرب من أسوار مدينة بولتافا الصغيرة . ولم يستطع كارل قيادة جيشه شخصيا بسبب جرح كان قد أصيب به قبل ذلك ببضعة أسابيع ، وكان عليه أن يركن بالقيادة العليا الى أحد قواده . وقد حدثت أخطاء ؛ ومع أن كارل أمر أن يحمل على نقالة الى ميدان المعركة الا أن السويديين ترنحوا ثم هربوا أخيرا . وهرب كارل نفسه مع عدد قليل من أتباعه الى تركيا ، ولكن جنـوده رفضوا لأول مرة أن يطيعوا أوامره بأن يتبعوه . واستسلم ستة عشر ألف رجل .

وقد وضعت معركة بولتافا نهاية لمركز السويد كقوة عظمى . وبقى كارل فى تركيا خمس سـنوات رسـميا كضيف ولـكن سجينا فى الواقع والحقيقة . وهرب فى عام ١٧١٤ وعاد مسرعا الى السويد . وتولى بسرعة قيادة الجيوش التى كانت تحـارب دفاعا عن ممتلكات السويد فى القارة ضد الدانمركيين والساكسون والروس والبروسيين والهانوفريين وحتى فى هذا الأمر لم يكن موفقا . ومع ذلك ، فقد تمكن ، دون أن تثنى الهزيمة عزيمته ، ولثقته أن حظه سيتحول ، من تحقيق ما يشبه المعجزة عندما

حصل من شعبه المرهق على وحدات جديدة لجيشه واعتمادات مالية لكى يهاجم الدانمرك عن طريق النرويج • ولكن فى عام ١٧١٨ وضعت رصاصة نهاية لحياته الحافلة بجوار أسوار قلعة فردريكستن التى كان يحاصرها • وقد كان آخر ملك أوربى يسقط فى ميدان المعركة • وكان الذى سبقه مباشرة الملك جوستاف أدولف •

عصر الحرية

(١٧١٨ - ١٧٦٨)

تعرف الخمسون السنة التالية باسم « عصر الحرية » ؛ فقد حصل السويديون على قدر أكثر من كفايتهم من المجد ومن القيود على الحرية التى لا مفر من فرضها فى أثناء الحروب • وقد رفض الضباط أنفسهم القسم بالولاء للملكة أولريكا اليونورا أخت كارل الثانى عشر ما لم تعد بالتخلى عن أية حقوق وراثية للعرش وبقبول دستور جديد أعطى القوة المسيطرة للريكسداج بالرغم من المعارضة الشديدة التى أبداها الفلاحون•

وأول شىء فعله الريكسداج هو أنه خفض جميع الديون ؛ بأن خفض قيمة النقد بمقدار الثلث، كما أنه أعاد حرية التجارة• وتلا ذلك عقد صلح مع الروس الذين كانوا فى ذلك الوقت

يلحقون أضرارا كبيرة بسواحل السويد • وخابت الآمال المعقودة على مساعدة الانجليز • وكان على السويد أن تتنازل عن مقاطعات البحر البلطى لروسيا ، وكذلك تنازلت لبروسيا عن الجزء الأكبر من بوميرانيا ، وتخلت عن بريمن لهانوفر التى كان حاكمها ملك انجلترا فى الوقت ذاته •

وبفضل هذه التضحيات ساد السلام العشرين السنة الأولى من عصر الحرية تحت ارشاد وتوجيه الكونت هورن رئيس الوزراء • فقد قاوم بنجاح الاثارات العنيفة التى كان يثيرها أولئك الذين أغمضوا عيونهم عن حالة الاعياء التى كانت تعانيها السويد وأرادوا أن تدفع السويد بنفسها من جديد فى المجال الدولى لكى تسترجع فتوحاتها المفقودة • وكان هؤلاء يرفضون الاعتراف بأن عصر العظمة قد ولى بالنسبة الى السويد • أما هورن فقد كان مدركا لهذه الحقيقة ، وكان هو أول سياسى سويدى يجعل الحياد السياسة الأساسية لهذه البلاد • وفى نفس الوقت كان يعتقد مع قادة الاقتصاديين أن ثروة البلد تقاس بما يملك من ذهب ، ولذلك فقد شجع الصناعة وبناء السفن لكى يستبدل مكاسبها بالذهب المرغوب فيه • وبلغ الأمر بالسويد فى وقت من الأوقات أنها كانت تنتج ضعف ما تنتجه انجلترا من الحديد المستخدم فى السباكة • ونشطت التجارة حتى ان كثيرا

من رجال الأعمال الانجليز والاسكتلنديين أقاموا فى جوتابورج. بالاضافة الى العدد الكبير من الاسكتلنديين الذين جاءوا ليحاربوا كجنود محترفين تحت لواء جوستاف أدولف وبقوا فى السويد .

وفى أثناء ذلك ظهر جيل من القوميين الجدد ، لم يكن قد قاسى الحرب ، ولذلك جدد الحملة العنيفة طلبا للانتقام . وأطلقوا على « هورن » وأتباعه كلمة «طواقى النوم» أو «طواقى» بقصد الاختصار ، وأطلقوا على أنفسهم كلمة « قبعات » لأن القبعة ذات الريش كانت رمزا للفارس الشجاع . ويمكن مقارنة هذين الحزبين بحزبى « الويجز » و « التوريز » أى «الأحرار» و « المحافظين » فى انجلترا .

وقد حقق الأحرار فى بادىء الأمر نجاحا وتخلصوا من الكونت « هورن » ثم تبادل الحزبان تسيير دفة الأمور واستغل الأحرار فرصة مناسبة لتغيير الدستور وتجريد الملك من معظم سلطاته الباقية . وانتقلت السلطة الحقيقية شيئا فشيئا الى أيد بيروقراطية متحجرة أساس الترقى فيها هو الأقدمية لكى يمنعوا الملك من تعيين أى فرد من مؤيديه . وكانت النتائج مخربة من جميع النواحى . فبينما أصبحت الميزانيات العامة فى حالة سيئة لدرجة أنه لم يمكن مواجهتها الا باصدار المزيد من النقود الورقية ثم بتخفيض قيمتها ــ مما ساعد على ظهور التضخم النقدى وما يتبعه مما نسميه باعادة تثبيت العملة ــ أثرى

السياسيون من نظام الاغتنام* ومن بيع ذممهم للقوى الأجنبية ـ فرنسا وانجلترا وروسيا . ولما كانت فرنسا تدفع أكثر وزيادة على ذلك كانت تقدم اعانات مالية للدولة ، فانها هى التى فازت بتحالف السويد . وعلاوة على ذلك أرادت فرنسا أن تجعل السويد تهاجم روسيا لكى تمنع روسيا من مساعدة عدوة فرنسا. وكان هذا يوافق هوى الأحرار الذين كانوا يأملون فى استعادة أقاليم البحر البلطى التى فقدوها عام ١٧٢١ . وأعلنت الحرب عام ١٧٤٠ ولكن قيادتها كانت من الفساد بحيث انها انتهت بهزيمة ساحقة للسويد . وفى عام ١٧٥٧ خرجت السويد مرة أخرى الى الحرب بايعاز من فرنسا وكانت الحرب هذه المرة ضد فردريك ملك بروسيا** . وكانت النتيجة مهينة بنفس الدرجة .

وظلت الأمور تسير من سىء الى أسوأ . وازداد الصراع الحزبى عنفا ووصل حدا كانت المصالح الحزبية فيه مقدمة على كل شىء . وبمجرد أن يستولى أحد الأحزاب على السلطة فانه كان يضطهد منافسيه بكل قسوة . وباختصار برهن الحزبان على أنه يمكن للبرلمان أن يكون مستبدا مثل أى فرد . ومما زاد

(*) نظام الاغتنام : يعرف هذا المبدأ فى الولايات المتحدة ، ويقصد به أن وظائف الدولة وامتيازاتها تكون من حق الحزب الفائز فى الانتخابات . المترجم .

(**) فردريك الأكبر ملك بروسيا من ١٧٠١ ـ ١٧١٣ . المترجم .

الطين بلة أنه لم يكن لدى الشعب سيىء الحظ أى استقرار ؛ لأن أى حزب من الحزبين لم يكن يشعر بأنه ملزم بالمحافظة على القانون ٠

وفوق كل هذا تعرضت البلاد لمجاعة شديدة فى عام ١٧٧١ ، عانى منها الأهالى كثيرا، وتسرب الى الأسماع أن حكومة المحافظين كانت تعد لعقد اتفاق مع روسيا يمكن أن يجعل السويد فعلا محمية روسية ، فبلغ السخط على الحرية التى لا ضابط لها درجة تاق معها كل فرد الى التغيير بأى ثمن ٠

وكان ملك جديد هو جوستاف الثالث قد اعتلى العرش حديثا، وبجرأة فائقة قاد كتيبة من الجنود شخصيا الى جناح القصر حيث كان أعضاء الحكومة مجتمعين ، وألقى القبض عليهم بين حماسة الشعب المتأججة ٠ ولم يحرك أحد ساكنا للدفاع عن الحكومة البرلمانية ٠

وكان الاصلاح الدائم الوحيد الذى أنجزته الحكومة البرلمانية قبل انهيارها هو منح العامة نفس حقوق النبلاء فى الترقية الى الوظائف الأعلى ومنح طبقة الفلاحين فى الريكسداج حقوقا متساوية مع الطبقات الأخرى ٠

ومن التشريعات الهامة كذلك « قانون التسييج » الصادر عام

١٧٥٧ والذى صدر فى نفس الوقت الذى صدر فيه قانون مشابه فى انجلترا . فقد تجزأت الأراضى التى كانت مشاعا فى القرية القديمة الى ملكيات خاصة فسمح للقرويين باستبدال قطع الأرض المتناثرة بقطعة واحدة من الأرض من نفس المساحة . وكان المفروض أن تتقدم الزراعة لأن الفلاح كان سيضيع وقتا أقل كثيرا فى التنقل . غير أنه فى الوقت الذى كانت فيه ملكيات الفلاحين تتكون من قطع صغيرة فضل كثير منهم أن يعيشوا مجتمعين فى قرية متوسطة الموقع حيث يجدون رفقة وتسلية وذلك لأنه لم تكن لديهم أسباب خاصة تجعلهم يعيشون على قطعة من الأرض دون الأخرى .

وعندما تجمعت ممتلكاتهم فى قطعة أرض واحدة كان على أصحاب الأراضى البعيدة أن يبنوا منازلهم فى مزارعهم ، وهذا يعنى – فى بلد مخلخل السكان مثل السويد – حياة تشوبها الوحدة بشدة ، بعيدة عن الجيران والمدرسة والكنيسة والمخزن وحانة القرية . ويدل على مدى كراهية القرويين للاصلاح . انه لم يطبق بالفعل الى ما بعد خمسين سنة ، أى عندما أصبح اجباريا . وكان من نتائج ذلك أن كثيرا من الفلاحين هجروا الريف الى المدن . ونستطيع أن نتخيل بسهولة الى أى مدى كان أبناء وبنات الفلاحين الذين كانت تحيطهم غابات أشجار التنوب والشربين المظلمة ، كان يجذبهم لألاء أضواء المدينة ومسلياتها وأجورها التى تدفع

نقدا . أما اليوم فتوجد طرق أفضل وكهرباء وسيارات مما حسن الأحوال بدرجة كبيرة ولكن الهروب من المزرعة (الى المدينة) لا يزال مستمرا .

ومع ذلك فان عصر الحرية فى بعض الميادين كان موفقا للغاية ؛ لأنه ساعد على ظهور بعض عظماء العلماء والفنانين السويديين . فقد كان القرن الثامن عشر فترة غنى فى الفن والعلم فى دول أخرى كثيرة . وأنجبت السويد رجالا مثل الشاعر بلمان وعالم النبات ليناوس وعالمى الطبيعة سلسيوس وسويدنبرج ، وأصبح آخرهم من أشهر المتصوفة الدينيين فى العالم .

وكان لعصر الحرية نتيجة طيبة أخرى . فلولا هذه التجربة (أى تجربة عصر الحرية) التى تمت قبل أن يصبح الضغط شديدا ، ولولا الدرس الذى لقنته (للسويديين) أن الحكومة البرلمانية ليست كافية بذاتها لأن تضمن الحرية والاخاء والمساواة ، لكان من المحتمل جدا أن تجتاز السويد نفس المحنة التى اجتازتها فرنسا فى أثناء الثورة التى وقعت بعد سنوات قليلة .

العصر الجوستافى (١٧٦٨ - ١٨٠٩)

بدأت بعصر جوســتاف الثالث فتـرة تجـدد المحاولات للتوسع • وبفضل حماية فرنسا حيث عقد جوستاف صـداقات كثيرة أمكن تجنب تهديد روسى بالحرب وتوافر للسويد الوقت للقيام ببعض التطهير الداخلى الضرورى • وكان من الطبيعى بعد ما حدث أن يبدأ العهد الجديد بمراجعة الدستور • وقسم الدستور الجديد السلطة بالتساوى بين الملك والريكسداج ولكن لم يفلح هذا النظام طويلا كما سنرى •

وقضى على وسائل الاضطهاد التى كانت تستخدمها الأحزاب السياسية مثل محاكم التفتيش غير العادية ، وحجرات التعذيب وما أشـبه ذلك ، ولتحقيق هـدنة عامة ، حرم استخدام حتى الأسماء الحزبية • وأعيد تنظيم الجيش والأسطول والنظام الملى بكل دقة •

ولكن شهر العسل بين الملك وشعبه سرعان ما أشرف عـلى الزوال ، وخاصة أن الملك كان يصرف مبالغ طائلة على تشجيع الفنـانين والمؤلفين محـاولا تقليـد أبهة وأناقة وتهذيب البلاط الفرنسى فى فرساى • ومع ذلك فقـد قرر أن الوقت قد حان لتحقيق الحلم القديم لغزو النرويج • ولكن النرويج كانت لاتزال متحـدة مع الدانمرك وكانت روسـيا حليفا للدانمرك • فقـرر

جوستاف ببساطة أنه كان عليه أن يهزم روسيا أولا وخاصة أنها كانت مشغولة بحرب أخرى مع الأتراك • وكان هنـاك عامل اضافى آخر هو ظهور حركة انفصالية فى فنلندا كان لدى قادتها فكرة غريبة خاصة بمطالبة روسيا بحماية استقلالهم •

وواجهت الملك عقبة ، وهى أنه لم يكن يملك حقا دستوريا فى اعلان الحرب • ولكن ساعده على تحقيق أغراضه حبه للحيل المسرحية • فقد استعار من دار الأوبرا بعض الملابس العسكرية الروسية وجعل عـددا من الجنود يرتدونها وأرسلهم لينهبوا بعض المنازل على الجـانب السويدى من الحـدود الروسية • وأعلن عنـدئذ أن السـويد كانت تدافع عن نفسـها • ورفض الضباط السويديون أنفسهم تصديق الأمر وتمرد عدد منهم • وقد أديرت العمليـات الحربية فى البر بصـورة سيئة للغاية ، وغزا الدانمركيون السويد ، ونشب صراع عنيف بين جوستاف والنبـلاء فى الداخل ، أنهاه انقـلاب ملكى جـديد • وزادت سلطات الملك مرة أخرى بدرجة كبيرة وانتزعت كل الامتيازات الهامة من النبلاء • وفى الجزء الثانى من الحملة التى قادها فى البحر أساسا ، تمكن الأسطول السويدى وقد واتته الرياح من هزيمة الروس عند سفنكسند وانتهت الحرب دون أن تحسم نتيجتها •

ثم أخذت فكرة كسب التاج البولندى تداعب جوستاف ولكن خواء الخزانة منعه من القيام بمغامرات حربية جديدة • ولذلك فكل ما استطاع جوستاف أن يفعله هو أنه جعل رجال بلاطه يرتدون ملابس بولندية ، لكى يألفوا تلك الملابس غير المألوفة التى قد يرشحون لارتدائها فى القريب • ولكن الملهاة والمأساة متصلتان اتصالا وثيقا • ففى حفلة تنكرية فى دار الأوبرا عام ١٧٩٢ اغتال الملك متعصب معجب بالثوريين الفرنسيين مع أن الملك رغم ضعفه كان من أقدر حكام السويد •

وكانت الأيام التى تنتظر ابنه عصيبة ، لأن عصر الحروب الثورية كان قد بدأ ثم تبعته الحروب النابليونية • وكانت الحروب التى نشبت فى البحر بين فرنسا وانجلترا ومن دار فى فلكهما مدمرة لتجارة السويد ، وبالرغم من التحالف الجديد مع فرنسا ضد روسيا حاملا معه الاعانات المالية المعهودة ــ فان الحكومة سقطت فى الافلاس من جديد • وكانت انجلترا أقوى من فرنسا كثيرا فى البحر ، ولولا أنها كانت فى حاجة الى خشب وحديد السويد لكانت حطمتها تماما • ولكن عندما أصبح نابليون امبراطورا ساءت العلاقات مع فرنسا بشدة لأنه استاء من تجارة السويد مع انجلترا ، فى حين حاز الملك كراهية معظم ملوك أوربا الذين نظروا اليه كمحدث نعمة •

وبما أن روسيا كانت فى صف انجلترا ضد نابليون فان مركز السويد لم يكن حرجا ولكن عندما انحاز القيصر عام ١٨٠٧ الى جانب فرنسا أصبح الموقف خطيرا جدا . ولم يستطع السويديون أن يحزموا أمرهم ويقطعوا علاقاتهم مع انجلترا خشية أن يلقى أسطولهم مصير الأسطول الدانمركى ، وهو اما الأسر واما التحطيم ـ وأن تنهار تجارتهم تماما .

وفى عام ١٨٠٨ غزت روسيا فنلندا بموافقة نابليون واحتلوها بالرغم من المقاومة البطولية من جانب الفنلنديين . وكان تصرف القائد العام السويدى يدل على الغباء والجبن حتى انه وصل درجة الخيانة . ولم تتحقق المعونة البحرية والمالية التى وعدت بها انجلترا الا جزئيا . وقام الملك وهو فى حالة يأس ، بتوقيع العقاب الشديد على كتيبة من الجند قدمت عرضا عسكرية سيئا ، وشرع فى فرض ضرائب استثنائية لكى يستمر فى الحرب . وكانت النتيجة مؤامرة من الضباط المتذمرين والموظفين الساخطين الذين نجحوا فى أسر الملك وعزله . وهكذا انتهى عام ١٨٠٩ العصر الجوستافى وانتهت بانتهائه الملكية المطلقة فى السويد .

الأمير برنادوت (١٨٠٩ ـ ١٨١٥)

خلف جوستاف الرابع عمه وكان عجوزا ضعيفا . ولكن السويديين لم يكونوا على استعداد للمجازفة مرة أخرى ، فأعدوا

دستورا جديدا تقلصت فيه سلطة الملك جدا ، وأعيد توزيع السلطة مرة أخرى بين الملك وممثلى الشعب .

ولكن اذا كان المتآمرون يعتقدون أن كل ما كانوا يحتاجون اليه لانقاذ الموقف هو ملك ودستور جديدان فانهم كانوا مخطئين . فقد أدى ضعف النظام والانضباط فى القيادة العليا الى فشل محاولة لاجلاء الروس عن فستربوتن واضطرت السويد الى التسليم بكل مطالب الروس . وكانت أسوأ ضربة هى ضياع فنلندا التى ظلت سويدية طوال ٦٥٠ سنة وضاع بضياعها آخر ما تبقى من امبراطورية البحر البلطى السويدية الشامخة بما فى ذلك جزر الآلاند بالقرب من ستوكهولم .

وتعطينا جريمة مقتل كونت فيرسن ، مارشال الدولة ، فى ستوكهولم صورة حية للدرك الذى تردت فيه السويد ، وكان هذا المارشال مشهورا بمحاولاته النبيلة فى أثناء الثورة الفرنسية لانقاذ الملكة مارى انطوانيت . فقد جذبه القتلة من عربته وقتلوه دون أى تدخل من الكتائب التى اصطفت تحية لجنازة ولى العهد وذلك لأن اشاعة لا أساس لها اتهمته بأنه كان قد دس السم للأمير المحبوب . وحتى وزير خارجية روسيا شعر بالأسف لحالة السويد وقال ناصحا : « ان السويد مريضة . دعوها تموت فى سكينة » .

ولكن السويديين كانوا أكثر حيوية مما كان يظن ، ووجدوا القوة على النهوض مرة أخرى • وكان أول شيء فعله « الرجل المريض » هو أنه تلفت حوله بحثا عن طبيب بارع ليصف له العلاج • وابتسم الحظ للبلد فقد اختير الرجل المناسب ولو من باب الخطأ •

واليك ما حدث : عندما كان على الريكسداج أن ينتخب خلفا للملك كارل الثالث عشر الذى لم ينجب أطفالا ، اعتقد معظم السويديين أن الفرصة الوحيدة للحصول على الحماية ضد روسيا ، بل ولاستعادة الأقاليم المفقودة ، تكمن فى الصداقة مع نابليون العظيم • واعتقدوا خطأ أن المارشال برنادوت ، أمير بونتى كورفو ، الذى بدأ حياته جنديا عاديا ، كان أحد المفضلين لدى الامبراطور • والحقيقة أن الامبراطور والمارشال لم يكونا على علاقة طيبة • ولكن أصبح هذا الأمر مصدر خير للسويد • اذ لم يكن من المحتمل أن ينحاز المارشال لمصالح نابليون ، بل انه أحس أن نجم الامبراطور كان على وشك الأفول •

ومن ناحية أخرى ، فبالرغم من أن الامبراطور والقيصر كانا حليفين اسميا الا أنه لم يكن من الصعب أن يتنبأ الانسان أن الصداقة لن تدوم طويلا • وترتب على هذا أنه كان على السويد أن تختار ، وأصبح نجاح غزو روسى أكثر احتمالا من نجاح

غزو فرنسى ، على الأقل مادام الأسطول الانجليزى كان يستطيع منع انزال الجنود الفرنسيين .

وهناك مثل قديم يقول: «اذا لم تستطع أن تحاربه فانضم اليه» وتطبيقا لهذا المبدأ قرر ولى العهد برنادوت ، أو كارل جوهان كما أطلق على نفسه فى السويد ، أن أفضل طريقة لكى يتجنب الاختناق اقتصاديا بواسطة انجلترا والسحق عسكريا بواسطة روسيا ، أن يصبح حليفا لهما . وفى نفس الوقت سوف تمكنه هذه السياسة من أن يحصل على شعبية بين من سيصبحون رعاياه فى المستقبل بأن يمد من حدود السويد المتقلصة مرة أخرى ، ان لم يعمل على اعادة فتح فنلندا . وكانت النرويج غنما أكثر قيمة ، علاوة على أنه من الأسهل الاحتفاظ بمناطق مأخوذة من الدانمرك من الاحتفاظ بمناطق مأخوذة من روسيا .

وثبتت صحة استنتاجات كارل يوهان . وكان لزاما عليه أولا أن يرضى نابليون باعلان الحرب على انجلترا ــ على الورق . ولكن لما وجد الامبراطور أن التجارة البريطانية استمرت كالمعتاد، استشاط غضبا وغزا اقليم بوميرانيا السويدى مرة أخرى ، مما سر له كارل يوهان كثيرا . وكان الغضب الذى أحدثه غزو المنطقة السويدية متمشيا مع مخططه . والواقع أنه كان قد قاد الكتائب الفرنسية عندما نفذت نفس العملية عام ١٨٠٦ ولكن كل

ما تذكره له الناس معاملته الانسانية للأسرى السويديين • وعقدت الاتفاقيات الضرورية مع انجلترا وروسيا وبمقتضاها وعدت الدولتان بارسال جنود تساعد على غزو النرويج • وتجمع المال بالطريقة المألوفة وهى الغاء الجزء الأكبر من التزامات الدولة ، وأصبح كل شيء معدا عندما دفع نابليون عام ١٨١٢ « بجيسه العظيم » ضد روسيا • ولكن البداية كانت مخيبة للآمال • اذ لم تظهر كتائب روسية ، ولكن طلب من السويد بدلا من ذلك أن ترسل جيشا لمساعدة الحلفاء فى ألمانيا ، مع التنبيه بوضوح على أن هذا لم يكن معناه مهاجمة الدانمرك •

ومع ذلك ، فانه خير كل ماينتهى بالخير • فقد انتهز كارل يوهان الفرصة الملائمة التى سنحت له بعد « معركة الأمم »* فى ليبزج لمهاجمة الدانمرك بينما كان الحلفاء مشغولين فى القضاء نهائيا على نابليون ، واضطروا الدانمرك الى الموافقة على استبدال النرويج ببوميرانيا • غير أنه ظهرت عقبة غير متوقعة ، عندما رفض النرويجيون الاتحاد مع السويد بل هددوا بالحرب ضد هذا الاتحاد • ولكن السويديين كانوا هم الأقوى عسكريا وفى

(*) معركة الأمم وتعرف بمعركة ليبزج • وقعت بين ١٦ ــ ١٩ أكتوبر ١٨١٣ • وقد هاجم فيها ليبزج عدد من الجيوش النمساوية والروسية والبروسية وكان يدافع عن المدينة الفرنسيون بقيادة نابليون، ولكن عددهم بالنسبة للمهاجمين كان بنسبة ١ : ٢ • وانتهت بهذه المعركة عملية تحرير ألمانيا ، ولذلك سماها المؤرخون الألمان بمعركة الأمم • (المترجم) •

عام ١٨١٤ أجبر البرلمان النرويجى على الموافقة وخاصة أن السويد وافقت من جانبها على احترام الدستور النرويجى أو الحكم الذاتى • ولم تكن الدولتان لتشتركا فى شىء سوى شخص الملك والقوات المسلحة والسياسة الخارجية •

أما عن بوميرانيا السويدية فان الأمر احتاج كثيرا من الأخذ والرد لتقرير مصيرها فقد تركت للدانمرك التى بادلتها مع بروسيا بدوقية لونبرج • والأغرب من ذلك أن بروسيا قامت بتسديد نفقات غزو السويد للنرويج • وطبقا لتقاليد تلك الأيام، كان للسويد أن تفخر بما حققته من نجاح – يرجع الفضل فيه الى ولى العهد كارل يوهان• وقد تحسن مركز السويد العسكرى كثيرا باتحادها مع النرويج ، والأهم من هذا ، أن السويديين استعادوا ثقتهم بأنفسهم • وكان لاقرار السلام نتائج هامة أخرى: فقد تخلت السويد عن سياسة ايجاد امبراطورية فى البحر البلطى. وبذلك انتهت المنافسة الشديدة الخطورة مع روسيا • وأصبحت السويد دولة اسكندنافية خالصة وبذلك استطاعت أن تستمتع بفترة سلام طويلة كانت فى مسيس الحاجة اليها بعد أكثر من ألفى سنة من استنزاف الدماء •

ونتيجة لهذا فان تاريخ السويد منذ ١٨١٥ أصبح أقل اثارة مما كان قبل ذلك التاريخ • ولكن كما يقول المثل كلما قل تاريخ دولة ما زادت سعادة تلك الدولة •

ومع ذلك فان السويد لم تعتنق رسميا سياسة حيادية تحت جميع الظروف ، كسويسرا مثلا ، وفى أكثر من مناسبة أصبحت قاب قوسين أو أدنى الى التورط فى حروب كمشاركة فيها أو كضحية لها • وحتى منتصف القرن التاسع عشر كانت هناك لحظات حرجة كلما ساءت العلاقات بين روسيا وانجلترا ، لأنه كان على السويد أن تظل على علاقة طيبة مع كلتيهما وأن تنحاز الى جانب انجلترا اذا أصبح ذلك مستحيلا •

قرن من السلام
(١٨١٥ - ١٩١٤)

قرابة منتصف القرن التاسع عشر دبت الحماسة بين الجيل الجديد لتحقيق وحدة اسكندينياوية • وكان الهدف من ذلك انشاء دعامة قوية ضد روسيا • وحبذت الدانمرك الفكرة كما شعرت أنها فى حاجة الى تأييد اذا أرادت أن تحتفظ بأقاليمها التى تتكلم الألمانية وهى سلزويج وهولشتين ولونبرج •

وكان ذلك زمن انتشار مبدأ القوميات - أى حق الشعب فى تقرير مصيره القومى كما عرف منذ أصبح الرئيس ولسن بطل هذا المبدأ - فى أوربا وبطبيعة الحال فى ألمانيا كذلك حيث اتخذ هذا المبدأ شكل الرغبة فى اتحاد أقوى بين الولايات الألمانية المختلفة كبيرها وصغيرها •

وهنا ظهرت عقبـة كأداء ، لأن السـويد رفضت أن يشتمل ضمانها على اقليم هولشتين ، وبدون هولشتين رفضت الدانمرك الدخول فى الاتحاد .

ولم تدم العلاقات الطيبة مع روسيا طويلا ؛ اذ سرعان ما قام صراع عنيف حول موضوع تافه وهو حق حرية التنقل بالنسبة الى اللاب وقطعان الرنة التى يملكونها فى أقصى الشمال . وعندما قامت حرب القـرم عام ١٨٥٣ بين فرنسـا وانجلتـرا من جانب وروسيا من جانب آخر ، كانت السويد على وشك الانضمام علنا الى جانب الحلفـاء ـ طمعا فى فنلنـدا ـ عندما سعت روسيا الى السلام دون أن يتوقع أحد ذلك . وفى المناسبتين التاليتين كان نقص الأسطول الذى يتحرك بالبخار بدلا من الشراع هو الذى منع السـويد من « المراهنـة على الحصان الخاسر » فقد كانت أوشكت أن تدخل فى حرب مع روسيا عام ١٨٦٣ لتأييد الثورة البولندية . وفى أثناء الحرب الدانمركية البروسية عام ١٨٦٤ بسبب سلزويك وهولشتين ، تمادى الملك كارل الخامس عشر لدرجة أنه وعد الدانمرك وعودا أكيدة بالمعونة العسكرية باسم التضامن الاسكندنافى . ولكن الحكومة عارضت هـذه المغامرة بشدة ، وذلك لأنها أخذت درسا فى العام السابق عندما تعالت أصـوات فرنسـا وانجلتـرا لمساعدة بولندا بدلا من أن ترفعا السيف . وليس بمستغرب بعد ذلك أن تنسحب السويد عائدة

الى قوقعة العزلة والحياد ، فى ظل الحماية غير المعلنة من قبل الدولة العظمى الجديدة التى بزغت حديثا وهى : ألمانيا فى عهد بسمرك .

وكان السويديون يواجهون حقا كثيرا من المشكلات الداخلية . وكانت قصة اتحاد « كالمار » تكرر نفسها . ولكن الأحوال قد تغيرت وسوف لا يجدى كبت حركة الانفصاليين فى النرويج بالقوة كما فعل الدانمركيون مع الحركة المماثلة التى قامت فى السويد فى القرن السادس عشر . وعندما أعلن النرويجيون حل الاتحاد عام ١٩٠٥ حدث لغط فى ستوكهولم عن الحرب ولكن الأصوات لم تكن مرتفعة . لأن كثيرا من السويديين ، بما فى ذلك القوى العاملة ، كانوا قد تعبوا من المشاحنات غير المجدية مع النرويجيين وتأكدوا من أنه حتى النصر سوف لا يجديهم نفعا . ولذلك عقدوا معاهدة صداقة دائمة بين الأمتين عام ١٩٠٥ بدلا من اللجوء للحرب .

وسرعان ما ثبت أن هذا الاحتياط كان ضروريا . وذلك لأن النرويج ذات الساحل الطويل المواجه لانجلترا أخذت تقترب أكثر فأكثر من « الاتفاق الودى الثلاثى » الذى كان قد عقد حديثا بين فرنسا وروسيا ، فى حين أن السويد التى كان ساحلها تحت رحمة المدافع الألمانية والتى كانت تعيش فى رعب من جارتها

روسيا تمشت فى سياستها مع التحالف الثلاثى بين ألمانيا والنمسا والمجر وايطاليا .

وأخذت العلاقات بين المجموعتين تسوء تدريجيا ابتداء من عام ١٩٠٨ . أما عن العلاقات بين السويد وروسيا فقد كانت متأثرة على وجه الخصوص بسياسة روسية جديدة تهدف الى كبت الحريات المتروكة لفنلندا عام ١٨٠٩ وكذلك بالاستعدادات العسكرية المخيفة فى تلك المقاطعة الواقعة على الحدود .

وكانت النتيجة المباشرة أن الصراع القديم بين الأحزاب السويدية من أنصار اليمين وأنصار اليسار على الاستعداد العسكرى أصبح أكثر عنفا . وكان الأحرار ، والاشتراكيون بصورة أكبر ، يريدون من السويد أن تخفض من التسليح . وباستثناء عدد قليل من القادة بعيدى النظر كان الاشتراكيون السويديون يشاركون فى الاعتقاد الاشتراكى السائد وهو أن أفضل طريقة لتجنب الحروب هو الغاء الجيوش واقامة المثل الصالح بغض النظر عما تفعله باقى الدول . ومنذ ذلك الوقت كانت خيبة الأمل المريرة سببا فى التقليل من حماسة الاشتراكيين لنزع السلاح من جانب واحد كعلاج شامل للحروب ، ولكن قبل الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ كان من المستحيل اثبات أنهم كانوا على خطأ . ولم يستطع المحافظون الا أن يحاولوا أن يقنعوا الناس

أن نظريات الجناح الأيسر كانت متفائلة بصورة تدل على البلاهة، ولكنها لاقت نجاحا قليلا •

وأوشك الشجار أن يؤدى الى نتائج خطيرة • ففى شتاء ١٩١٤ نظمت المعارضة المحافظة مسيرة من ٣٠ ألف فلاح الى ستوكهولم كمظاهرة تؤيد فكرة الدفاع القوى • وقد عبر الملك جوستاف الخامس عن موافقته الأكيدة على آرائهم وطلب أقصى الاستعجال فى تنفيذها • وكان هذا مما أثار غضب أحزاب اليسار لأنه كان قد ظهر تقليد أنه لاينبغى للملك أن يدلى بتصريحات علنية هامة الا بموافقة الحكومة • ولذلك نظمت أحزاب اليسار مظاهرة مضادة أكبر عددا مكونة من العمال الصناعيين الذين طالبوا بتخفيض الاعتمادات البسيطة المخصصة للجيش ولاموا الملك على تدخله الشخصى •

وأجريت انتخابات جديدة فى ذلك الوقت شابها قدر كبير من العنف وحصلت أحزاب اليسار مرة أخرى على الأغلبية مع أنها كانت أغلبية ضئيلة بعض الشىء • وقبل أن تتاح لهم فرصة تطبيق برنامجهم الخاص بخفض التسلح اشتعلت الحرب العالمية فى أغسطس ، وواجهتهم الحقائق بدلا من النظريات • ولم يكن لهم الخيار فى تأييد اجراءات اعادة التسليح التى طالبت باتخاذها حكومة الأقلية المحافظة الجديدة التى عينها الملك بأمل أن يجعل

غزو السويد بالنسبة لأية قوة كبرى عملية مكلفة للغاية. وازدادت قدرة السويد على المقاومة بدرجة كبيرة بالاتفاق الذى تم بينها وبين الممالك الاسكندنافية الثلاث للعمل معا فى حالة تعرض أية واحدة منها للخطر . وبهذا جمع بينها الخطر المشترك مرة أخرى ، كما فعل كثيرا فى الماضى .

واحتاج المحايدون بكل تأكيد الى استجماع كل ذرة من قواهم، لأنه لما كان من المستحيل عليهم أن يرضوا جميع الأطراف، فقد اتهمهم البعض بمحاباة البعض الآخر . وكذلك قل احترام حقوق المحايدين فى ظل القانون الدولى شيئا فشيئا بسبب الأسلحة الحديثة وعنف الصراع .

ولم تتمكن السويد من التفاوض لعقد اتفق مع الحلفاء يمكنها من استيراد ضروريات الحياة الا عام ١٩١٧ أى قرب نهاية الحرب عندما كانت السويد على حافة المجاعة . وفى مقابل هذا كان عليها أن تتنازل عن جزء من أسطولها التجارى للحلفاء .

الحياد (١٩١٧ -)

يبدو لأول وهلة أن الخسوف الذى حل بروسيا بسبب ثورة ١٩١٧ كان يجب أن يهدىء من مخاوف السويد القديمة . ولكنه فى الحقيقة خلق مجموعة جديدة من المشكلات . حقيقة أن

فنلندا قد حررت ولكن الحرب الأهلية بين الحمر والبيض ثارت هناك كذلك ، وحاولت السويد أن تكتسب الوقت وسط التردد والاضطراب اللذين ترددت فيهما سياسة الحلفاء ولأن اتحادات العمال فى السويد هددت بالمعارضة الضيفة •

وقد يظن المرء أنه بعد تجربة عام ١٩١٤ عندما أظهرت أغلبية الريكسداج أنها عاجزة عن استطلاع الموقف الدولى بطريقة صحيحة بينما برهن الملك أنه على صواب ثم قاد السياسة السويدية بنجاح عبر أخطار سنوات الحرب ، ان السويديين كان يسرهم أن يكون الملك فى مكان القيادة • ولكن بدلا من هذا ، فان السياسة الخارجية التى كانت فى ذلك الوقت من اختصاص الملك انتقلت الى البرلمان • وفى نفس الوقت امتدت حقوق التصويت لكل المواطنين فوق ٢١ سنة • وخلال العشرين سنة التالية ظلت السويد حقيقة بعيدة عن السياسة الدولية حتى انه لم يهم كثيرا من الذى يتولى سياستها الخارجية •

وقامت هذه السياسة أساسا على تأييد عصبة الأمم على أمل أنها متضمن السلام الدائم • وكما يحدث كثيرا من أن تكون الرغبة هى مصدر التفكير ، تحمس السويديون لفكرة السلام بدرجة لا تعدلها فيها الا قلة من الدول • حقا لقد اكتسبت السويد نوعا من الزعامة الأدبية فى ميدان التمسك بالسلام وبخاصة أنه قرب نهاية القرن الماضى ترك مواطن سويدى هو ألفريد نوبل ثروته

الضخمة لمؤسسة نوبل ليوزع دخل هذه الثروة سنويا على المؤلفين والعلماء البارزين وكذلك على العاملين المتحمسين من أجل قضية السلام • ولسوء الحظ يوجد من الناس دائما من يظن أنه يستطيع أن يكسب المال والمجد بما يزيد على ٤٠ ألف دولار ، ولذلك لم يكن لجائزة نوبل للسلام تأثير كبير •

وكان نوبل كيمويا عمليا ومخترعا للديناميت ، وربما كان يقصد أن يعوض سوء استعمال اختراعه لأغراض الحرب وهو المقصود به نسف الصخور فى المناجم والأنفاق ، عندما جاءته فكرة مكافأة أبطال السلام •

وبحلول عام ١٩٣٨ تحققت السويد كذلك من أن عصبة الأمم كانت عاجزة عن ضمان السلام وأعلنت أنها فى المستقبل سوف تعتمد أكثر على اتفاقيات دفاعية منفصلة مع جيرانها الاسكندنافيين، مما فيهم فنلندا الآن •

ولكنهم جميعا أغفلوا مرة أخرى أن الجيوش القوية ضرورية لحماية بلد ما ، وكان عليهم أن يدفعوا ثمن خطئهم غاليا • ومع أن السويد نفسها قد سلمت من الغزو الا أن موقفها كان حرجا فى أثناء الحرب العالمية الثانية أكثر مما كان فى الحرب العالمية الأولى • وبالرغم من المشاعر العنيفة التى أثارها الهجوم الروسى على فنلندا عام ١٩٣٩ ، فان السويد لم تجرؤ على أبعد من أن

تمدها بالطعام والمواد الحربية . وعندما طلبت فرنسا وانجلترا الاذن بحرية المرور لكتائب جيشها لمساعدة فنلندا رفضت السويد هذا الأمر نظرا لمعارضة ألمانيا التى كانت تخشى أن يثبت الحلفاء أقدامهم فى اسكندناوة وأن يحتلوا مناطق خامات المعادن فى لابلاند علاوة على أنها كانت حليفة لروسيا فى ذلك الوقت . والواقع أنه لولا قصر نظر هتلر وحكمة السويد المتناهية لوجدت روسيا نفسها فى حرب مع القوى الغربية بدلا من أن تصبح فيما بعد حليفة لها ، وهذا مما يثير كثيرا من الأفكار حول القوى الخفية التى تحرك التاريخ .

وبعد الغزو الألمانى للنرويج والدانمرك فى ربيع عام ١٩٤٠، لم يعد هناك شك أن كل السويديين تقريبا أصبحوا يميلون للحلفاء بشدة . ومع ذلك فبعد استسلام فرنسا لم يكن للسويد خيار فى أن تسمح لقطارات الجنود الألمان المصابين والجنود المرخص لهم باجازات أن يمروا بالأراضى السويدية . فلم يكن السويديون فى ذلك الوقت من القوة بحيث يصمدون لهجوم ألمانى ، وكل ما كانت تستطيع أن تفعله انجلترا هو أن تحمى جزيرتها . ولم تقو السويد على تحدى الألمان الا من عام ١٩٤٣ وما بعده ، وذلك بعد أن انضمت الولايات المتحدة وروسيا الى صفوف أعداء ألمانيا . ولم تستطع السويد بطبيعة الحال أن تساعد الحلفاء علنا ؛ لأنها كانت ستكون عاجزة بدون الفحم الألمانى ،

كما أنها كانت تحت رحمة قاذفات القنابل الألمانية ؟ ولكنها عوضت التسهيلات التى منحتها للألمان فى النرويج بتهريب السلع القيمة مثل كرات المحاور ، وغيرها من السلع السويدية التى لا تقدر بثمن الى انجلترا ، وكذلك بمساعدة طيارى الحلفاء الذين يهبطون اضطراريا بأراضيهم على الهرب .

وربما لم تكن اتجاهات السويد نبيلة كل النبل ، ولكن فى أثناء الحروب بين القوى العظمى نادرا ما تستطيع الدول الصغرى المحايدة عمل شىء سوى محاولة الاحتفاظ بالتوازن بين الخدمات التى تقدمها الى الطرفين ، أحيانا بصورة علنية وأحيانا بصورة سرية . وعلى أية حال اذا قال قائل بأنه على الدول دائما أن تخرج للحرب للدفاع عن « الحق » بغض النظر عن مصالحها الشخصية ، فان الدول الكبرى هى التى يجب أن تبدأ بذلك وتكون قدوة لغيرها ؟ اذ ما من أحد غير تلك الدول دخل حربا الا اذا كان قد تعرض لمهاجمة من الغير .

وبالرغم من منح السويد البالغة السخاء للأغراض الانسانية لضحايا الحرب ، وحق الالتجاء الذى منحته لعدد كبير من لاجئى الحرب النرويجيين والدانمركيين والفنلنديين والاستونيين وغيرهم من البلدان المجاورة حتى لقد بلغ عددهم فى وقت ما نحو ١٨٠٫٠٠٠ لاجىء وهو رقم يعادل ثلاثة ملايين فى الولايات المتحدة اذا راعينا العدد الكلى للسكان — فليس هناك شك فى أن

كثيرين من الناس لم يغفروا للسويديين الامتيازات التى منحوها للألمان خلال السنوات الأولى من الحرب ، ولا حظها المدهش فى البقاء خارج هذه الحرب • ويؤنب النرويجيون على وجه الخصوص السويد لأنها لم تهرع الى نجدتهم علنا • ويبدو أن مثل هذا النقد ليس عادلا • فلابد لهم أن يتذكروا أنهم برغبتهم أرادوا أن يقفوا على أقدامهم وانفصلوا عن الاتحاد مع السويد عام ١٩٠٥ عن عمد • وكما يقول المثل : لا تستطيع أن تحتفظ بكعكتك وتأكلها فى الوقت نفسه • وعلاوة على ذلك كان لدى السويديين سبب كاف لأن يهبوا لمساعدة فنلندا ضد روسيا ، ولو أنهم فعلوا ذلك لأصبحت السويد حليفة لألمانيا وعدوة للنرويج وللحلفاء الآخرين! وكان حقد النرويجيين على السويد — سواء أكان هناك ما يبرره أم لا — احدى العقبات فى طريق خلق علاقات أوثق بين الدول الاسكندنافية ، مما يتخذه جميع ساستهم البعيدى النظر مثلا أعلى لهم •

وقد طرحت مشكلة التجمعات الدفاعية فى حالة حلف شمال الأطلنطى ، وهو ثمرة من ثمرات مشروع مارشال ، وأثبت التضامن الاسكندنافى أنه أضعف من أن يصمد أمام هذا الاختبار • فقد انضمت الدانمرك والنرويج اليه ولكن السويد لم تنضم اليه وفضلت الحياد •

ولا يستطيع المرء أن يلوم السويد اذا فكرت أن الحياد يخدم مصالحها بأحسن صورة . والسؤال الوحيد هو عما اذا كان هذا صحيحا .

ويجب الاعتراف بأن وضع السويد الآن ليس مما تحسد عليه . فربما لم يواجه السويديون طوال تاريخهم مثل هذا الوضع الخطر . ففى الماضى كانت حروب السويد تجرى على أرض أجنبية . وكانت الهزيمة تعنى على أسوأ الفروض خسارة بعض الممتلكات فيما وراء البحار . وبعد أن خسرت هذه الممتلكات بالفعل عام ١٨٠٩ وكفت عن أفكارها الاستعمارية لم يعد أحد يهددها تهديدا جديا لأكثر من قرن من الزمان . ولكن السويديين الآن يجب أن يعودوا أنفسهم العيش تحت تهديد الغزو المباشر .

ومع ذلك فان السويديين من بين المحايدين الواقعيين الذين يؤمنون بأنه يجب عليهم حماية الحياد ، وأن جيشهم وأسطولهم وقوتهم الجوية ، مع صغر حجمها نسبيا ، الا أنها من بين أحسن الجيوش والأساطيل تسليحا وتجهيزا فى أوربا . ولما كانت فرصة النجاة تكاد تنعدم فى حالة الهجوم الذرى ، فان مصانع ومنشآت أخرى كثيرة أقيمت تحت الأرض بل تحت الصخور فى ممرات شاسعة محفورة فى الجرانيت الصلب . وفضلا عن ذلك فان هناك مخابىء نموذجية لأكثر من نصف السكان المدنيين وتستجد مخابىء لـ ١٣٠ ألف نسمة كل عام .

٥

السويديون فى لهوهم ولعبهم

بالرغم من السحب التى تخيم على الأفق الدولى ، لا ينبغى تصوير الأوربيين على أنهم من الرعب بحيث لا يفكرون فى شىء سوى احتمال وقوع حرب جديدة . وان قدرة الطبيعة الانسانية على التكيف بسرعة مع الظروف وعلى تعود الخطر لتدعو الى الدهشة . واذا لم يقع سيف داموقليس خلال بضعة الأيام الأولى، فسوف لا يفكر الناس فيه أكثر مما يفكرون فى الثريا المدلاة من سقف حجرة الجلوس .

ولا شك أن هناك عددا من الناس فى السويد يعانون من القلق ، ولكن الغالبية العظمى يستمرون فى العمل واللعب وهم يثقون فى حظ السويد السعيد . لأن البلد الصغير لا يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك عندما يتشاجر الكبار .

ويبدو حظ السويديين الحسن فى أن الطبيعة وهبتهم أمزجة هادئة وقليلا جدا من الخيال . ويساعدهم ذلك على التحكم فى أعصابهم فى الأوقات الحرجة . ولكنهم محظوظون فى نواح كثيرة أخرى . فان السويديين الذين حققوا رقما قياسيا عالميا لطول فترة غزواتهم والمساحات التى شغلتها ـ فقد استمرت هذه

الغزوات أكثر من ألفى سنة وشملت كل أوربا ـ لم يعانوا غزوا من خارج حدود اسكنديناوة ۰ ويرجع هذا جزئيا بلاشك الى أن السويديين كانوا سريعى التقدير لموقفهم فى حالة الفشل ، ولكنه يرجع أساسا الى الظروف والأحوال الجغرافية والاقتصادية ۰ فالبحر كان يحميها كما يحمى انجلترا ، بل بطريقة أحسن ، وذلك بفضل ساحلها المتعرج والجزر الصخرية التى لا حصر لها ۰ والسبب الآخر هو أنها تقع بعيدا عن الطريق المطروقة التى تتخذها حركات هجرة وغزوات الشعوب الأخرى ، فقد تتبعت تلك الشعوب عادة وادى الدانوب أو سهول شمال ألمانيا ۰ وأخيرا فان البلد لم يكن من الغنى بحيث يجذب الغزاة ۰ وحدث أن كانت انجلترا هى القوة الوحيدة فى القرن التاسع عشر التى بدأت تهتم اهتماما قويا بالمنتجات السويدية من الحديد والخشب، ولكن كان قد مضى على انجلترا زمن طويل منذ قررت أنه من الحكمة التوسع فيما وراء البحار أكثر من التوسع فى أوربا ۰ وفضلا عما تقدم فانه منذ عهد قريب نسبيا ، أى فى النصف الثانى من القرن الماضى ، حدث ذلك التقدم فى طرق صناعة الصلب ولب الخشب وبدأ تشغيل معامل نشر الخشب بقوة البخار مما زاد من قيمة موارد السويد الطبيعية الى الدرجة التى تستحق التفكير فى الاستيلاء عليها ۰ ولعل بقاء السويد أمدا طويلا بلدا فقيرا نسبيا فى الموارد الطبيعية وقارس المناخ كان أمرا نافعا لسبب آخر ،

فقد اضطر السويديون أن يكونوا نشطين وأن يعتادوا العمل الشاق ، وهو الطريق الصحيح الوحيد الى الرخاء •

والدليل على عمل السويديين الشاق متوافر فى كل مكن • لأنه يجب أن نتذكر أن معظم العمل اللازم لازالة الغابات لاحلال الزراعة محلها ولشق القنوات ، والطرق ، وبناء القناطر والحصون ، وبناء الكنائس القديمة والقصور والقلاع المهيبة ، كان يتم بالعمل اليدوى وبواسطة سكان موزعين توزيعا خفيفا على مساحة كبيرة من الأرض •

ومن المعتقد أن عدد سكان السويد فى بداية القرن السابع عشر لم يزد على المليون نسمة • ومن المدهش أنه لفترة من الوقت ظل هذا البلد بهذا العدد القليل من السكان ، قادرا على تقرير مصير أوربا • ولابد أن خسائر السويد من الرجال فى حروبها كانت جسيمة لأنها عند نهاية ذلك القرن ، وبالرغم من غزو سكونه والأقاليم الدانمركية الأخرى كثيفة السكان ، ارتفع عدد السكان الى مليون ونصف مليون فحسب •

وأدى عصر السلام الذى بدأ فى القرن التاسع عشر الى زيادة سريعة فى السكان الذى بلغ عددهم أربعة ملايين عام ١٨٦٣ ، عندما بدأ تصنيع السويد بصورة جدية • وكانت هذه البداية

المتأخرة ذات نتائج طيبة للغاية ، وخاصة من حيث المصانع الكبيرة في كل أنحاء البلاد بدلا من تركيزها في مدن ضخمة قذرة ، ولكن نقص فرص العمل كانت كذلك مسئولة عن هجرة كثير من السويديين الى الولايات المتحدة ، حيث يجدون أرضا واسعة وأعمالا مرتفعة الأجر في الصناعة . ففي المدة من ١٨٦٥ – ١٨٨٥ غادر البلاد نحو نصف مليون سويدي ، كان من الممكن للدولة استغلال طاقاتهم .

وقد جاء معظم المهاجرين من الأقاليم الريفية ، وسبق أن ذكرنا أسباب ذلك . وهناك سبب آخر هو ظهور منافسة القمح الرخيص الوارد من الغرب الأوسط الأمريكي الذي أمكن تصديره بفضل آلاف الأميال من السكك الحديدية التي بنيت في ذلك الوقت ، بأيدي المهاجرين الأوربيين . وكان يمكن أن يتحكم في هذه المنافسة فرض ضريبة استيراد عالية على القمح ، ولكن التجارة الحرة على الطريقة الانجليزية كانت بدعة تلك الأيام .

وقد أغفل السويديون أنه بينما كانت انجلترا عاجزة عن اطعام سكان مدنها ، استطاعت السويد ذلك ، وأنه بينما كان عدد سكان المدن في انجلترا كبيرا جدا ونتيجة لهذا استفاد كثير من الناس من انخفاض سعر الطعام ، فانه في السويد لم يكن ليستفيد من رخص الطعام سوى قلة قليلة . لأن نحو ١٥٪ فقط من السكان يعيشون في المدن . وارتفع هذا الرقم الآن الى أكثر

من ٥٠٪ ولكن الثلثين فقط من النصف الباقى الذى يعيش فى الأرياف يشتغلون بالزراعة . وفى الولايات المتحـدة ، كما قد تعلم ، يسكن خمسا السكان فىالريف، نصفهم فقط منالفلاحين. ولذلك ففى السويد فلاح واحد من بين كل ثلاثة رجال ، أما فى الولايات المتحدة فواحد من كل خمسة رجال .

ويلزم قدر أكبر من العمل بالنسبة للفـدان ، فى السويد ، وفى أوربا بوجه عام ، أكثر مما فى الولايات المتحدة ؛ لأن صغر حجم المزرعة المتوسطة وارتفاع ثمن الجرارات يجعل استخدام الماكينات فى الزراعة أقل ربحـا . ويجب زراعة طعـام أكثـر للخيول العاملة . وان مشكلة الابقاء على عدد كاف من الناس فى الأراضى المزروعة مشكلة صعبة فى كل بلد . ولمكافحة « التحول عن الأرض » تبذل الجهود لجعل الزراعة أكثـر ربحا وأقـل ارهاقا . ولكن اذا قل العمل ازداد عدد الناس الذين يهجرون المزارع ، لأن الأجـور تقـل . ومع ذلك فان أول شىء يفعـله الشباب بمجرد انتقالهم الىالمدينة هو الشكوى منارتفاع تكاليف المنتجات الزراعية ، أى الطعام .

والصعوبة الأخرى هىأن استخدام الماكينات فىالزراعة مربح حقا فى المزارع الكبيرة فحسب ، ومع ذلك فكلما زاد حجـم المزارع قل عدد الملاك الزارعين . أما نشر الكهرباء ، وهو علاج

آخر لمشقة العمل فى المزارع ، فانه أقل تأثرا بحجم المزرعة ، ولكن فى هذه الحالة أيضا فانه كلما سهل العمل قل عدد الناس اللازمين للقيام به • وعلى أى حال فان الفلاحين السويديين لا يحق لهم الشكوى من قلة الكهرباء • فان ٨٠٪ من السويديين يحصلون على التيار الكهربى ، و ١٠٪ يستطيعون أن يحصلوا عليه اذا أرادوا • فالفلاحون الذين يريدون تحسين أحوال منازلهم يحصلون على منح حكومية تصل الى ٣٥٠٠ كرون أى حوالى ٧٥٠ دولارا ، وهو مبلغ يمكن فى السويد أن ينجز للفلاح أكثر مما ينجزه فى الولايات المتحدة لأن المعيشة فى السويد أكثر رخصا •

ويحصل كذلك الفلاحون الذين لا يملكون سوى مزارع صغيرة على قروض ومنح لشراء ما يكفى من الأرض لاعالة أسرهم وتساعد الحكومة المزارعين بطرق أخرى عديدة ، وبخاصة بواسطة ضمان حد أدنى لأسعار كثير من المحصولات •

وتبذل الحكومة السويدية ما فى وسعها لمساعدة الفلاحين « العمود الفقرى للأمة » لنفس الأسباب التى تدفع الأمريكيين وحكومات أخرى عديدة • ولدى الحكومة السويدية سبب اضافى : ففى حالة الحرب سوف تصبح السويد تماما تحت رحمة البلدان الأخرى ، وسوف لا تقوى على البقاء فى حالة الحياد اذا انخفض انتاج الطعام الى أقل من مستواه الحالى •

ولكن الفلاحين السويديين لم يعتمدوا على المساعدة الحكومية فحسب ، بل قد بذلوا جهدهم لمساعدة أنفسهم ، فهم يعتبرون من أكفأ الفلاحين فى العالم ، يكادون يبلغون مرتبة الدانمركيين، ومع أن معظم الأراضى المزروعة استغلت مدى أعوام طويلة فان خصبها قد زاد بدلا من أن يتناقص ، ويرجع ذلك الى حد كبير، الى ما اعتادوه من وضع كل أوقية تحصلون عليها من « السباخ البلدى » فوق هذه الأرض ، ومما يساعدهم على استغلال أرضهم توافر وسائل الصرف الجيدة ودورة المحصولات واستخدام السماد الصناعى .

وقد ساعد الفلاحون السويديون أنفسهم الى حد كبير باقتفاء أثر جيرانهم الدانمركيين وتكوين جمعيات تعاونية ، وما على الأعضاء الا أن يسهموا بمبلغ صغير من المال لتوفير رأس المال الابتدائى .

وهناك أنواع مختلفة من الجمعيات التعاونية ولكن بوجه عام يمكن أن نقسمها الى جمعيات تعاونية استهلاكية ، وجمعيات تعاونية انتاجية ، وتوحى التسمية ذاتها بأن ما يشترك فيه هذان النوعان هو هدف الأعضاء أن يعملوا معا للفائدة المشتركة . ولكن ما يميز بينهما هو أن جمعيات المنتجين التعاونية تحاول تحقيق ربح لأعضائها ببيع ما ينتجونه بسعر مرتفع ، فى حين أن

جمعيات المستهلكين التعاونية تحاول أن تفيد أعضاءها بأن تبيع لهم بأرخص ما يمكن دون تحقيق أى ربح •

ويعرف كل فلاح أنه من الصعب عليه فى الأوقات العادية أن يحصل على ثمن مرتفع لمنتجاته ، لأنه يبيع عادة لوسيط بكميات صغيرة ويدخل فى منافسة مع جاره • ويبيع الوسيط لتاجر التجزئة ، وبطبيعة الحال لابد أن يغطى كل منهما مصروفاته وأن يحقق ربحا • وما تفعله الجمعية التعاونية للفلاح هو أن تقوم بدور الوسيط بدون ربح وأن تبيع لتجار التجزئة أو مباشرة الى المستهلكين فى دكانها الخاص • ومن الواضح لو أن عددا كافيا من الفلاحين المنتجين لمصنوعات الألبان اشتركوا فى جمعية تعاونية ، تأخذ كل ما ينتجونه من لبن ويسوقونه ، فان الجمعية التعاونية سوف تحدد سعر اللبن وسوف لاتستطيع شركات الألبان أن تخلق منافسة بين فلاح وآخر ، أو أن تحدد السعر الذى ترغب فى أن تدفعه وسوف يكون لدى الجمعية التعاونية بطبيعة الحال جهاز كفء لديه المعرفة والوسائل اللازمة لتسويق منتجات الفلاحين بأكبر ربح ممكن دون المغالاة فى الأرباح •

وتقدم التعاونيات خدمات قيمة أخرى لأعضائها • فهى قادرة على أن تمتلك أدوات زراعية غالية الثمن وآلات تجهيز أو تصنيع ، وامكانيات تخزين ، وسلالات معروفة الأصل بقصد

التربية لا يستطيع دفـع ثمنها فلاح واحد ، أو أن يستخدمها بصورة كاملة . كما أنهم فى وضع يساعدهم على أن يشتروا له بكميات كبيرة وبسعر أرخص كثيرا من الأشياء التى يحتاج اليها مثل السماد والتقاوى وما شابهها .

وينتمى تسعون فى المائة من الفلاحين فى السويد الى أى جمعية تعاونية من الأبع عشرة جمعية تعاونية التى تبيع ما تقرب قيمته من ٦٠٠ ألف دولار سنويا من الانتاج ؟ ولو أن عـدد سكان السويد يبلغ عدد سكن الولايات المتحدة لوصل هذا الرقم الى ١٥٠ بليون دولار .

ومع أن عددا قليـلا من الفلاحين ينتمى الى جمعيات تعاونية استهلاكية ، فان أغلبية أعضاء هذه الجمعيات ــ أى ما يقرب من نصف الأسر السويدية كلها ــ يقيمون بالمدن . وكلهم تقريبا منضمون الى « الاتحاد التعاونى السويدى » الذى يتكون من جمعيات محلية تملك أكثر من سبعة آلاف دكان بيع بالتجزئة معظمها دكاكين بقالة تسمى « الاستهلاكية » ، أو بالسويدية « كونسوم » . وأرباح أسهمها محددة بما لا يزيد على ٥٠٪ تدفع للأعضاء بعد حجز احتياطى رأس مال كبير . ويقسم فائض الربح الباقى على الأعضاء والعملاء الآخرين بالنسبة لمشترياتهم .

ان مجرد وجود مثل هذه الدكاكين يبقى على أسعار التجزئة منخفضة بطبيعة الحال ، ولكن عندما عجز « الاتحاد » عن ارغام بعض تكتلات المنتجين على تخفيض مستويات أرباحهم فانه نجح في تخفيض أسعار الجملة ، أحيانا بمجرد التهديد بانشاء ، بل بأن أنشأ فعلا مصانع خاصة به ، وبذلك أرغم المنتجين على قبول الأسعار المنخفضة . وقد فعل الاتحاد هذا في حالة المسلى الصناعى ، والمصابيح الكهربائية والمصنوعات المطاطية والدقيق ، والسماد ، والآلات الحاسبة للنقود والآلات الزراعية . وبطبيعة الحال تحاول جمعيات الاستهلاكيين أن تشترى بأكثر صورة ممكنة من المؤسسات التى تشبهها وهى جمعيات المنتجين التعاونية .

وليس كل فرد ميالا الى الجمعيات التعاونية . فالمنتجون والوسطاء والتجار بوجه الخصوص لايهتمون بالمنافسة التى تخفض من أرباحهم . ولكن لما كان كل شخص مستهلكا وغالبا مايكون فى نفس الوقت منتجا كذلك فان رجال الأعمال الصغار يكسبون بمقدار ما يخسرون . أما بالنسبة لرجال الأعمال الكبار فان عليهم أن يعتمدوا على الكفاية (أى مستوى السلعة) فحسب اذا أرادوا أن يحققوا أرباحا كبيرة ، لا أن يعتمدوا على تكوين تكتلات فيما بينهم لتحديد الأسعار المرتفعة .

ومن الميادين الأخرى التى نجح فيها التعاون الى حد كبير دون أن يثير أى استياء ، ميدان البناء . والسويد مثل بلدان أخرى

كثيرة تعاني أزمة مساكن حادة وقد قامت الجمعيات التعاونية لبناء المساكن بالكثير للتخفيف منها ، ففي خلال الأعوام الأخيرة قامت ببناء ما يقرب من ١٣٪ من المباني السكنية الحديثة ، وعلى العضو أن يدفع مقدما ٥٪ من التكاليف المقدرة لشقته ويقسط الباقي مضافا اليه مبلغ بسيط ، للصيانة ، على عشرين سنة . ولما كانت جمعيات المباني التعاونية تأخذ قروضا منخفضة الفائدة من الحكومة ولا تحقق ربحا فانها تستطيع البناء بأسعار رخيصة . ومع ذلك فان الشقق مزودة بمعظم الأجهزة الحديثة ، مثل محارق النفايات ، والثلاجات وما الى ذلك . وتشتمل المباني على آلات للغسيل ودور حضانة للأطفال ومرافق أخرى ، وهي عادة تحيطها الحدائق الجميلة ملحقة بها ملاعب للأطفال .

والنقص الوحيد في هذه الشقق ، أنها صغيرة الحجم ؟ وذلك بسبب الرغبة في خفض المصروفات . ولابد للسويدي من بذل قدر غير عادي من البراعة - نسبة الى حجمه الكبير - حتى يستطيع التجول بسهولة في مثل هذه الشقق الصغيرة . وتكاد كل قطعة من الأثاث أن تطوى ، أو أنه يمكن وضعها داخل أو تحت قطعة أخرى أو أن ترفع بجوار الجدران في حالة عدم استخدامها .

ولما كانت معظم الآلات الحديثة تدار بالكهرباء ، فان على

السويديين أن يكونوا شاكرين لأن بلدهم يملك العديد من الأنهار والشلالات . فانها تمدهم بالقوة الكهربية الرخيصة مع أن الجزء الأكبر منها بطبيعة الحال تستهلكه الصناعة وخاصة صناعة التعدين ووسائل النقل؛ اذ أن أكثر من ٨٠٪ من السكك الحديدية تسير بالكهرباء . حقا ان السويد الحديثة تعتمد على أنهارها مثلما تعتمد مصر على النيل ، وبخاصة أنها تزودها لا بالقوة المحركة والاضاءة فحسب، بل كما رأينا فى نورلاند فانها تزودها بوسائل الافادة من المصدر الآخر لثروة السويد العظيمة وهى الغابات . وتدين صناعة الصلب السويدية بشهرتها العالمية الى الغابات بصورة غير مباشرة ، لأن أفضل أنواع الصلب تصنع بمساعدة الخشب فى شكل فحم نباتى . وتعتمد صناعة الصلب السويدية على النوع أكثر مما تعتمد على الكمية فى منافستها الناجحة مع بلدان غنية بالفحم . ولا يبارى السويديون فى ميدان صناعة المحاور ذات الكرات وأدوات القياس الدقيق التى تقيس أجزاء فى غاية الصغر من البوصة ، وأدوات خاصة من الصلب ذات صلابة شديدة تستخدم فى صناعة حفارات الصخور مثلا . ويصنعون بطبيعة الحال آلات أخرى كثيرة . ومن الآلات التى اشتهروا بصنعها الفراز (آلة فصل الزبد من اللبن) ، والثلاجة التى تعمل بالغاز ، وكلتاهما من اختراع السويديين .

ومما يلفت النظر أن صناعة حديثة مثل صناعة الصلب قد قامت

على حرفة لم تتغير منذ عصور ما قبل التاريخ • فالفحم النباتى ينتج فى أعماق الغابات بواسطة أفران صغيرة تحرق الخشب • فهم يبدأون بعمل كومة من الأخشاب يجب أن تصف الأخشاب فيها بعناية كبيرة وأن تكون هذه الأخشاب جافة • ثم تغطى الكومة بأغصان شجر « البيسيه » ، ثم بطبقة من الطين لتكوين (قمينة) أو فرن • ويستغرق هذا أسبوعا من العمل الشاق • ويحتاج اشعال النار بدرجة متساوية فى جميع أجزاء (القمينة) الى فن كبير ، كما أن الابقاء عليها مشتعلة لمدة ثلاثة أسابيع دون أن تنطفىء أمر لا يقل صعوبة ، اذ يجب مراقبتها ليلا ونهارا • وليس العمل شاقا فحسب ، بل انه فى غاية الخطورة ، لأن صانع الفحم عليه أن يتسلق فوق الكومة لكى يسد الشقوق التى تحدث باستمرار • واذا حدث من باب الاهمال أن وطئت قدمه حيث تكون القشرة ضعيفة فمن المحتمل أن يختفى فى الجمرات المتوهجة بالداخل •

والتحسين الوحيد الذى أدخلته التكنولوجيا الحديثة على هذه المهنة القديمة هو استخدام الأكواخ الجاهزة الصنع ، التى تحل تدريجا محل الواقيات من المطر المصنوعة من الأغصان والأوراق • والمؤكد أن التباين عظيم بين الفرن البدائى الذى يستخدمه صانع الفحم النباتى فى الغابات البعيدة عن العمران ، معتمدا على المهارة والخبرة المنحدرة من الآباء الى الأبناء خلال آلاف السنين ، وبين

معمل الكيموى المزدحم بالأدوات العلمية ومهندس الحديد والصلب من جهة أخرى .

ومن الصعب أن نقرر أيهما أكثر أهمية للسويد ، الصناعة التعدينية أم صناعة الخشب . فبالرغم من أن الأولى أعظم قيمة فان الثانية هى التى تجلب المال للبلد وذلك ببيع الخشب والورق وورق الصحف والحرير الصناعى . ويأتى ترتيب السويد الرابعة بين دول العالم المصدرة للخشب عام ١٩٥٨ والثالثة بين الدول المنتجة للب الخشب والأولى بين الدول المصدرة له . وتعتبر عملية السلفيت* والتى بها تحول أشجار « البيسية » الى مادة خام لصناعة الحرير الصناعى ، اختراعا سويديا . وتعتبر السويد المنتج الأساسى لهذه المادة فى العالم . ويعتبر الخشب كذلك مصدر المادة الخام التى يصنع منها الكحول المستخدم فى صناعة مشروب « الشناب » ، المقابل السويدى للويسكى .

وهناك مآخذ واحد على هذه الصناعة : اذ يندر أن يشاهد الانسان منظرا يبعث على الأسى أكثر من منظر تلك الأشجار الجميلة التى تقطع الى قطع صغيرة وتطبخ فى أوان هائلة الحجم

---

* عملية السلفيت هى عملية اذابة ألياف الخشب باستخدام بعض المواد الكيموية للافادة منها فى صناعة الحرير الصناعى . (المترجم)

تذكر المرء بجحيم دانتى بما يتصاعد منها من دخان وما لها من رائحة كريهة • ولحسن الحظ فان قطع الأخشاب منظم بدقة ؛ اذ ترجع بعض القوانين الخاصة بالغابات الى القرن السادس عشر • وتراعى الحكومة الآن أن تكون الكمية المقطوعة من الأخشاب أقل من النمو السنوى لها • وعندما يلزم الأمر يجب اعادة زراعة المساحات التى تقطع أشجارها كما يجب أن تزرع المستنقعات المجففة والبقع الجرداء من الأراضى •

ولكن قد تتساءل ، كيف يعرف المرء كمية الخشب التى تنمو كل سنة • ان الأمر بسيط ، اذ تعد احصاءات دورية للأشجار بدراسات تجرى على مساحات نمطية عرضها نحو ثلاثين قدما فى فترات منتظمة ، وفى هذه الدراسات يحصى عدد الأشجار وأنواعها ومقاييسها •

واذا حدا بك حب الاستطلاع الى معرفة عدد الأشجار فى السويد فاليك بعض الأرقام : هناك ١٠٫٣٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ شجرة قطر كل منها أكثر من بوصتين وطولها طول قامة الرجل ، و ٢٫١٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ يزيد قطر كل منها على أربع بوصات وهكذا • ويزيد النمو السنوى على ما يقطع من الأخشاب بمقدار ١٫٣٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ قدم مكعبة •

ويهتم السويديون اهتماما خاصا بغاباتهم، لأنهم يعلمون أن أي تخفيض في مساحتها لا يحرمهم من مادة خام حيوية فحسب، بل يؤثر في المناخ ، وقد يجفف الأنهار التي تمدهم بالقوة الكهربية والتي تنقل الكتل الخشبية الى معامل نشر الخشب ، فالأنهار تجعل من الممكن نقل الخشب بتكاليف تبلغ ⅐ تكاليف نقله بواسطة السكة الحديد ، ونظرا الى أن الخشب سلعة كبيرة الحجم والوزن ، فانها تفقد أهميتها كمادة أولية ما لم يتوافر لها النقل الرخيص ، ومن حسن الحظ كذلك أن الأنهار ، وخاصة التي في الشمال ، تنحدر في الاتجاه المطلوب وتقع على أبعاد مناسبة بعضها من بعض لتحمل الخشب من الجبال الى البحر . ويساعد المناخ صناعة الخشب، لأن المناخ البارد ينتج أشجارا دائمة الخضرة ومن نوع أفضل ، وأفضل طريقة لنقل الكتل الخشبية هي جرها بواسطة الجياد فوق الجليد .

وتعتبر الخطوط الجوية السويدية من الدرجة الأولى . حقا ان مطار ستوكهولم الجديد ـ مطار ايرلندا ـ الذي يشغل مساحة ٦ر٢٥٠ فدانا انجليزيا والذي افتتح عام ١٩٦٠ ـ كان أول مطار في أوربا صمم خصيصا ليكون على مستوى عصر النفاثات .

وقد نجح السويديون أيضا في بناء أسطول تجاري كبير ، ربما كان في الوقت الحاضر أحدث أسطول في العالم ويدر دخلا

من العملة الأجنبية أكثر حتى من صادرات الحديد الخام ، فالسفينة التجارية السويدية المتوسطة وهى عادة تطلى باللون الأبيض ، وتعمل بالديزل ، تبدو أكثر شبها بيخت كبير منها بسفينة شحن تقليدية تهدر تحت سحب من الدخان الأسود ، وليس أجمل من عبور المحيط فوق احداها ، وبخاصة أنها لا تحمل مطلقا أكثر من اثنى عشر مسافرا •

وبالرغم من أن السويديين استطاعوا أن يتفرغوا لنشاطهم الاقتصادى العادى ، فى الوقت الذى كانت فيه دول أخرى تشاهد ثمرات انتاجها تتحطم فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، فقد كان للسويد أيضا مشكلات ما بعد الحرب ؛ اذ أصبح كثير من أحسن عملاء السويد من الفقر بحيث لا يستطيعون الدفع الا بعملات سهلة ، فى حين أن مورديها الرئيسيين كانوا يشترطون أن تدفع السويد بالدولار الصعب • والبعض الآخر مثل روسيا تقدموا ببعض الطلبات ولكن على أن يدفعوا بالأجل • ومع ذلك فسرعان ما قضى على مشكلات ما بعد الحرب ، وأسهم الاقتصاد السويدى فى رخاء قارة أوربا الاقتصادى الذى أذكاه مشروع مارشال • ومشكلة السويد الرئيسية هى فى التوفيق بين حيادها والفائدة التى تعود عليها بالانضمام الى عضوية « السوق المشتركة » التى كونتها أصلا ست دول أوربية على رأسها فرنسا وألمانيا الغربية •

ومن الصعوبة بمكان المقارنة بين مستويات المعيشة . فالدخل النقدى ليس هو المقياس الوحيد لأن الأسعار تختلف . ففى أمريكا مثلا ، تكون السلع التى تنتج بالجملة أرخص عادة من مثيلاتها فى أوربا وآسيا ، فى حين أن تلك التى تنتج بالعمل اليدوى أكثر كلفة . وفى أمريكا ، اذا ما بلى شىء أو كف عن العمل فانه يستغنى عنه عادة لأن اصلاحه يكلف أكثر من شراء وحدة جديدة . أما فى أوربا وآسيا فيمكن اصلاحه بطريقة رخيصة ؛ وبالتالى يمكن استخدامه مدة أطول .

وتختلف الأذواق والمودات كذلك . فلو أن أحد اللاب منح حق الاختيار فانه سيختار أحد حيوانات الرنة الحسنة . أما العربى فسيختار الخيول الجميلة . أما الأمريكى فسيختار أحدث السيارات ، والسويدى فان اختياره يقع على قارب . ويمكن القول بوجه العموم ان السويدى المتوسط الحال يعيش حياة تماثل من حيث الراحة حياة الأمريكى . فاذا نظرت الى التليفونات مثلا ستجد أن نسبة عددها لكل مائة من السكان واحدة تقريبا فى البلدين . وفيما يتعلق بالراديو فان السويد هى الدولة الثانية فى العالم ، اذ يوجد راديو لكل ثلاثة من السكان . ويزيد عدد أجهزة التليفزيون المرخصة على المليون ، أى بنسبة جهاز لكل سبعة من السكان ويزداد عددها بسرعة . وفيما يتعلق بالسيارات فان ترتيب السويد يأتى متأخرا ، فالسيارات والبنزين غالية الثمن

ولكن السويديين يفضلون القوارب والدراجات والأكواخ الصيفية .

واذا أردت أن تعرف كيف يعيش السويديون فان الطريقة الوحيدة المرضية هى أن تقضى بعض الوقت مع أسرة سويدية . وربما تستطيع الاقامة مع صديق سويدى اذا سعدك الحظ لأن تتخذ من أحد السويديين صديقا لك . ولكن ليس من السهولة بمكان أن تعقد الصداقات مع السويديين . فانهم حقيقة مؤدبون، وودودون للغاية ولكنك تستغرق وقتا طويلا لتجتاز مرحلة التعارف الى مرحلة الصداقة . ومن المحتمل أن يكون السبب أنهم بالطبيعة خجولون ومتحفظون ـ أكثر بكثير من سكان اسكنديناوة الآخرين ـ ويستغرق الانسان وقتا طويلا لكى يزيل تلك الحواجز التى تعوق الصداقة معهم .. ومع ذلك بمجرد نجاحك فى ازالة الشعور بالتحفظ فانك لن تحصل على صديق أصدق من السويدى . واذا لم تكن من بين المحظوظين فانك ستحصل على فكرة واضحة بعض الشىء عن الحياة اليومية فى السويد من مذكرات الشاب اريك سوانسون من مينيا بوليس عندما كان فى زيارة ابن عم والده فى ستوكهولم . وكانت الرحلة مكافأة له لتخرجه فى الكلية بدرجات مشرفة للغاية .

واليك بعض المقتطفات :

ستوكهولم ، ١٥ أغسطس

وصلت مبكرا هذا الصباح بعد رحلة مريحة خالية من الأحداث. وكنت على وشك أن تدهسنى جماعة من راكبى الدراجات فى ميدان المحطة عندما كنت متوجها الى تاكسى مع عمى يوهان وابن عمى سفين اللذين كانا قد حضرا للقائى . وكنت بطبيعة الحال أبحث عن السيارات . ولكن لا يوجد الكثير منها فى أوربا . ولم نستغرق أكثر من عشرين دقيقة للوصول الى شقة عائلة اريكسون مع أنهم يعيشون فى أطراف المدينة فى أحد الأبنية السكنية الحديثة المقامة على الصخور العالية المطلة على بحيرة ميلارن ، مع أنه يجب أن أقول ان طرازها لا يتمشى مع المناظر الطبيعية كما أنها لا تبدو شاعرية المنظر على الاطلاق .

وكان باقى أفراد الأسرة هناك للقاء ابن عمهم الأمريكى وللترحيب به فى السويد . وهم جميعا يشبهون صورهم الفوتوغرافية أى انهم سويديون لهم الملامح السويدية المميزة ، فيما عدا كارل الصغير ذا الشعر الداكن والعيون البنية . وهو متوسط القامة ، كما أن العمة بريجيتا ليست شقراء مثل زوجها. أما انجريد فجميلة ومرحة ولكنى لم أعرفها جيدا لأنه كان عليها أن تسرع الى المستشفى حيث تعمل ممرضة . وأنا أشغل الآن حجرتها لأنها سترحل لبضعة أيام فى رحلة على الدراجات فى « سكونه » وفى الوقت الحاضر تقيم مع احدى صديقاتها .

وتعتبر الشقة متسعة بالنسبة لمبنى حديث فى السويد • فهناك زيادة على المدخل الصغير يوجد الحمام ، والمطبخ المتسع ، وحجرة نوم انجريد الصغيرة ، وحجرة نوم أكثر اتساعا للوالدين وحجرة معيشة متسعة نوعا حيث ينام الولدان على أريكتين تستعملان لأغراض مختلفة • ولم يكن العم يوهان يتفاخر عندما أخبرنا فى العام الماضى أننا نحن الأمريكيين لا نتفوق على السويديين فيما يتعلق بالأجهزة الحديثة والأجهزة التى توفر الجهد • وأخبرتنى العمة بريجيتا أنهم حتى عامين مضيا كانوا يشغلون دورا بأكمله يحتوى على أربع حجرات نوم فى منزل قديم يقع فى وسط المدينة في مقابل نفس الايجار وهو ستون دولار شهريا • والحقيقة أنه كان أكثر تكلفة لأنه كان يتطلب الكثير من عمليات التنظيف مما كان يضطرهم لاستخدام خادمة • ويبدو أجر الخادمة بالنسبة لى مضحكا ، فهو ٣٥ دولارا شهريا مع الاقامة والسكن ، فى حين يظن السويديون أنه أجر مرتفع • وزيادة على ذلك فانه ممنوع قانونا فى السويد استخدام أحد للمساعدة فى شئون المنزل بعد السابعة مساء ولذلك كن على الأسرة أن تتناول طعام العشاء الساعة الخامسة والنصف وهو ميعاد غير ملائم •

وبدأت أسرة اركسون تشعر بأنهم يختنقون وان الفطريات قد أخذت تغطيهم فى المنزل القديم فلم يقاوموا اغراء الانتقال الى

هـذا المبنى الجـديد بنوافذه الواسعة المشمسة وبمناظر المياه والغابات الجميلة التى يطل عليها • ولو لم أكن أعرف أنى فعلا فى مدينة ستوكهولم • وكنت أطل عليها من احدى النـوافذ ، كنت سأظن أنى فى أحد المصايف الجبلية فى (جبال) اديروندداك فهناك عديد من أشـجار « البيسية » القديمة النامية على هـذه السفوح والصخور التى يقوم عليها هذا المبنى وأشباهه ، وهناك درج يؤدى الى حفة الماء حيث يستطيع المرء أن يحصل عـلى حمام شمس على صخور ناعمة ضخمة • وهناك بطبيعة الحال محل لاسـتئجار القوارب حيث يستطيع المستأجرون الحصـول عـلى زوارق صغيرة أو قوارب شراعية • ويملك سفين زورقا ولكن العم يوهان يملك قاربا شراعيا كبير الحجم بعض الشىء يرسـو عند سالتسيجوبادن وهى مصيف حديث على شاطىء البحر يبعد نصف ساعة عن ستوكهولم • وهو يقول ان من الأفضل أن يبقى القارب هناك لأنك توفر وقتا كثيرا اذا أردت الخروج الى البحر للقيام برحلة بحرية طويلة • كما أنه ليس بعيدا عن المعسـكر الصيفى •

ومن الواضح أن آل اركسون أثرياء وليس هذا بالأمر الذى يدعو للدهشة ، لأن العم يوهان يتقاضى ، زيادة على مرتبه ، مبلغا لا بأس به من المال كل عام فى مقابل تحقيق نشر فى الخارج لكتب التاريخ التى قام هو بنشرها ، ويبدو بالنسبة لتعدد السكان

أن أربعة أو خمسة أمثل عدد النسخ من الكتب الجادة التى تباع فى بلدنا تباع فى السويد • وتحصل العمة بريجيتا على دخل صغير أيضا من دكان للهدايا تديره مع صديقة لها • ويبدو أنها سيدة أعمال ماهرة علاوة على ذوقها الفنى ، وأنها طباخة ماهرة مما أثبته العشاء •

لقد تأثرت سريعا بالمظهر البهيج الذى يوحى به داخل مسكن آل اركسون الذى بدا وكأنه احدى الصور التى يراها المرء فى مجلاتنا • فحجرة المعيشة حديثة ، والأثاث بسيط مصنوع من الخشب الفاتح اللون • وتصطبغ مواد التنجيد والمواد الأخرى فى الأثاث بألوان مختلفة من الطلاء باستثناء كرسيين ذوى مساند وبعض السجاجيد المنسوجة ذات الأشكال الهندسية الزاهية الألوان • وقالت العمة بريجيتا ان هذه السجاجيد قد صنعها يدويا بعض الفلاحين السويديين طبقا لنماذج قديمة• وأشارت الى أنه من الغرابة بمكان أن تكون ألوانها ورسومها مشابهة لتلك التى توجد فى جنوب شرق أوربا ، فمن المحتمل أن يكون أصلها المشترك بيزنطيا أتى بها القوط الى السويد أيام الفايكينج ، وبنهاية القرن التاسع عشر كادت الصناعات اليدوية الوطنية تنقرض ولكن تكونت جمعية لاحيائها ، وازدهرت بالفعل مرة أخرى بمساعدة الحكومة• حتى ان سلالة من أغنام داليكاريا أنقذت فى الوقت المناسب من الانقراض لأنه وجد أن صوفها أكثر ملاءمة للأصباغ النباتية القديمة •

وعندما لاحظت العمة بريجيتا أننى كنت أتأمل اناء أزهار زجاجيا جميلا على مائدة القهوة أضافت قائلة : « نعم انها جميلة أيضا ولكنها ليست من انتاج الصناعات اليدوية التى كنت أتحدث عنها . فالأشياء التى تتأملها الآن ليست مصنوعة بصفة فردية باليد، ولكنها منتجة تجاريا بكميات كبيرة ، أو فى مجموعها على الأقل، ولهذا فانها أقل سعرا . ففى كل انتاج صناعى سويدى تقريبا ، فيما عدا العمارة والآلات ، ستجد جهدا واعيا لانتاج شىء جميل وأصيل ؟ وبمعنى آخر فان أرباب الصناعة السويديين الذين ينتجون سلعا للاستخدام اليومى يعملون على ألا تقتصر السلع على الجانب العملى منها ، بل أن تكون أيضا جذابة بقدر الامكان.

ومع أن الحركة التى بدأتها « الجمعية السويدية للفنون والصناعات اليدوية » يبلغ عمرها نحو أربعين سنة ، الا أنها حققت نجاحا مذهلا . وتساءل مؤسسو الحركة : اذا كان أسلافنا قد استطاعوا صناعة أكواب زجاجية ، وأطقما للطعام ، ومقابض للأبواب وسجاجيد ومصابيح وأثاث وأشياء مشابهة جميلة ، باليد، فلماذا لانستطيع ـ نحن المحدثين ـ أن نفعل المثل بآلاتنا ؟ وكانت النتيجة أن جمعوا بين الفنانين والمنتجين ونجحوا أخيرا فى أن يقنعوا الفنانين بأن يكونوا عمليين أكثر من ذى قبل ، والمنتجين بأن يعترفوا بقيمة التصميم الجميل . وقامت الجمعية بحملة تعليمية واسعة النطاق بين الجمهور وبفضل جهودهم المشتركة

آمن الجمهور تدريجا بذوقهم الجمالى . وفى الوقت الحاضر يزداد الطلب من الخارج أيضا على ما تنتجه السويد من أثاث وزجاج وخزف وسلع معدنية .

وللانتهاء من وصف الشقة يجب أن أضيف أن حجرة النوم مؤثثة بطريقة مختلفة تماما . فقد كان معظم قطع الأثاث أثريا ، من ميراث الأسرة القديم ، الذى بدا جميلا لانعكاسه على الحوائط والسجاجيد العاجية اللون . وعندما علقت على تلميع الخشب ولمعان النحاس أجابت العمة بريجيتا بسرعة قائلة : « اننا هنا فى السويد نحتفظ بكل شىء نظيفا مرتبا وفى أحسن حال من حالاته . فحتى خرائبنا فى حالة جيدة » . ولم يكن لدى دافع للشك فى هذه الحقيقة ، اذ لم أر أى شىء رثا ، أو خربا ، أو مهملا .

ستوكهولم ، فى ٢٠ أغسطس .

منذ أيام سألت العم يوهان ، الذى يعرف بلدنا معرفة جيدة ، عن رأيه فى مستوى المعيشة الأمريكى بمقارنته بمستوى المعيشة السويدى . ولما كان حذرا ككل رجال العلم الأصلاء ، فقد رفض أن يجيبنى اجابة مباشرة . ثم قال : « ولكنك تستطيع أنت أن تقارن الطريقة التى نعيش بها بالطريقة التى يعيش بها أساتذة جامعة مينسوتا » ووافقنى عندما قلت « انه على العموم ومع عمل حساب الفروق فى الذوق ، فانهم يعيشون فى نفس المستوى

الطيب تقريبا » • ولكنه عاد يقول : « أود أن أشير الى أن مدى الأعمار يكاد يكون واحدا فى البلدين ، حوالى ٦٥ سنة • وأود كذلك أن أذكرك أن نسبة الدخل التى تصرفها الأسرة المتوسطة على الطعام تعتبر عادة مقياسا يمكن الاعتماد عليه لتقرير مستوى الأمة المعيشى ، وهذا الرقم كذلك يكاد يكون واحدا هنا وفى أمريكا ، انه حوالى ٣٥٪ • على حين كان على أجدادنا أن يصرفوا نحو ٦٠٪ • »

وأجبت محاولا أن أبدو مدركا للحقائق : « ربما تفسير ذلك بساطة أن أجدادنا اعتادوا أن يأكلوا أكثر » • وضحك عمى قائلا : « ليس هذا محتملا • انما المحتمل انهم اعتادوا أن يكونوا مسرفين فى الطعام والشراب • فعندما كان يجود المحصول كانوا يأكلون ، وعندما كان يخيب المحصول كانوا يموتون جوعا ، لأنه لم يكن ممكنا سوى استيراد القليل من القارات الأخرى ذات المناخ المختلف • وفى الولائم كانوا يستهلكون ضعفى أو ثلاثة أضعاف ما اعتادوا أن يستهلكوه عادة » •

بعد فترة من الصمت أضاف قائلا : « وهذا يثير مشكلة تبين صعوبة المقارنة بين مستويات المعيشة • لأن الأكل بالنسبة لنا ــ نحن السويديين ــ ليس فقط ضرورة بل من المحتمل أن يكون أكبر لذة من لذاتنا ولا أقصد بطبيعة الحال مجرد ازدياد الطعام لتسكين الجوع ، بل أقصد الاستمتاع فى راحة من الوقت بأطباق شهية

وزجاجة من النبيذ الجيد على منضدة جذابة ، مع مراعاة الأساليب التقليدية وتوافر الوقت لتبادل الحديث •

« ان عدد ونوع مطاعمنا سيجعلك تعرف الى أى حد نقدر فن الطهى • ولابد أنك لاحظت أنها تمتلىء بالناس فى الأمسيات كما فى الظهيرة ، مما يريك أن العملاء ليسوا أساسا موظفين لا يملكون وقتا للذهاب لتناول الغداء فى منازلهم • ونحن السويديين نحب تناول العشاء خارج منازلنا لأوهى الأسباب ، ربما لأن الزوجة كانت مشغولة لم تعد وجبة طيبة كما تتوقع الأسرة ، وأنا أعترف أننا فى الصيف نفعل ذلك أيضا لأننا نستمتع فى جميع المطاعم بالغذاء فى الهواء الطلق • وانى أتخيل أن أصحاب المطاعم وضعوا الكراسى والمناضد على الأرصفة أمام حجرات الطعام كما فى فرنسا وبعض البلدان الدافئة الأخرى مع وجود مظلات فى حالة سقوط المطر • ولكن لما كان المطر كثيرا والأمسيات باردة وجدوا أنه من الأفضل فى الصيف أن تقام أسقف خشبية خفيفة وحوائط جانبية بها نوافذ متسعة والنتيجة هى ببساطة انشاء حجرة طعام أخرى ، ولكنها توهمنا أننا نتناول الغذاء خارج منازلنا •

« وأنا أسلم بأن تناول الغذاء خارج المنزل من الكماليات المكلفة — فى أى بلد • ونحن السويديين لسنا مقتصدين مثل

الاسكتلنديين والفرنسيين والألمان • ونحن نشبهكم معشر الأمريكيين بهذا الخصوص أيضا • فعندما نملك نقودا نصرفها».
ثم أضاف مبتسما : « أشعر أنه يجب أن نأخذك لتناول العشاء في أحد المطاعم • وسوف يتيح لك هذا فرصة جيدة لمشاهدة جمع من السويديين • فاذا أردت أن تعرف شيئا عن شعب ما يجب أن تشاهد سلوكه في المحلات العامة كما في المنازل • ».

وهكذا ذهبنا هذه الليلة للعشاء في أحد مطاعم ستوكهولم الكبيرة • ودهشت للهدوء النسبي • وقد يرجع هذا الهدوء جزئيا الى الطابع الخاص الذي للأصوات السويدية أو ربما للغة نفسها• ومهما يكن من أمر فان النتيجة نوع من الموسيقى الجميلة بدلا من الصوت الجهير أو الرنان الذي يتوقع المرء أن يسمعه من رجال ونساء أقوياء البنية مثل السويديين • وبدلا من هذا تنطق اللغة السويدية بنبرة عالية مما جعل الأمر صعبا بالنسبة لى أن أنطقها نطقا سليما • وأكثر صعوبة أن أفهمها • وزيادة على ذلك فانهم لا ينطقون كثيرا من حروف الحركة كما يتوقع المرء • ولاحظت أمرا آخر وخاصة عند بدء الرقص بعد قليل ، فقد كان اليوم هو « ليلة المهرجان » الأسبوعي في المطعم حيث لا يميل السويديون الى الاستعجال أو التدافع أو الاضطراب ، سواء في الكلمات أو الأفعال » •

وقال العم يوهان عندما أبديت ملاحظة عن هذه الظاهرة :

« حسنا ، أولا نحن السويديين هادئو الطبع ومتحفظون بالطبيعة، واذا شذ أحدنا عن هذه القاعدة ، فان النظام الأخلاقى السويدى سيقوم تصرفه بشدة • ولقد عبرت لى عن اعجابك بأخلاقنا ومجاملاتنا منذ بضعة أيام وأشرت الى موظفى الجمارك ورجال شرطة المرور • ولما كنت تعلم أن السويد مشهورة بأنها ديمقراطية متقدمة للغاية ، فقد جئت مستعدا للتجاوز عن السلوك السيىء أو حتى الفظاظة ، لأن من سوء الحظ أن الديمقراطية فى أذهان كثير من الناس تقترن بالسلوك السيىء • ولكننا نحن السويديين نطبق ديمقراطية قديمة ونعلم أننا يجب أن نتطلع الى ما هو أحسن لا الى ما هو أسوأ • فالشبان وبسطاء الناس يحاولون اثبات أنهم أنداد لكبار السن وللطبقات العليا بأن يحسنوا التصرف مثلهم • ولعلك تلاحظ أنى لم أتجنب كلمة الطبقات العليا • فنحن نعرف أن وجود الطبقات المختلفة فى المجتمع أمر لا محيص عنه، ونحن قانعون بهذا مادام كل شخص لديه فرصة لأن يرقى من طبقة الى أخرى • كما أننا لا نتوقع أن ننجح فى ليلة واحدة ».

« ولكى أكون أمينا يجب أن أعترف بأن السلوك الطيب لدى جمهور مثل الذى يحيط بنا الليلة يرجع لا الى مسز بوست السويدية بل الى المستر ايفار برات كذلك وهو الذى ابتدع نظام مراقبة المشروبات الصادر عام ١٩١٧ ، والذى أصبح مشهورا للغاية • فمن حق الحكومة وحدها تقطير المشروبات القوية ،

وبيع أى نوع من المشروبات الكحولية . ولا يوجد قيد على استهلاك الأنبذة أو الجعة ، أما المشروبات القوية فيخضع استهلاكها لقيود ولا يستطيع أى شخص أن يحصل منها على أكثر مما يعادل ٤ لترات تقريبا للاستهلاك المنزلى شهريا . ولكن لا تصرف هذه الكمية الا للشخص الذى يتطلب مركزه الاجتماعى ذلك . وأضاف العم يوهان وهو يغمز بعينه : « وآمل ألا تكون قد ظننت أنى شحيح عندما طلبت ، زيادة على النبيذ ، كأسا واحدة من « البرانفين » وأخرى من « الليكور » وثالثة من الويسكى والصودا لكل منا طيلة هذه السهرة . فالقانون لا يسمح بأكثر من أربع أوقيات للزبون الواحد بشرط أن يطلب وجبة غذائية معها » .

٢٣ أغسطس

أخذتنى انجريد اليوم لأرى المستشفى الجنوبى الهائل الذى تعمل به . وأنا أعلم أن السويديين فخورون بمستشفياتهم وأظن الآن أنهم على صواب ، مع أن الحقيقة أن كل المستشفيات ليست فى روعة وحداثة هذا المستشفى الذى بنته مدينة ستوكهولم حديثا .

وأخبرتنى انجريد أنه لدى السويديين عدد من الأسرة بالنسبة لعدد الأفراد أكثر مما لدينا نحن الأمريكيين ولكن لديهم عددا

أقل من الأطباء • ومن جهة أخرى ليس لدى أى دولة عدد مماثل لعدد المرضـات الذى لدى السويد ، مما يجعل الكفتين متساويتين • ومن المشكلات التى تقف فى طريق الزيادة المرغوبة فى الخدمات فى المستشفيات صعوبة ايجاد الناس الراغبين فى القيام بالأعمـال اليدوية ، مثل النظافة وما اليها ، وهى أعمال لا غنى عنها •

ويوجد لدى السويد نظام التأمين الصحى الاجبارى منذ عام ١٩٥٥ • والخدمة فى المستشفيات مجانية ، ويسـترد المريض نسبة كبيرة من تكاليف علاجه وفقا لمعدلات مقررة سواء على فواتير الأطباء أو الدواء ، لأن كل شخص حر فى اختيار الطبيب الذى يعالجه ، والطبيب بدوره حر فى تحديد أتعابه مهما بلغ رقمها • ويحصل المرضى على مبلغ نقدى قدره ستون سنتا فى اليوم فى مقابل قسط سنوى قدره سبعة دولارات ونصف دولار • وفى مقابل قسط سنوى اضافى يحصل الشخص على فائدة أكبـر • ففى سـتوكهولم القسـط السـنوى لتأمين العلاج الطبى ثمانية دولارات ونصف دولار ، وهذا يغطى نصف التكاليف ، ويسهم فى النصف الآخر الدولة وأصحاب الأعمال •

وفى أثناء العشـاء أخبرنى العـم يوهـان بالمزيد عن « دولة الرفاهية » السويدية • ففى السابعة والستين من العمر يحصل

المرء على معاش شيخوخة متواضع هو ٨٧٠ دولارا سنويا للزوجين . وبالاضافة الى ذلك فابتداء من عام ١٩٦٣ وفى ظل نظام للتأمين سيحصل على معاش تقاعد اذا أضيف الى المعاش الذى ورد ذكره ، فان دخل الفرد سيصل الى نحو ٦٥٪ مما كان يحصل عليه فى أحسن خمس عشرة سنة من عمله . ولدى السويديين أيضا تأمين ضد البطالة ، وللعمال تأمين ضد الحوادث، ويستطيع المتزوجان حديثا أن يحصلا على قروض حكومية ذات فائدة بسيطة ليبدءا حياتهما المنزلية . أما المحتاجون فيحصلون على معونة نقدية أو عينية . ولكنى أعجبت أكثر من ذلك بالمعونة التى تقدم للأطفال والتى هى باختصار تحميل المجتمع نفقات تربيتهم . فأول كل شىء تمنح كل أسرة سويدية نحو ٧٥ دولارا فى السنة عن كل طفل أقل من ١٦ سنة . وفى حالات خاصة ، عندما تكون الأم بمفردها ، فانها تحصل على ضعف هذا المبلغ . ويحصل المواطنون الأقل دخلا على تخفيضات ملموسة فى الايجار وفقا لعدد الأطفال كما يمنحون تخفيضات على الملبوسات والأحذية والوقود ، كما تنظم رحلات مجانية فى العطلات للأمهات والأطفال . يضاف الى ما تقدم أنه فى حالة مولد طفل فان الأسرة تحصل على معونة نقدية وعينية ، وعناية طبية مجانية ومعاونة فى الخدمة المنزلية . وكذلك تقوم الحكومة بدفع ثمن وجبات الغذاء فى المدارس وثمن الكتب المدرسية .

وانى لا أعرف ان كانت هناك حكومات أخرى أخذت على عاتقها مثل هذه الواجبات ، مع أن الحكومة فى مثل هذه البلدان تملك جميع وسائل الانتاج .

٢٥ أغسطس

تلقينا الليلة الماضية ، عمى وزوجة عمى وأنجريد وأنا الدعوة الى العشاء من بعض أصدقائهم القدامى . ودعى كارل كذلك على ألا يجلس الى المائدة ، انما كان عليه أن يساعد فى تقديم الطعام مع ولدى مضيفنا فى مقابل أن يدفع لهم الأجور التى قررها اتحاد خدم المطاعم . وقيل ان مضيفنا السيد لندكويست رجل مشهور لأنه محام والمحامون قلة جدا فى السويد ، والسبب فى ذلك بسيط وهو أن السويديين يبذلون جهودهم فى صياغة قوانينهم بوضوح لدرجة أن معظم الناس يفهمونها وتصبح الخلافات على تفسيرها قليلة . فضلا عن ذلك فانهم يحترمون القوانين جدا ، ولذلك فهناك عدد قليل من القضايا .

ويعيش آل لندكويست فى منزل حجرى قديم يكاد يقع فى الريف . ومع أن عمره لا يقل عن ثلاثمائة سنة الا أنه يبدو كما لو كان جديدا . ومع أنى لم أشاهد منزلا سويديا بدون حديقة أو حجرة ليست مليئة بالأزهار ، فقد أسرنى جمال حديقة لندكويست ربما لأن الأزهار بدت حية فى تدقضها مع أشجار

البيسيه القائمة على جانب والماء على الجانب الآخر ، لأن المنزل بالطبع يقع على بحيرة ـ أو ربما كانت ذراعا من البحر أو نهرا ـ لا أدرى •

ولم أكد أصدق ما قيل لى من أن هنك عددا كبيرا من المنازل المشابهة فى المنطقة المجاورة ، لأن أجزاء من الغابات تفصل تماما بين احداها والأخرى وقد تركت هذه الأجزاء من الغابة عمدا لتقوم بهذه المهمة • حقا ان السويديين حريصون على ابقاء خصوصياتهم لأنفسهم •

وبمجرد أن وصل الضيوف جميعا ، وكان كل منهم قد تعرف الى الآخر أو قدم نفسه اليه بانحناءة سريعة ، قادونا الى مائدة الوجبة السريعة أو ما يسمونه بالسويدية (سموفجوسبرود) ، وهى عادة سويدية مشهورة ولكنها موجودة ، كما سمع ، فى روسيا أيضا حيث تعرف باسم « زاكوسكا » • وهى تعنى مائدة الخبز والزبد ، ولكن توجد عليها عشرات من ألوان الطعام الخفيفة الساخن منها والبارد • واذا شاهد أمريكى هذه المائدة فانه لن يتعرف معظم أنواع الخبز بسهولة ؛ فقد كان بعضه من نوع « كنوكبرود » ؛ وهو نوع من الخبز الذى يشبه الرقاق ، وهو على العكس تماما من الخبز الطرى الذى ألفناه •

ويتناول المرء الوجبات الخفيفة واقفا مع الآخرين وكل واحد

يقوم على خدمة نفسه وهو يرشف فى كأسه الصغيرة من « الشنابى » و « الاكوافيت » ـ أى ماء الحياة ـ الذى يحل محل الكوكتيل • وقد أعجبتنى هذه العادة الاجتماعية ، فإنها تساعد المرء على التعرف الى الآخرين قبل أن يجلسوا الى مائدة الوجبة الأساسية • ولا يترك شىء للمصادفة فى الجلوس الى مائدة العشاء السويدية ، اذ يجب أن يجلس كل فرد حسب مرتبته • ولتسهيل الأمر تنشر الحكومة نفسها كتيبا تستطيع أن تعرف منه المكان المناسب لأى موظف حكومى أو لأى شخص حصل على مرتبة شرفية بارزة •

وأتيحت لى الفرصة فى أثناء العشاء لمراقبة العادة الاجتماعية الاسكندنافية المسماة « سكول » أو شرب النخب • ولا يشرب أحد شيئا حتى انتظر مضيفنا اشارة من عمى ـ الذى كان ضيف الشرف والذى جلس الى يسار المضيفة ، وهذا يتمشى مع منطق السويديين الذين يلتزمون بيسار الطريق ـ ثم رفع كأسه محييا ثم رشف بضع رشفات ، ثم خفض الكأس حتى حاذت الزرار الثانى من صديريته ـ وارتفاع الكأس يتناسب مع مكانة الضيف المكرم ـ ثم انحنى ونطق بكلمة « سكول » • وأخيرا نظر برهة فى عينى العم يوهان ثم وضع كأسه • وفى أثناء ذلك كان العم يوهان قد كرر نفس الحركات • وقد أخبرنى جارى أن الاحتفال كثيرا ما يزدان بكلمة ترحيب قصيرة ، وعند نهاية العشاء بكلمة شكر من ضيف الشرف •

وكلمة سكول بالسويدية تعنى الوعاء كما تعنى محتوياته . وعندما ينادى المرء « سكول » فانه يعنى : دعنا نرفع كئوسنا ونشرب محتوياتها .

وعندما نهضنا من المائدة ذهب كل ضيف الى المضيفة وشكرها « على الطعام » وذلك بأن يقبل الرجال يدها . أما السيدات الصغيرات السن فيعبرن عن شكرهن لها بانحناءة احترام خفيفة . ويبدو أن هذا لا يعتبر نهاية للموضوع بأية حال من الأحوال ، بل ان الضيف ينتظر منه أيضا أن يكتب الى مضيفه أو يحادثه بالتليفون فى صبيحة اليوم التالى ، وأن يقول له عند مقابلته التالية له ــ ربما بعد بضعة أسابيع ــ ما معناه : « شكرا على المناسبة الأخيرة » .

وكلمة « تاك » أى « شكرا » هى بلاشك أكثر الكلمات استخداما فى السويد . انها ليست فقط « شكرا » ، بل قد تكون « شكرا على شكرك » .

وبعد العشاء وصل عدد آخر من الشباب ، ورقصنا جميعا على أنغام من الجرامفون حتى كبار السن . ورقصنا كما نرقص فى أمريكا بالاضافة الى بعض رقصات الفالس والبولكا والرقصات الشعبية السويدية التى لم ألمع فى أدائها .

وكانت أمسية ممتعة اندمجت فيها مع السويديين بنجاح . ووجدت أن التحدث - حتى الى الأطفال منهم - سهل ومسل . ولم يظهر الملل على أحد عندما سألت أسئلة عن موضوعات جافة بعض الشىء تهمنى أنا شخصيا . وقد أحسست أن معظمهم قد تلقى قسطا كبيرا من التعليم يستغرق استيعابه عدة سنوات . وهذا يجعلهم يبدأون حياتهم ويتزوجون متأخرين بعض الشىء ، كما أنه يرفع من نفقات التعليم . ولكن سفن أخبرنى أن الشبان النابهين يستطيعون اقتراض المال اللازم لانهاء دراستهم ، اذا لم تكف المنح الدراسية ، ثم يردون القرض على سنوات بمجرد بدئهم كسب عيشهم . وقد حصل هو نفسه على قرض ليحصل على درجة الدكتوراه من جامعة أوبسالا لأنه لا يريد أن يكون عبئا على والديه .

وكنت أخشى أن يكون السويديون بأخلاقهم الطيبة جامدين ويثيرون فى النفس الملل . ولكنى وجدت أن الأخلاق لا دخل لها بالميل الى المرح .

ستوكهولم ، ٢ سبتمبر

لقد عدنا توا من عطلة نهاية الأسبوع التى قضيناها فى الكوخ الصيفى لآن اركسون . وتبين لى أن امتلاك واحد منها ليس من الكماليات التى تكلف المرء نفقات باهظة . ويشترى معظم

الناس هذه الأكواخ جاهزة الصنع • وتستطيع أن تحصل على كوخ بسيط ابتداء من ٢٥٠ دولارا • ولكى تخفض التكاليف يجب أن تقوم بقدر كبير من العمل بنفسك أو بمساعدة أصدقائك ، ويبدو أن السويديين ماهرون فى الأعمال اليدوية ، وبخاصة ما يتعلق منها بالأخشاب • وبدفع قسط أول بسيط يستطيع السويديون الفقراء امتلاك كوخ صيفى صغير وحديقة أزهار وخضراوات فى المساحات المقسمة والمخصصة لهذا الغرض بواسطة البلديات على حدود كل المدن الكبيرة • وتزود هذه المناطق بالطرق والمجارى والاضاءة مجانا •

وقد مررنا بواحدة من هذه الحدائق فوجدناها ، والحق يقال ، جذابة للغاية • وكان كل شيء نظيفا ومرتبا ، ولم ألمح فيها ولو علبة صفيح فارغة • وكانت معظم الحدائق تحيطها أسوار أو شجيرات أو نباتات متسلقة مما يمنح الملاك احساسا بالعزلة المحببة •

وأمضينا عطلة نهاية الأسبوع بأكملها تقريبا على الماء أو فى الماء كما فعل نصف سكان ستوكهولم فيما خيل الى • وكان النصف الآخر يمارس ركوب الدراجات فى نورلاند لأن الصيف أوشك على الانتهاء ولا ينبغى اضاعة شعاع واحد من أشعة الشمس • كما أنهم يلبسون أخف الملبوسات للسبب نفسه •

فقد ذكر لى سفن أنه بحلول شهر مارس وفى الأيام المشمسة منه تزدحم سلالم كل المبانى العامة المواجهة للجنوب فى فترة الغداء بمحبى الشمس حيث يعرضون على الأقل الوجه والأيدى للأشعة الغنية بفيتامين « د » .

ودخلت مع سفن فى مناقشة طويلة محاولين ايجاد تفسير لغرام السويديين بالشمس وبالهواء الطلق والرياضة ، لا بالرياضة كما نفهمها نحن . اننى لا أكاد أتخيل أنفسنا نحن الأمريكيين نسير أو نركب الدراجات مئات الأميال ، أو نخرج فى رحلات للتزحلق على الجليد على أرض منبسطة مثلما يفعل السويديون.

واعتقد سفن أن هذا نتيجة طبيعية للحركة التى بدأها فى بداية القرن التاسع عشر ب . هـ . لنج الذى أحيا الحكمة اليونانية الرومانية القديمة « العقل السليم فى الجسم السليم » ونشر نظام التربية البدنية التى اشتهرت باسم الألعاب السويدية ومشتقاتها وهى التمرينات الطبية والتدليك .

ولكننى ناقشته قائلا ان الاغريق والرومان لم يمارسوا المشى من باب التسلية ، كما أنهم لم يمارسوا ركوب الدراجات أو التزحلق على الجليد أو ما نسميه « بالجمباز » فى أيامنا هذه . ومما يلفت الانتباه أن الرغبة القوية فى التريض خارج البيوت

بدأت فى نفس الوقت الذى اختصروا فيه أسبوع العمل الى ثمان وأربعين ساعة • ولما عجز السويديون عن التخلى عن عاداتهم القديمة من حيث الأكل بكثرة كان لابد لهم أن يصرفوا الطاقة الزائدة فى باب آخر • ولكن سفن عارضنى فى ذلك مشيرا الى أن الأمريكيين يعملون أربعين ساعة فى الأسبوع وكانت نتيجة ذلك أن زاد عدد السيارات التى يشترونها • وظن سفن أن الأمر على العكس وهو أن السويديين مضطرون الى تناول غذاء جيد بسبب كثرة ما ينفقونه من جهد فى التمرينات والهواء الطلق •

ولم نتفق بطبيعة الحال على هذه النقطة • ولكن لم يعترض سفن على قولى انه مهما يكن تفسير ذلك فان السويديين يبدون فى نظرى جنسا رقيقا يتمتع بالصحة بصورة غير عادية ولكننى لم أستطع الامتناع عن القول بأن بناتنا الأمريكيات أكثر جاذبية ، لأن السويديات أعرض أكتافا وأقوى عضلات مما يروق لى • وقال سفن انه يوجد بالسويد كذلك ، فتيات ذوات بنية رقيقة ، فى الجنوب ، وخاصة فى اقليم بلكنج الذى يشتهر بفتياته الجميلات • وقد يكن سفن على صواب ولكننى أشك فى أنه قد نجح فى أن يجعلنى أغير رأيى •

وقد لاحظت منذ وصولى الى السويد أن كل المطاعم تقريبا كانت

مزينة بأعلام صغيرة حمراء ، وملصقات ، واعلانات بيضاء كبيرة الحجم داخل البيوت وخارجها ، كلها تحمل صورة ما يشبه السرطان البحرى الضخم • وعند السؤال اكتشفت أنها مجرد جراد البحر ولم تكن سرطان البحر* ولكن السويديين مغرمون به جدا • ويبدو أن جراد البحر يعتبر شيئا شهيا حتى فى باقى أوربا ولكنه فى السويد يقدر أعظم تقدير • وقال عمى هازلا : ان السبب فى ذلك قد يرجع الى الرواية القديمة التى تقول ان السويديين حصلوا على أول كمية من جراد البحر من سكوتلندا وان الهدايا النادرة هى التى تحظى من الانسان بأعظم تقدير • وقل انى لا ينبغى أن أظن أن جراد البحر هو الشعار القومى للسويد مهما رأيته مصورا • لأن من خصائص جراد البحر أنه يتقدم الى الخلف • ان الحيوان الذى يمثل شعار السويد هو الأسد •

ومع أنه فاتنى يوم افتتاح موسم جراد البحر الا أن العم يوهان قال لى : « ان تفعل الشىء متأخرا خير من ألا تفعله أبدا» • وهكذا ذهبنا أمس بالقوارب عبر الخليج الى مطعم قديم أنيق لكى نتناول طعام العشاء من جراد البحر على الشاطىء • وكان المكان مزدحما وبدا مليئا بالمرح بما فيه من ألوان الزينات الخاصة فى كل مكان بما فى ذلك مفارش الموائد والفوط والمصابيح

---

* جراد البحر يشبه سرطان البحر فى الشكل ولكنه أصغر منه حجما بنسبة كبيرة • المترجم

الصينية • وحصل كل فرد على « دستين » من هذه الحيوانات وبدأت أعجب من أين جاء كل هذا الجراد البحرى ليكفى كل السويد فى أثناء الموسم • ولكن كارل قال لى ألا أنزعج لهذا الأمر ؟ لأنه يجب أن أتذكر أن هناك ٩٦ ألف بحيرة فى السويد •

وفاتنى أن أذكر أننا فى أحد الأيام السابقة ونحن فى طريقنا الى نهير يكثر فيه سمك الطاروط* قابلنا أحد حيوانات « الكاريبو »** ضخم الحجم الذى يطلق عليه هنا اسم «الك» • تخيل أحد حيوانات الكاريبو المتوحش على بعد بضعة أميال من العاصمة ! وأخبرنى سفن أن بالسويد ٨٠ ألف رأس من هذا الحيوان معظمها فى الشمال بطبيعة الحال • ويستطيع المرء أن يصيدها يوما واحدا فى العام فى حدود واحد منها لكل صياد • ولذلك فان معظم السويديين يلجأون الى صيد أنواع أصغر من حيوانات الصيد •

---

* مثل سمك السالمون • المترجم
* نوع من الوعول ينمو أيضا فى أمريكا ـ المترجم

٦
السويد، الملكية الإشتراكية الديمقراطية

عندما يزور السويد أحد الأمريكيين المتفتحين ويشاهد ما عليه البـلاد من استقرار ورخاء عام ، فمن الطبيعى أن يتسـاءل عن الطريقة التى يحكم السويديون أنفسهم بها والتى فى ظلها حققوا كل هذه النتائج التى يشاهدها .

ولاشك أن مثل هذا الزائر يعرف أن السويد ملكية ، وأغلب الظن أنه سمع أيضا أن السويد توصف بأنها بلاد ديمقراطية جدا ، وهى ليست ديمقراطية فحسب ـ بل ديمقراطية اشتراكية . وهذا تنتابه الحيرة لأن عددا كبيرا من الناس يرى تناقضا بين هاتين الكلمتين ، لأنهم يعتقدون أن الدولة التى يحكمها ملك لا يمكن أن تكون ديمقراطية . كما أن الكثيرين لا يستطيعون أن يفهموا امكان قيام ديمقراطية واشتراكية جنبا الى جنب ، لأنهم يعتقدون أن الأولى تؤكد الحرية الفردية ، فى حين أن الثانية تعمل على رفاهية المجموع ، واذا كانت الدولة تتحمل واجبات أكثر نحو مواطنيها ، فمن الواضح أنها ستكون فى حاجة الى حقوق أكثر عليهم مما يحد من حرياتهم .

ومهما يكن من شىء ، فان الأمر العجيب والذى يثير الاهتمام عن السويديين ، على أية حال ، أنهم تمكنوا من أن يستمروا فى

العيش فى أحسن حال بالرغم من هذه المتناقضات الحقيقية أو الظاهرية ، أو كما يقول بعض ذوى التفكير المنطقى أن يعيشوا بطريقة ما . وهم فى هذا يشبهون الانجليز . ففى الحقيقة أنه من المحتمل أن يكون الانجليز قد ورثوا هذه المقدرة مع القدرة الهندسية من أسلافهم الاسكندنافيين عن طريق النورمنديين الذين كانوا متفوقين فى فنون الحكم وعلم الميكانيكا . وهكذا يدين الأمريكيون لهم بالشىء الكثير بطريق غير مباشر .

ومهما تكن احتمالات الصراع التى قد توجد بين ملك وبرلمان منتخب بطريقة ديمقراطية فقد تجنبتها السويد بطريقة غاية فى البساطة ، فان الملك لا يستخدم السلطات الممنوحة له بطريقة الدستور الذى يرجع الى عام ١٨٠٩ ، مع أنه منذ ذلك الحين قد أدخلت عليه تعديلات فى نواح أخرى وخاصة لكى يعمموا المساواة فى حق التصويت بين كل المواطنين البالغين . وتتركز السلطة فى الريكسداج الذى يمارسها بواسطة حكومة ، أى بواسطة قادة الحزب أو الأحزاب التى تكون الأغلبية . ويقوم الملك بدور الوسط بين الأحزاب عندما لا يحوز أحدهما الأغلبية المطلقة ، وفيما عدا ذلك يقوم بدور المستشار المحايد . ولذلك يتوقف مدى تأثيره على مواهبه الشخصية .

وأثبت ملوك أسرة برنادوت أنهم موهوبون بالحكمة واللباقة

والشخصيات التى تنجح دائما فى اكتساب الناس الى صفها . والا ما استطاعوا أن يحتفظوا بعرشهم خلال الاضطرابات التى تلت الحروب العالمية ، وخاصة أنه منذ عام ١٩٢٠ كان الحزب الاشتراكى الديموقراطى أكبر الأحزاب فى السويد وقام بتأليف الحكومة معظم الوقت . وقد أتيحت لهم عدة فرص لتطبيق مبدئهم السياسى الذى يتضمنه برنامج الحزب والذى يدعو الى اقامة جمهورية . ولكن الشعب السويدى معجب بملكيته ولا يستطيع أن يدرك أنه بازالة الملكية يستطيع أن يكتسب حريات سياسية أكثر من التى يتمتع بها بالفعل . ولذلك ظل المبدأ الجمهورى حبرا على ورق . ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة للمبادىء التى تنادى بالاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية ، وكما رأينا ، فقد قطعت السويد مسافة طويلة على طريق اقامة « دولة الرفاهية » التى تجعل الدولة مسئولة عن تأمين الفرد اقتصاديا وعن فرض الضرائب الثقيلة على الأغنياء لجمع المال الضرورى وللتقريب بين الثروات . ومن جهة أخرى يلاحظ أنه لم يبذل جهد يذكر نحو تنفيذ مبدأ التأميم ، فمع أن الدولة تملك ممتلكات قيمة مثل المناجم والغابات والشلالات والسكك الحديدية فانها تدير ٦٪ فقط من كل المشروعات الصناعية ، وحتى هذه ظلت ملكا لها أمدا طويلا . حقا لقد انتهى احتكار الدولة لتجارة الدخان منذ عهد قريب . وتأتى المعارضة الشديدة لملكية الدولة من أعضاء الحركة التعاونية ، الذين يؤيدون المشروعات الخاصة مع أن

الحركة تحارب الأرباح المغالى فيها والتى لا مبرر لها .

ولا حاجة بنا الى القول ان المحافظين ومعظم الأحرار فى السويد لا يظهرون حماسة فيما يختص بالاجراءات الاشتراكية . وهم يسلمون بأن البلد من الرخاء والشعب من الاكتفاء بأفضل صورة يتوقعونها فى هذا العلم ، ولكنهم يسلمون أيضا بأن السويد ما زالت تعيش من رأس مالها الدسم ولا يمكن أن يستمر هذا الى الأبد . كما يعترفون بأن الاشتراكيين الديموقراطيين كانوا معتدلين جدا وكانوا جد حريصين ألا يمسوا الحريات الفردية ، ولكنهم يصرحون بأن هذا كان بدافع من الضرورة ، ماداموا لم يحصلوا على أية أغلبية مطلقة خاصة بهم ، فيما عدا فى أثناء سنوات الحرب عندما جمدت برامج الحزب لأسباب واضحة . وهم يعلنون أنه لم يعد من الصواب أن نصف السويد أنها أرض « مذهب الوسط » لأنه لم يظهر أى مذهب جديد يستحق هذا الاسم . وما حدث هو أن السويد تجد نفسها فى منتصف الطريق بين الاشتراكية والمشروع الرأسمالى وان منتصف الطريق والطريق الوسط ليسا شيئا واحدا .

والنتيجة السليمة الوحيدة التى قد يخلص اليها المرء أن الوقت مازال مبكرا جدا لكى نحكم على التجربة السويدية . وبمعنى آخر لا يمكن للمرء أن يتنبأ اذا ما كانت السويد ستستمر على نفس الدرجة من الرخاء التى عاشت فيه حتى الآن . كما

لا يستطيع أحد بطبيعة الحل أن يجزم اذا ما كانت ستبقى عند علامة منتصف الطريق أو أنها ستتحرك تجاه اليمين أو اليسار .

ويبدو من المؤكد شيء واحد وهو أن السويديين لن يتخذوا خطوات مفاجئة أو متطرفة لا يمكن الرجوع فيها . فالسويديون باردون بالطبيعة ويميلون الى البطء بعض الشيء . ومما يتناقض بشدة مع تاريخهم العنيف حتى نهاية القرن الثامن عشر ، أنه لم تحدث بينهم ثورة داخلية في العصور الحديثة مع أنهم ثاروا في وجه الحكام الفاسدين . كما أن تاريخهم لم تجتحه الاضطهادات الدينية التي اجتاحت تاريخ الكثير من الدول الأخرى .

والسويديون أمة متسامحة . أو على الأقل يستطيع المرء أن يلاحظ في هذا الميدان أيضا نفس عدم الرغبة في استخدام العنف فيما بينهم ـ وقد قاموا بحروبهم الدينية في الخارج . وفي السياسة يبدي السويديون كبحا غير عادي لجماح النفس . والاضرابات نادرة ؛ اذ لم يحدث أي اضراب منذ عام ١٩٦١ . ولقد سبق أن أشرنا أكثر من مرة أن الطبيعة حبت السويد مزايا عديدة . ولكن يرجع الفضل الى السويديين في استغلالها استغلالا جيدا . وكذلك في تعلمهم دروس التاريخ وفضائل الاعتدال .

ومن القدرات السويدية الخاصة القدرة على مزج ثقافات متعددة في كل متجانس مع طبعها بالطابع السويدي ، ومن السهل

تتبع آثار فرنسا وألمانيا وانجلترا وحديثا أمريكا ، على العادات السويدية والفكر السويدى .

وفى الحقيقة أن السويديين يفخرون بقدرتهم على أن يحفظوا على التوازن بين الأضداد أو ما يبدو كذلك ، وهى مقدرة تظهر بطريقة مدهشة للغاية فى التعاون الودى بين ملك وحكومة جمهورية . ففى معظم الدول الأخرى لا يتوانى الجمهوريون عن خلع ملك اذا واتتهم الفرصة وذلك من حيث المبدأ . ولكن هذا لا يحدث فى السويد . وقد لا يبدو هذا منطقيا ولكنه يحدث على أى حال . وهذا يرجع الى السويديين ذوى العقول العملية .

وهناك أسباب أخرى أيضا . فان الملك وزخارف الملكية ترمز بصورة أكثر حيوية من أى شىء آخر الى الماضى المجيد الذى يفخر به السويديون . وزيادة على ذلك فانهم متعلقون بشدة بعاداتهم القديمة وتقاليدهم وآثار ماضيهم ؟ اذ لم يحرق أى قصر فى السويد بواسطة جمهور ثائر ـ ومع ذلك فان عددا قليلا من الأمم تقدمت في طريق الديمقراطية وتبنت الأشكال الحديثة للفن والصناعات اليدوية وتقدمت فى الأمور التكنولوجية مثلما فعلت السويد . فان الأخلاق الطيبة ودماثة الخلق واحترام الرؤساء تسير جنبا الى جنب مع المساواة . ولا يوجد مكان تشتهى فيه الألقاب والأوسمة ويحترم فيه حاملوها كما فى السويد .
ورغم تعلقهم الشديد بالحرية الفردية الا أن الاشتراكية

لا تخيفهم • وهم شديدو العناية بممتلكاتهم ومع ذلك يصرفون بسخاء • ويفخرون بأنهم أحفاد شعب من أشد الشعوب حبا للحرب الا أنهم شديدو المحبة للسلام • وهم محايدون سياسيا لدرجة التطرف فى الأنانية ولكنهم كرماء بنفس الدرجة الى الأمم المحتاجة ، وما هذه الا أمثلة قليلة •

وأعظم أعمال السويديين اثارة للدهشة هو بلا شك نجاحهم فى أن يمزجوا بين هذه المتناقضات بطريقة جيدة ، اذ يجمعها جميعا نسيج متجانس واحد على هيئة معينة • وتشبه السويد قرصا مطليا بألوان الطيف المختلفة التى تمتزج فى لون أبيض واحد اذا أدير بسرعة كافية • ويبدو أن السويديين قد اكتشفوا السرعة المناسبة ولكنهم استغرقوا ألفى عام من التجربة المحفوفة بالخطر وبعض المواهب الخاصة التى وهبتهم ايلها العناية المدبرة، ولذلك فان مثلهم ليس من السهل أن يقلده الغير •

ولعل من الأمور التى لها دلالة رمزية أن الكرات ذات المحاور من أهم ما تتخصص فيه السويد • وانا لنأمل أن (المحاور) التى تسير عليها البلاد ستستمر فى تأدية وظيفتها بيسر ، لأنه بالرغم من عدم خلو السويديين من الأخطاء ، ورغم العيوب التى توجد فى بلادهم فانه مما لاشك فيه أن الأمة السويدية تعتبر من أهم أعضاء المجتمع الدولى وأعلاهم قدرا •

